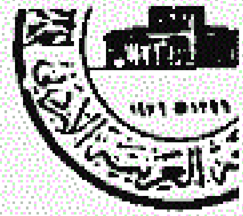


مجلة مجمع اللغة العربية الأردني

العدد ٤١

السنة الخامسة عشرة

١٤ هـ - ربيع الثاني ١٤١٢ هـ

تموز - كانون الأول ١٩٩١ م



مجلة مجمع اللغة العربية الأردني

العدد ٤١ | السنة الخامسة عشرة

ذو القعدة ١٤١١هـ - ربيع الثاني ١٤١٢هـ | تمـــوز - كانون الأول ١٩٩١م

مجلة
مجمع اللغة العربية الأردني

(مجلة متخصصة محكمة)
تصدر مرتين في السنة

* البحوث التي ترسل إلى المجلة تكون خاصة بها ، ولم يسبق أن نشرت في مكان آخر ، وان تتوافر فيها شرائط البحث العلمي .
* يرسل كل بحث إلى ثلاثة محكمين مختصين ، وفي ضوء تقاريرهم تقرر هيئة التحرير نشر البحث أو الاعتذار عن عدم نشره .
* البحوث غير المجازة لا ترد إلى أصحابها .
* يخضع ترتيب البحوث في المجلة لاعتبارات فنية .
* تقبل للنشر مراجعات الكتب إذا كانت قيمة .
* يجوز للباحث أن ينشر بحثه في مكان آخر ، بعد نشره في مجلة المجمع ، شريطة أن يشير إلى ذلك .

الاشتراكات

في الأردن ثلاثة دنانير سنوياً

في البلاد العربية والأجنبية ثمانية دولارات سنوياً أو ما يعادلها

تضاف أجرة البريد الجوي لمن يشاء ذلك من المشتركين

المملكة الأردنية الهاشمية - عمان - ص.ب ١٣٢٦٨ هاتف ٨٤٣٥٠٠ - تلكس MAGMA -JO. 23441

بسم الله الرحمن الرحيم

هيئة تحرير المجلة

فهرس العدد (٤١) لعام ١٩٩١ م

المدارس والمعاهد العليا
دورها في النهضة العربية الحديثة *

الدكتور صالح الخرفي

في الربع الأخير من القرن الماضي، والربع الأول من القرن الحالي، لم يكن قطر واحد من أقطار الوطن العربي في مشرقه ومغربه، يتنفّس حريّته ملء رئتيه، بل إن هذه الحرية كانت منعدمة أصلاً بالنسبة إلى أقطار واقعة تحت الاستعمار المباشر، خانق الحريات، وأقطار أخرى لم تتنفس حرية غير مشوبة بوصاية أو حماية، أو انتداب أو استبداد. تعددت الأسباب والموت واحد.

---

* ألقي هذا البحث في الذكرى الخامسة والستين لمعهد الحياة بالجزائر. و (معهد الحياة) بمدينة (القرارة) ولاية غرداية. جنوب الجزائر، يعتبر أقدم وأول معهد عال حر في القطر الجزائري، أسسه سنة ١٣٣٤هـ/ ١٩٢٥م زعيم الحركة الإصلاحية في جنوب الجزائر، وأحد المؤسسين الأوائل لـ (جمعية العلماء المسلمين الجزائريين) سنة ١٩٣١، العلامة الراحل الشيخ إبراهيم بن عمر بيوض (١٨٩٩ ـ ١٩٨١) ومنذ التأسيس في العشرينات لم يتوقف المعهد عن رسالته التربوية والتعليمية في مختلف العلوم الشرعية والحضارية والإنسانية، وقد استوعبت برامجه منذ الخمسينات المواد العلمية واللغات الأجنبية، وتخرج في المعهد العشرات من رجال الإصلاح والتربية والتعليم والأدباء والكتاب والشعراء وأعضاء البعثات العلمية خارج الجزائر، يدير المعهد منذ الأربعينات أستاذ الأجيال المتعاقبة شريفي سعيد أمد الله في عمره.

والآمال المكبوتة التي كانت تتفجر وتتصاعد مع انتفاضة شعبية عارمة أو زعامة وطنية ثائرة، هذه الآمال سرعان ما تتهاوى أشلاء مع انكسار تلك الانتفاضة في وجه القوة الغاشمة، أو اندحار تلك الزعامة وتمزقها بين الوعود الأجنبية الخادعة، والأطماع الاستعمارية المبيتة لاقتسام الوطن العربي واغتصاب حريّته واستقلاله.

كانت الفجائع والنهايات القاتمة متوالية، متواترة، وتكاد تكون متوارثة توارث التصميم على التصدّي وعدم الاستكانة، تواتر الاستماتة على إحياء الأمل في الخلاص وعدم الركون إلى اليأس، توالي اليقظة الوطنية في مواجهة الدسائس الأجنبية.

لكن النهايات القاتمة كانت كفيلة بمضاعفة الشعور بالإحباط من ناحية، وقادرة من ناحية أخرى على تفجير طاقات جديدة، وطرق مستجدة لتضميد الجراح واستقطاب الفلول لجولة قادمة في الدفاع عن العروبة والإسلام.

كان الصراع بين الأمل واليأس في أوجه. والتجاذب بين الصحوة والغفوة في ذروته، والتنازع بين إحساس بالذات متصاعد، ومؤامرات على الذات متكالبة، فأخذت الثورات برقاب بعضها، وتسلسلت الجولات التاريخية، والمواقف البطولية التي لم يجد فيها المستعمر إلا الذريعة المبرّرة لإحكام الحصار على الوطن العربي، والتهام ما تبقّى من أجزائه، والإطباق على كل شبر فيه[1].

وفي الوقت الذي كان فيه التآمر الأجنبي على الثورات المسلّحة يزداد ضراوة، والحصار الاستعماري لكل انتفاضة يتطاول إخماداً لأنفاسها، والمواجهة مع الدخيل تنتقل من الصراع المسلّح إلى الفتك الروحي المبيّت، والتسميم العقلي المندس، واجتثاث الشخصية الوطنية من

جذورها الروحية والعقلية، ومحوها من خارطة العالم الإسلامي.



في هذا الوقت العصيب، والمنعرج المصيري الخطير كان الله يهيىء لهذه الأمة من أبنائها البررة من يجدد دورتها الدموية، وينشط القلب في نبضاته المتباطئة، ويتدارك الإسلام في معاقله الروحية، بعد إنهاك حصونه البطولية.

وكخط تراجعي في مواجهة الكرّ والفرّ، وسجال المعركة، تنامت فكرة المواجهة السياسية للدخيل وهو في عقر الدار، بعد فشل المواجهة المسلّحة وهو على عتبتها. انتقلت المعركة من السواحل والثغور والحدود وحتى أسوار المدن، إلى داخل المدينة نفسها. وعندما يكون وقع القدم الغازية للوطن بداية معركة البقاء فيه بالنسبة إلى الدخيل، يصبح التحصّن الروحي، والتصدّي الفكري، والتحدي السياسي في حساب المواطن بداية معركة الانعتاق واسترجاع الكرامة.

انبثقت فكرة الإصلاح السياسي في زعماء العالم الإسلامي الذين كانوا أقرب عهداً إلى الثورات المسلّحة المهيضة، وبعضهم من شهود هذه الثورات(٢) وآخرون من أبناء شهدائها وأبطالها، فالدم المطلول لا يزال سخيناً، والجراح لا تزال غائرة، والذكريات الأليمة نابضة حية لم تقو الأيام عليها بعد، فكان من الطبيعي أن يبتدر الإصلاح الديني، الإصلاح السياسي مباشرة(٣)

فانتفض (جمال الدين الأفغاني)(٤) ينفخ الروح في الدين والسياسة ويصل شتات الأمة بـ (العروة الوثقى) ويجوب العالم الإسلامي داعية مستنفراً، يواجه الاستبداد في أحكامه وحكامه، ويفضح الغرب في أطماعه وغاياته، فعاش طريداً من هذا وذاك، حتى قضى مكتوم النفس، مخنوق

الصوت، ولم يزل وسيبقى (الرجل المفترى عليه) لأنه رمز من رموز الصحوة الإسلامية الصادقة التي يرهبها أعداء الإسلام[٥].

وانتفض معاصراً له (عبد الرحمن الكواكبي) ومناصراً،[٦] يفضح أمام أمته المغلوبة على أمرها، المغتالة في وعيها (طبائع الاستبداد) ويستنفرها لمؤتمر مشهود، واجتماع حاشد في (أم القرى) لتتدبر أمرها[٧] وتستشرف مصيرها، وكأنه يهيب بالأمة أن تؤوب إلى النبع الأصلي من جديد، وتعود أدراجها إلى مهد الإسلام الأول إن أرادت لنفسها خلاصاً في حاضرها، ومصيراً محموداً في غدها.

وتجاوبت الدعوات الإصلاحية المشوبة بالفكرة السياسية، وتنادى زعماؤها مشرقاً ومغرباً، وكثر أتباع (الأفغاني) وأبناء (العروة الوثقى)[٨] فما من زعيم مصلح في هذه الفترة إلا ولوه في السياسة قدم صدق إلى جانب أختها في الإصلاح الديني، بعضهم خاضها نظرياً وفكرياً، وبعضهم عزز الفكرة والنظرية بالتطبيق العملي، فكون الخلية، وأسس الحزب. وقلة أوتيت فرصة عابرة في السلطة فاهتبلتها لتطبيق الفكرة السياسية والإصلاحية معاً[٩].

إن ربط الإصلاح السياسي بالإصلاح الديني في جبهة واحدة كان السمة الغالبة على الحركات الإصلاحية في أول أمرها في القرن الماضي، لقرب عهدها أو معاصرتها للمواجهة الحامية للاحتلال الأجنبي، والاستبداد (العرقي) من ناحية، ومعاناتها من ناحية أخرى من الانحراف الديني، والتضليل العقائدي، فالجبهات كانت متداخلة، والتعبئة موزّعة، ولم يكن في مقدور رجل الإصلاح أن يولي ظهره للضيم المسلّط على الأمة متفرغاً للإصلاح الديني وحده.

والجانب السياسي في زعماء الإصلاح الديني، في عهد الاستعمار والتبعيّة كان السبب المباشر للتنكيل بهم، والحجة الشرعية في اجتهاد

الحاكم لمطاردتهم، ولو تتبعنا الإصلاح السياسي بمختلف جبهاته مشرقاً ومغرباً، وتعاقب جولاته من قرن سابق إلى آخر لاحق، واستقرأنا مسيرته لينا وشدة، اعتدالاًوتطرفاً،إصلاحاً للدين والسياسة معاً متمثلاً في نظام تربوي، أو جمعية وطنية، أو استهدافاً لإصلاح السياسة مباشرة، مجسماً في (مؤتمر قومي) أو (حزب سياسي)؛ اقتصاراً على المطالبة ببعض الحقوق الاجتماعية والنيابية في حكم التبعية، أو تطلعاً إلى التساوي في بعض الحقوق السياسية مع رعايا الحكم الدخيل(١٠)، لوجدناه يلقى مصيراً واحداً.

هذا التململ السياسي بأوجهه المختلفة لم يكن في حساب المحتل أو المتسلط على الوطن العربي إلا خروجاً عن الطاعة، وامتداداً للعصيان المسلّح، ومواصلة للتحدّي. فلم يكن حظ هذه الجولة من الإصلاح السياسي بأسعد من سابقتها في ميادين الاستشهاد. فكان الغاصب بالمرصاد لكل نفس إصلاحي لا يرخى له الزمام إلا لمفاجأته من مأمنه، فإذا أخذه لم يفلته. فتراوحت مصائر زعماء الإصلاح الديني والسياسي بين النفي والإبعاد والزجّ في السجون والتدلّي على أعواد المشانق، والاستشهاد غيلة في الميادين والساحات العامة في الوطن المستباح وبين أبنائه المقهورين(١١).

كانت الحركات الإصلاحية السياسية تلاقي ما لاقته سابقتها في مواقع المجابهة المسلّحة، وتتجرع الغصص بعينها. ومن ثنايا هذه المحنة، وفي أحشائها كان المخاض لوريث جديد للأمانة، وبديل وليد لحمل الرسالة، استوعب التجربة الفاشلة، ووعى العبرة الكاشفة، وخبر العدوّ في مقاتله، واستقصاه في مخاتله. فانتهج للإصلاح منهجاً مغايراً، احتفظ فيه بالمقومات المرجعية للإصلاح الديني، وحافظ على الثوابت المكونة للشخصية العربية المسلمة، واستبعد ـ مرحلياً ـ الأهداف السياسية. تبرّأ منها مظهراً، واستسرها للمستقبل الكاشف.

هذا الوليد الوريث هو الإصلاح الديني التربوي والاجتماعي بالمفهوم (العبدوي) المتبرّىء من (ساس ويسوس) والحامل لمبدأ : (ما دخلت السياسة أمراً إلا أفسدته) وبالرغم من أستاذية (الأفغاني) للشيخ محمد عبده والتقائهما في (العروة الوثقى) فإن إخلاص الطالب لأستاذه كان كفيلاً بأن لا يعرض إرثه للضياع مرة أخرى بالتشبث الأرعن بالوجهة السياسية العجلى في رياح معاكسة هوجاء[١١].

ومن اللافت للنظر أن هذا المفهوم (العبدوي) للحركة الإصلاحية هو الذي لقي صداه في أبناء المغرب العربي في أواخر القرن الماضي وأوائل قرننا هذا فتلقوه على ظمأ، فقد كانت المحن المتوالية، والنكسات المتعاقبة كافية لتعزيز القناعة بالانكفاء على الذات، تداركاً لها قبل الفوات، وترميماً لمعالمها قبل التلاشي، واللحاق بالمواطن في نفسه الأخير، دينه ولغته.

ولقد اعتبرت المناقشات في الأوساط العلمية في المغرب العربي حول (محمد عبده) وحركته الإصلاحية، ممن كانوا له أو عليه، بدايات النهضة الإصلاحية الحديثة، وكان الإرث الديني والفكري، والرصيد القلمي، والزيارة الشخصية كفيلة بتعزيز هذه البدايات والوصول بها إلى حدّ (الحزب الديني المصلح) فقال الشيخ رشيد رضا وهو يؤرخ لزيارة الإمام (عبده) أقطار المغرب العربي في مستهل القرن، (وقد وجد له في تونس والجزائر حزباً دينياً ينتمي إليه من حيث لم يكن يعلم)[١٢].

وتجاوباً مع المبدأ (العبدوي) في إبعاد السياسة عن الإصلاح، صدرت بعض الصحف الوطنية قبيل الحرب العالمية الأولى في ظل هذا المبدأ، بل جعلت الإمام بعد وفاته بعشر سنين (المشرف الديني على الجريدة)[١٣].

وصيغت القوانين الأساسية للمؤسسات الإصلاحية في العشرينات

بريئة متبرئة مما يمت إلى السياسة بسبب، فتضمن القانون الأساسي لـ (نادي الترقي) بعاصمة الجزائر سنة ١٩٢٦ مادة تنص على (تحريم الخمر والميسر والمناقشات السياسية في النادي)[١٣] ويوم تأسست (جمعية العلماء المسلمين الجزائريين) سنة ١٩٣١ نص الفصل الثالث من قانون الجمعية على ما يلي: (لا يسوغ لهذه الجمعية بأي حال من الأحوال أن تخوض أو تتداخل في المسائل السياسية)[١٤].

بل إن الحركة الإصلاحية قبل تأسيس الجمعية تذهب إلى مدى أبعد في التقيّة، وفي ذر الرماد في الأعين حين تحمل مجلة (الشهاب) الأسبوعية من ١٩٢٦ - ١٩٢٩ الديباجة التالية (مجلة حرة وطنية تعمل لسعادة الأمة الجزائرية بمساعدة فرنسا الديمقراطية) ولم تتردد (الشهاب) في أن تواجه مناورتها هذه، ومعادلتها الصعبة بمقال صريح بعنوان (نحن والسياسة): (نحن والسياسة الجزائرية، ليس لنا من سياسة إلا السياسة الفرنسية الديمقراطية البحتة التي أنبتت على الحرية والأخوة والعدالة)[١٥].

والشيخ محمد عبده في زيارته للجزائر سنة ١٩٠٣ أكد قضية التعليم، وكأنه يعود بالمسلم المغلوب على أمره في ظلمات الجهل والقهر إلى إشراقة الرسالة السماوية (اقرأ) وتحاشى الإمام المصلح أن يخوض في السياسة حتى إن الشيخ رشيد رضا ليلتمس له ما يشبه العذر حين أرخ للقاء (عبده) بالجزائريين فقال: (وكان خطابه إليهم على ما ترى من اللين تمشياً مع مبدئه : ما دخلت السياسة أمراً إلا أفسدته)[١٦].



فالحركات الإصلاحية في هذا المنعطف من النهضة العربية الحديثة قامت أساساً لإعادة بناء المواطن على هدي من الله ورسوله، وبناء الشخصية رسالة تربوية وتعليمية بالدرجة الأولى. وإذا تلمسنا القضية التربوية في هذه الفترة وجدناها موزّعة على أكثر من موقع، تعليم موروث أو مستحدث، أصلي أو دخيل.

التعليم المسجدي: ورثت المساجد الكبرى في العالم الإسلامي أمانة النهوض بالرسالة التربوية، وما من شك في أن هذه المساجد اعتبرت لفترة طويلة وقرون متوالية (جامعات إسلامية) يشهد لها التاريخ بالسهر الأمين على الإسلام والعروبة، وعلى توفير المعرفة في حدود الزمان والمكان والإمكان.

ومع بداية النهضة العربية الحديثة التي أعقبت قروناً من الانحطاط في كل نواحي الحياة أخذ التعليم المسجدي يقصر عن الاستجابة للمطالب المعاصرة له، وبدأت دعوات الإصلاح تتوالى لبعث روح جديدة في حلقات الدروس في هذه المساجد الجامعة، واستلهام طرق تربوية تثور العقل وتخفف من وطأة النقل والتلقين، واستقطاب معارف وعلوم لها علاقة بالمعاش لم تألفها هذه المؤسسات في فترة التخلّف.

ومن منطلق الفكرة الإصلاحية نجد هذه المساجد قاصرة حتى عن التربية الدينية التي هي قوام رسالتها، فقد تقوقعت في النظرة المنغلقة، والأفق الضيق، والتلقين المجتر، والموقف المشلول عن معترك الحياة، ولم تكن في ذلك إلا انعكاساً للشلل الذي أصاب الحياة العامة.

وقد حفظ لنا التاريخ انطباعات للمرحوم الشيخ البشير الإبراهيمي عن الوضع التعليمي في بعض المساجد الكبرى في رحلته إلى المشرق العربي سنة **١٩١٢**[١٧] فكتب عن حلقات الدروس في المسجد النبوي في المدينة المنورة يقول:

«وطفت بحلق العلم في الحرم النبوي مختبراً، فلم يرق لي شيء منها، وإنما هي غثاء يلقيه رهط ليس له من العلم والتحقيق شيء، ولم أجد علماً صحيحاً إلا عند رجلين هما شيخاي الشيخ العزيز الوزير التونسي، والشيخ حسين أحمد الفيض أبادي الهندي»[١٨].

وفي موقف آخر، يشير (الإبراهيمي) إلى اجتماعه بالشيخين (العقبي) و (ابن باديس) في الحجاز قبيل الحرب العالمية الأولى، وعودة الثلاثة إلى الجزائر:

«وإن هذه الفئة التي رجعت من الحجاز بالهدى المحمدي الكامل، قد تأثرت بالإصلاح تأثراً مباشراً، مستمداً قوته وحرارته من كلام الله وسنّة رسوله مباشرة، ولم تكن قط متأثرة بحال غالبة في الحجاز، فلم يكن للإصلاح في ذلك الوقت شأن يذكر في الحجاز إلا في مجالس محدودة، وعند علماء معدودين»(١٩).

وتؤول ظروف الحرب وثورة (الشريف حسين) بـ (الإبراهيمي) إلى دمشق سنة ١٩١٨(٢٠) بعد ترحيل سكان المدينة من قِبَل الجيش التركي، ويعطينا ومضة أخرى عن الدروس في (الجامع الأموي) فيقول:

« ثم حملني إخواني على إلقاء دروس في الوعظ والإرشاد بالجامع الأموي، فسمع الناس شيئاً لم يألفوه، ولم يسمعوه إلا في دروس الشيخ بدر الدين الحسني المراكشي، فقد كنت أملي التفسير بما يوافق روح العصر وأحداثه»(٢١).

و (جامع الأزهر) في القاهرة لم يكن في وضع أحسن، وإلاّ لما كان في حاجة إلى دعوة (محمد عبده) الإصلاحية، بل إن الأزهر في جانب كبير من علمائه ومشائخه حارب هذه الدعوة، وتصدّى لباعثها بكل وسائل التثبيط والخذلان، ودفعه إلى الهجرة والاغتراب، و (الإبراهيمي) وهو يؤرخ للحركة الإصلاحية في الجزائر ويترصّد بداياتها يقول:

«ولو شاء ربك لرمى الجزائر بقافلة من الحجاز مضلّلة، تتخذ من حرم الجوار شركاً جديداً، وتجعل منه غُلاًّ في الأعناق شديداً، كما رماها بطائفة من الأزهريين الجامدين، فنادوها قرحاً على قرح، وكانوا ضغثا على أبالة»(٢٢).

وكان للدعوة (العبدوية) إلى إصلاح التعليم في (الأزهر) أثرها في الدعوة إلى إصلاح نظيره في (الزيتونة) بتونس وازدادت هذه الدعوة إلحاحاً وعنفاً في مستهل هذا القرن[٢٣]، واستمر الإلحاح من أجل إصلاح التعليم الزيتوني متصاعداً، فقد كانت (الزيتونة) قلعة من قلاع التحدّي في وجه الدخيل، وقبلة أبناء المغرب العربي، وما كان يرضى محتل البلاد أن يرى القلعة راسخة الأركان، عالية الأسوار، شامخة الأبراج، عامرة الجنبات، وكما تزعم (محمد عبده) إصلاح التعليم الأزهري، تزعم (الطاهر ابن عاشور)(٢٤) إصلاح التعليم الزيتوني، وحتى مستهل الثلاثينات كانت النظرة الإصلاحية في الجزائر إلى الوضع التعليمي في الزيتونية، كما حدّدها (الزاهري)(٢٥):

«منزلة جامع الزيتونية في قلوبنا، وقلوب الأمة الجزائرية كلها، هي منزلة عالية جداً، فكلنا نحبّه ونرضاه ونهفو إليه، ونتمنى له الخير وزيادة العمران، ولكن هذا لا يمنعنا من أن نبدي ملاحظتنا على ما نشاهده فيه مما لا يتفق وسمعته، ويضيف: إن التعليم بحالته الحاضرة في الزيتونة هو مما لا يليق بكرامة تونس، ولا بسمعة هذا المعهد الديني الكبير»[٢٦].



ذاك هو وضع التعليم في كبريات المساجد في أوائل هذا القرن، ولنا أن نتصور وضعه فيما دونها، تعليم قصر عن الأصالة، ولم يطل المعاصرة. تشده عهود الانحطاط إلى الوراء، وتتقطع أنفاسه دون الأمام، وبين تقديم رجل وتأخير أخرى، نشأت حركات الإصلاح في صلب هذه المساجد، وكانت هذه الحركات إحدى المعارك الكبرى مع المستعمر الذي لا تنتعش أطماعه إلا في تخلّف الشعب الذي يحكمه، ومع أذنابه من رعاة هذا التخلف ورعاياه، تعليم أريد له أن يحنط في دائرة التبعية، والإرادة المشلولة، وأراد الإصلاح له أن يخرج إلى دائرة الضوء والإبصار وحمل الأمانة.

والضمائر الحية المؤمنة، الحريصة على الحفاظ على رسالة المسجد تربوياً وتعليمياً، والساعية إلى دعمه بالأساليب في التربية الحديثة، كانت تتطلع منذ القرن الماضي إلى الانفتاح على المدرسة الحديثة، وساعد على هذا التطلع وأذكاه اتصال الشرق بالغرب عن طريق البعثات العلمية إلى خارج الوطن العربي، فعادت هذه البعثات تحمل روحاً معاصرة إلى جانب أصالة لم تفقدها، فقد كانت هذه البعثات خريجة تلك المساجد التي أشرنا إليها، استوعبت نقاط الضعف في تعليمها الأصلي، فتلمست له سبل الإصلاح بعد العودة، فنشأت بعض المدارس الرائدة في النهضة العربية الحديثة، تلك المدارس التي يمكن اعتبارها الحلقة الوسطى في النقلة من التعليم المسجدي إلى الدراسة الجامعية بمفهومها الحديث. فنشأت (مدرسة الألسن) في القاهرة في عهد (محمد علي) وبمبادرة من (رفاعة الطهطاوي) المصلح الأزهري، وإمام أول بعثة علمية مصرية إلى فرنسا وواعظها، ونشأت (مدرسة دار العلوم)[٢٧] في عهد (إسماعيل) بمبادرة من (علي مبارك) العائد[٢٨] من باريس بشهادة مدرسة المهندسين، ونشأت (المدرسة الصادقية) في عهد المصلح (خير الدين باشا التونسي) بمبادرة من عضده الأيمن (محمد بيرم الخامس). ومن الصادقية تخرجت أول بعثة تونسية لاستكمال التعليم العالي في باريس برئاسة (البشير صفر) مؤسس (المدرسة الخلدونية)[٢٩].

هذه الآحاد من المدارس العليا وغيرها، بالرغم من ريادة منطلقها، وأصالة مرجعها، ونبل غاياتها، خضعت لظروف قاسية، هي ضريبة الريادة دائماً، خاصة عندما خضعت البلاد العربية للتدخل الأجنبي الذي أدرك خطر هذه المؤسسات على وجوده، فتسلّط عليها هي الأخرى لتحويلها عن مسارها الوطني وإخضاعها لنواياه المبيتة، بل وصل ببعضها إلى الزج بها في

موقف المناهضة للثقافة الوطنية، وتفجيرها بؤرة للصراع بين أبناء الوطن الواحد.

ونحن في غنى عن الحديث عن المدرسة الأجنبية الزاحفة مع المحتل، والجاثمة على أبناء الوطن سواء كانت هذه المدرسة (فرنسية) أو (إنجليزية) أو (إيطالية) مدارس اتحدت منطلقاً وغاية في القضاء على الشخصية الوطنية، عقيدة ولغة، فكراً وثقافة، ومسخ هذه الشخصية وتركها في وضع هي فيه (لا شرقية ولا غربية) تصديقاً لما قاله أحد رجال التربية الاستعمارية الفرنسية:

«ليس الغرض من فتح المدارس في شمال إفريقيا، أن نكون عقولاً مثل عقول مونتسكيو، أو جان جاك روسو أو فولتير. ولكن لنبدّل لغة بلغة وعادات بعادات»[٣٠].

والشيخ أبو اليقظان الصحفي المصلح[٣١]، رائد البعثات العلمية من الجزائر إلى تونس قبيل الحرب العالمية الأولى، يتحدث عن الشبيبة الجزائرية في مواجهة المدارس الأجنبية الفرنسية في أواسط العشرينيات (١٩٢٣) فيقول:

«لم تكن كل العلوم، وكل المدارس، تعطيها سلاحاً تنال به بغيتها، مع المحافظة على دينها المقدّس، وروحها الملية، وعوائدها القومية»[٣٢].

ولم تقتصر هذه الغربة على النظام التربوي فحسب، وإنما انسحبت على الحياة العامة وسممت المناخ العربي الإسلامي لا في مغربه فقط وإنما في المشرق العربي، فظل الاغتراب ملاحقاً الأفكار والمناهج والحياة العامة، وأصبح الاغتراب عن الأصالة رديفاً للتفتح، والانتماء، والوفاء لها رديفاً للرجعية والانطواء.

و (محب الدين الخطيب)،[٣٣] أحد رجال النهضة العربية الإسلامية

الحديثة، يتحدث عن الفترة نفسها (١٩٢٧) التي عالجها أبو اليقظان، ولكن في موقع آخر هو القاهرة، فيقول:

«وكان جو القاهرة الفكري والثقافي في ذلك الحين، متشبعاً برطوبة الأخذ بثقافة الغرب بكل ما فيها من خير وشر، وجد وهزل، وأكثر القائمين على التدريس، والعاملين في الصحافة، والمترددين على الأندية والمجتمعات، يعدّون كل نزعة إسلامية رجعية وجموداً»[٣٤].

وهي الفترة ذاتها التي عالجها الإمام المصلح عبد الحميد بن باديس وهو يتحدث عن الشباب الجزائري غداة صدور جريدة (المنتقد) سنة **١٩٢٥** باكورة صحافة (جمعية العلماء)[٣٥].

«أعلن (الشهاب) من أول يومه و (المنتقد) الشهيد قبله أنه (لسان الشباب الناهض بالقطر الجزائري) ولم يكن يومذاك من شباب إلا شباب أنساه التعليم الاستعماري لغته وتاريخه ومجده، وقبّح له دينه وقومه، وقطع له من كل شيء - إلا منه - أمله، وحقّره في نفسه تحقيراً»[٣٦].



والمشرق العربي عانى من اغتراب آخر في الفترة نفسها، غير الاغتراب الذي فرضه الاحتلال الأجنبي بعساكره ومدارسه، وهو الاغتراب الذي فرضته النزعة العرقية التورانية التتريكية. وقد بلغت هذه النزعة أوجها مع وصول (الاتحاد والترقي) إلى الحكم في الآستانة وقلب للشعوب العربية ظهر المجنّ. وتتحدث وثيقة (استراتيجية تطوير التربية) عن وضعية التعليم في المشرق العربي تحت السلطة العثمانية في أواخر القرن الماضي وأوائل قرننا هذا[٣٧]:

«كان التعليم المستحدث يسير بطيئاً، وكانت اللغة التركية هي المعتمدة في الغالب، وكانت مؤسسات التعليم العالي تكاد تكون محصورة

في الآستانة ما عدا معاهد قليلة في بعض المدن العربية، مثل بيروت ودمشق، وبغداد».

وإذا أردنا أن نتفحص الوضع بصورة أكثر دقة، وخطونا خطوة داخل (المدرسة السلطانية) في دمشق، الثانوية الوحيدة في العاصمة الأموية قبيل الحرب العالمية الأولى، فلنستمع إلى (محب الدين الخطيب) الذي درس فيها:

«كانت لغة التدريس في هذه المدرسة الثانوية الأميرية اللغة التركية حتى نحو اللغة العربية وصرفها كنا نتعلمهما من كتاب باللغة التركية، يسمى (المشذب) قررته نظارة المعارف العثمانية لمدارس الأنضول والروم إيلي، فكان مفروضاً على مدارس الحكومة في الولايات العربية كذلك أن تستعمله في تعليم أبناء العرب نحو لغتهم وصرفها، بل كان معلم العربية في مدرستنا شيخاً تركياً مسنّاً أرسلوه إلينا ليعلّمنا العربية في عاصمة العروبة والإسلام»(٣٨).

ولم تعترف (النزعة التتريكية) في الآستانة بـ (رسمية اللغة العربية) إلا في سنة **١٩١٣** تحت ضغط المطالب التي رفعها المؤتمر العربي الأول في باريس، حتى إن هذا الاعتراف ليعتبره الصحفي الجزائري (عمر بن قدور)(٣٩) جاء بعد فوات الأوان، وبعد اتساع الخرق على الراقع، فكتب في جريدة (الفاروق) في السنة نفسها:

«بعد ذلك الخذلان العظيم، وبعد ذلك التباين المبين، وبعد ذلك الشقاق بين العنصرين التركي والعربي، انتبهت الحكومة العثمانية إلى قيمة اللغة العربية، وقيمة عنصرها الشريف، وقيمة الاعتناء بها، فقرّرت ـ بعد أن اتسع الخرق على الراقع ـ جعل اللغة العربية لغة رسمية بعد اللغة التركية، وتدريسها في المدارس الابتدائية.

وهل بعد اتساع الخرق، يسهل الأمر على الراقع؟ نسأل الله أن ينبه المدارك إلى الإصلاحات النافعة للشرق»[٤٠].

في هذا الحصار المطبق، تكون الشخصية الوطنية العربية المسلمة قد تراجعت في مواجهة الاحتلال حتى الخط الأخير للدفاع، وأصبحت مهددة في بقائها ووجودها لأنها مستهدفة في دينها ولغتها، فلم تعد المعركة في سبيل حقوق أو سيادة، وإنما معركة بقاء ووجود. وصدقت قولة لأحد زعماء الإصلاح في الجزائر في العشرينات: «لو تأخرنا عن هذا الشعب عشرين سنة لما وجدنا فيه ما يصلح للإصلاح».

في هذا المنعطف المصيري، والمعترك الوجودي، تبرز الحركات الإصلاحية الحديثة التي كرست جهودها لإعادة بناء الإنسان المسلم العربي، الذي هو رأس المال المهدد بالتصفية والإفلاس. وتصحيح علاقة هذا الإنسان بخالقه، وتنقية لقائه بدينه، وترشيد فهمه لكتاب الله وسنة رسوله، ومراجعة فهمه لذاته ورسالتها في هذه الحياة.

وفي ظل هذه الحركات الإصلاحية، انبعثت المؤسسات التربوية والتعليمية الحرة في مشرق الوطن العربي ومغربه، ومن بينها (معهد الحياة)[٤١] وربما انبعثت المدارس، بمبادرات فردية، من روّاد مصلحين فاحتفى بها ذوو البر والإحسان فأقاموها صروحاً للتاريخ. وإنك لتؤرخ بعجب وإعجاب أن هذه المؤسسات قامت على جهد الشعب وعطائه، على ما في الجهد من وهن، وما وراء العطاء من كفاف، في فترة من القهر والإذلال قاتمة. فالمؤسسات استجابة تلقائية لنبض الشعب، وانعكاس عفوي لاستشراف المستقبل في الرواد من أبنائه، وهي بالأحرى خط دفاع جماهيري عن الإسلام في محنته الكبرى مع الاستعمار والاستبداد والتخلف.

وفي الوقت الذي كان فيه الاحتلال الأجنبي يكرس كل مؤامراته لإبادة الأداة اللغوية لهذه النهضة العربية، وإحلال لغته الدخيلة محلها لأنه مدرك بمكر نافذ أبعاد بقاء اللغة حية في الضمير، نابضة في القلب، معبّرة في اللسان، تدينه دخيلاً، وتتوعده طريداً، في الوقت ذاته كانت الحركات الإصلاحية تدرك هي الأخرى، بوعي الأصالة وشفافية الصدق، أن معركتها مع الدخيل تبدأ من بناء المواطن، وبناء المواطن يبدأ من تصحيح العقيدة، وتصحيح العقيدة قوامها تقويم اللسان العربي المبين.

«إن إصلاح لساننا هو الوسيلة المفردة لإصلاح عقائدنا، وجهل المسلمين بلسانهم هو الذي صدّهم عن فهم ما جاء في كتب دينهم وأقوال أسلافهم»[٤٢].

ومن اللافت للنظر، والباعث على التقدير أن ما توصلت إليه مؤخراً وثيقة (استراتيجية تطوير التربية في الوطن العربي) من الترابط الأزلي بين الإسلام والتربية، قد انطلقت منه منذ بداية هذا القرن المؤسسات التربوية في ظل الحركات الإصلاحية، فالوثيقة تقرر:

«أن في الإسلام عقيدة ونظاماً، قوام الحياة السليمة للإنسان والمجتمع، وقد اهتدى به العرب، كما اهتدت به أمم أخرى غيرهم، فكان أساساً لحضارة إنسانية شاملة، وعماداً لثقافة غنية بأنماط الحياة السليمة. فلا بد أن تستلهم أصوله ومبادئه، وأن يستند إليها في تطوير التربية العربية، وفيما يترتب عليها من تطوير المجتمع وتجدده»[٤٣].

فهذه المؤسسات التربوية والتعليمية، قامت في أحضان المساجد، مجاورة لها، نابعة منها، وامتداداً لها، فهي تطوير للرسالة المسجدية وليست انفصالاً عنها، واعتمدت كتاب الله وتفسيره في صدارة برامجها، واللغة العربية في صلب مهامها، ولم تقصر في انفتاح على علوم عصرية، ما

وجدت إلى ذلك سبيلاً، بل تخطتها إلى لغات أجنبية من غير عقدة أو انطواء.

إن الحركات الإصلاحية اعتمدت بناء المسجد والمدرسة معا، فهي تصلح للدين والدنيا، فما قام مسجد إلا واحتضن مدرسة أو معهداً في رحابه وذلك ما عهدناه، في المؤسسات التي نهضت بها (جمعية العلماء) أو (النهضة الإصلاحية) في جنوب الجزائر(٤٤).

وهذه الرسالة الدينية والدنيوية تبعد عن هذه المؤسسات شبهة الانطواء والعزلة عن معترك الحياة، بل إن جهودها في بناء المواطن على قاعدة تربوية وطنية سليمة تضعها في مصاف المواجهة المتقدمة لمحتل البلاد، والأيام أثبتت ذلك، والأحداث شاهدة على ذلك.

قامت هذه المؤسسات استجابة لضمير حيّ، وبصيرة نافذة في زعماء الإصلاح مشرقاً ومغرباً، وانبعثت تلبية لحاجة ملحّة، وسدّاً لفراغ لم تقو على سدّه المؤسسات الموجودة في الساحة العربية آنذاك.

ونعود إلى قولة الشيخ (أبي اليقظان) عن وضع الشبيبة الجزائرية في مواجهة المدارس الأجنبية لا في الجزائر فحسب وإنما في تونس، فهو يتحدث عن البعثة التعليمية من جنوب الجزائر إلى الخضراء بعد الحرب العالمية الأولى:

«لم تكن كل العلوم وكل المدارس، تعطيها سلاحاً تنال به بغيتها مع المحافظة على دينها المقدس، وروحها الملية، وعوائدها القومية، ففكر بعض المصلحين من أبنائها في شأن ذلك مدّة مديدة، وأخيراً رأوا أنهم لا يجدون بغيتها إلا في المدارس القرآنية الأهلية، فبدأت تتكون من ذلك طبقة مستنيرة أخذت تظهر بها لشعبنا النبيل حياة جديدة، وحركة فكرية، وروح ملية لم يكن ليحلم بها من قبل. والله يعلم ماذا يكون مآله بها، وأين تبلغ من العزّ والمكانة إذا أمد الله في عمرها»(٤٥).

وهذه الفقرة لأبي اليقظان في سنة ١٩٢٣ تؤكدها فقرة أخرى مماثلة للإبراهيمي في سنة ١٩٤٤ وهو يتحدث عن وضع التعليم قبيل الحرب العالمية الأولى:

«كانت الإدارة الجزائرية إلى ما قبل حرب ١٩١٤ تتظاهر بشيء من التساهل مع التعليم العربي الحرّ لأنه كان ـ إذ ذاك ـ قاصراً، لا يفتح ذهناً، ولا يغذّي عقلاً، ولا يربّي ملكة لغوية، فلما هبّ شعور الأمة وقوي، باحتياجها إلى فهم لغتها لتفهم دينها، وتطوّر التعليم الحرّ في العقدين الأخيرين، قلقت الإدارة الجزائرية بذلك، ولما لم تجد بيدها من القوانين العامة ما تتخذه سلاحاً التجأت إلى القرارات الإدارية[٤٦].

ومن أسوأ ما في تلك القرارات أثراً، وأشدّه إيلاماً وجرحاً لعواطف المسلمين عامة وللعرب خاصة ما جاء في بعض بنود تلك القرارات من اعتبار اللغة العربية لغة أجنبية في بلاد عربية هي الجزائر، وجاء دور تنفيذها على يد صغار الإداريين، فبالغوا وأسرفوا في التنكيل والمحاكمة، وسيق معلمو العربية إلى مجالس القضاء، كما يساق المجرمون وفرضت عليهم العقوبات المالية والبدنية من سجن وتغريب ولا زالت بقاياهم في المنفى إلى الآن».

وما سمّي بـ (المدرسة الحرة) في الجزائر، أو (المدرسة القرآنية) في تونس، أو (المدرسة الأهلية) في القاهرة[٤٧]،وهو ما يقابل التعليم الخاص حالياً إنما هي أسماء متعددة لمسمّى واحد، ومعنى أوحد، هو أن هذه المؤسسة التربوية، نابعة من الشعب، قائمة بعرقه وجهده، فارضة وجودها على محتل البلاد، يكيد لها بالمكر، فتقوى عليه بالعزيمة، يقهرها بالقوة حيناً، فتستعصي عليه بالحق أبدا، يذلّ القائمين عليها مادياً، وقد يصل الإذلال إلى الجسد، ولكنهم برسالتهم، وفي معنوياتهم أحرار، فوق بطش العدو وقهره، وما تسموا في عهد المستعمر بـ (المعلمين الأحرار) إلا

مصداقاً لذلك، وما انتسبت مؤسستهم إلى القرآن، أو الأهل، أو الحرية، إلا رموزاً لأهداف بعيدة.

ولو جئنا نضرب الأمثلة ببعض المؤسسات التربوية الحرّة، المتجاورة زمناً، المتماثلة رسالة، التي كسبتها النهضة الحديثة في الوطن العربي، صلة وصل وثيقة بالإسلام في أعزّ أيامه، وبالعروبة في أسنى تراثها الفكري والحضاري، ووقفة وعي ومسؤولية على الحاضر في أحلك أيامه، وأقسى مآسيه صراعاً مع الباطل الداخلي والدخيل، وإطلالة استشراف على المستقبل في بشائره الملوحة، وانتصاراته المظفرة.

لو جئنا نضرب الأمثلة، لأعيانا العدّ، وإنما هي نماذج لمؤسسات تربوية شاء القدر أن تكون لها علاقة بأبناء الجزائر، فقد فرضت المحنة الاستعمارية على هؤلاء الأبناء أن يتلمسوا طرق النجاة بدينهم ولغتهم ولو في أقصى الأرض، فهربوا بدينهم ولم يهربوا من وطنهم. طاردتهم المدرسة الفرنسية بالمسخ، فاستنجدوا بهويتهم في المؤسسة التربوية الحرّة، فإن لم تتوفر لهم داخل وطنهم، تعلقوا بالثريا بحثاً عنها.

إن شهيد الثورة الجزائرية الأديب الرائد (أحمد رضا حوحو)[٤٨] أكمل دراسته في أواخر العشرينات في (الكوليج) بسكيكدة، ثم التحق بـ (مدرسة العلوم الشرعية) في المدينة المنورة سنة **١٩٣٥**، وأكمل دراسته بها سنة **١٩٣٨** وكانت السنوات الثلاث كافية لتوجيه هذه التحية إلى مدرسته يوم تخرجه من القسم العالي فيها، وانتصابه للتدريس بها[٤٩]:

«أجل، إليك يرجع فضل حياتي هذه الإسلامية العربية التي هي ضالتي المنشودة والتي من أجلها قطعت البحار العميقة، والفيافي الشاسعة، مضحيا بكل ثمين.

لقد تربيت يا مدرستي العزيزة في مدارس أجنبية، واكترعت من علوم

أجنبية، ولما منّ الله عليّ بالهجرة إلى هذه الديار المقدّسة، مهد آبائي الأولين، وجدت نفسي غريباً بين قومي، شاذّاً في معلوماتي، متطرفاً في أفكاري، وحيداً في عاداتي، فريداً في أطواري وأصبحت من يومي أطوف يمينا وشمالاً، باحثاً عمن يعلّمني لغتي، مفتّشاً عمن يعلّمني علوم قومي وآدابهم»(٥٠).

فمدرسة العلوم الشرعية لم تخرّج للجزائر، أديباً رائداً، وكاتباً مبدعاً فحسب، وإنما خرّجت للثورة الجزائرية أحد شهدائها الأبرار.

ومدرسة العلوم الشرعية كما يقول (عبد القدوس الأنصاري)(٥١) عنها وعن مؤسسها المصلح الإسلامي (حسين أحمد الفيض آبادي الهندي) سنة ١٩٢٠(٥٢).

«كان تأسيسه لها فاتحة عهد جديد لاتساع أفق المعرفة، ونشر التعليم ضمن إطار ما يزال في الامتداد والاتساع فهو من هذه الناحية أحد (بناة العلم في الحجاز الحديث) وهو بهذا الاعتبار الرائع أحد رجالات التاريخ، الذين يحق للمؤرخ أن يعدّهم من الفاتحين، وهو بهذه النظرة الدقيقة، والنظرية الممحصة، يستحق الإشادة، وتخليد الذكر جيلاً بعد جيل»(٥٣).

ويضيف (الأنصاري) عن (العلوم الشرعية) في المدينة و (معهد الفلاح) بمكة:

«معهدان قام عليهما ركن من أركان الثقافة الحاضرة، والثقافة المرتقبة في المملكة العربية السعودية، وكان معهد (الفلاح) في منهجه وغاياته الأول في بيت الله الحرام»(٥٤).

ومن العجيب أن غلاة الاستعمار الفرنسي في شمال إفريقيا، كانوا يدركون أن هذه (المؤسسات التربوية الحرة) إنما هي قنابل موقوتة، ستنفجر في وجوههم في وقت معلوم، ويوم قامت (المدرسة الخلدونية) بجوار

(جامع الزيتونة) في تونس، لتكمّل رسالته بروح وطنية، واستشراف مسؤول، قال رئيس (اتحاد المعمرين الفرنسيين) في تونس:

«إذا ما قدّر أن تندلع ثورة في البلاد التونسية، فإن هيئة أركان ثوارها تكون قد تخرجت من الخلدونية»(٥٥).

ومصداقاً لهذه القولة المسعورة، وتصديقاً لهذا التطيّر الكاشف، وعلى مدى أوسع من البلاد التونسية، قال الشيخ عبد الحميد بن باديس، أحد الذين تلقوا دروس الوطنية في الخلدونية على يد مؤسسها (البشير صفر)(٥٦):

«وأنا شخصياً أصرح بأن كراريس (البشير صفر) الصغيرة الحجم، الغزيرة العلم هي التي لها الفضل في اطلاعي على تاريخ أمتي وقومي، والتي زرعت في صدري هذه الروح التي انتهت بي اليوم لأن أكون جندياً من جنود الجزائر(٥٧)».

فمن الوجهة الوظيفية كانت هذه المؤسسات للتربية قبل التعليم وللنهضة قبل التلقين، ومن المنطلق الوطني، كانت نقاط إشعاع ثقافي وفكري على المجتمع، وكانت نبض الشعب في مناسباته التاريخية، ومحافله القومية، وكانت متنفّس أمانيه المكبوتة ومنبر نداءاته الحبيسة، فكل مؤسسة بمفردها تمثل تاريخاً حافلاً بالأمجاد، ويوميات جياشة بالعواطف، وسجلاً وطنياً في تأليف رجال الإصلاح والفكر والأدب، ورسل التربية والتعليم، ودعم المسيرة النضالية للشعب العربي بعناصر مؤمنة بقيمها الروحية، معتزة بتراثها الحضاري، واثقة من غدها، تتلمس تباشيره في ثنايا رسالتها الصابرة المصابرة، وتلك هي رسالة كل زعيم مصلح عبّر عنها الشيخ البشير الإبراهيمي بقوله(٥٨):

«لم يتسع وقتي للتأليف والكتابة مع هذه الجهود التي تأكل الأعمار

أكلاً، ولكنني أتسلى بأنني ألفت للشعب رجالاً، وعملت لتحرير عقوله تمهيداً لتحرير أجساده. وصححت له دينه ولغته فأصبح مسلماً عربياً، وصحّحت له موازين إدراكه، فأصبح إنساناً أبيّاً، وحسبي هذا مقرّباً من رضى الربّ، ورضى الشعب».

هذه الكلمة التاريخية للإبراهيمي تنطبق على كل زعيم مصلح مشرقاً ومغرباً من هؤلاء الذين شيّدوا المدرسة الحرة، فألفوا الرجال الأحرار.

فالحركات الإصلاحية الحديثة، في إطار الإسلام والعروبة، هي من هذا المنطلق حلقة رئيسية، واصلة وفاصلة، فاصلة بمعنى الحسم لا البتر، وواصلة بمعنى الوفاء بين حلقات الملحمة البطولية لتحرير العقل والجسد، وفي مسلسل الصراع مع الغزو الأجنبي. هذه الحلقات انطلقت مسلحة في المواجهة الأولى للأقدام الغازية، ثم تراجعت سياسية في مدافعة محتل البلاد، ثم انبعثت إصلاحاً للتعبئة الروحية، لتتصاعد مرة أخرى سياسة راشدة، وتنطلق من جديد ثورة مسلحة لا يخطئها النصر، فلولا الحلقة الإصلاحية الوسطى، لانبترت الحلقات الأربع بداية ونهاية. ومع التسليم بتداخل الحلقات، وتناوبها على المواقع، واستمرار كل نفس وطني ممتداً دون انقطاع، موصولاً من غير بتر، فإن لكل مرحلة تاريخية، مميزاتها الغالبة، وعنوانها البارز، ينصفها من غير أن يجحف غيرها.

والذين ينفون البعد السياسي عن الحركات الإصلاحية في هذه الفترة، إنما يبرهنون عن قصور في إدراك مفهومي (السياسة والإصلاح) معا، وقد يكون هذا القصور عن الإدراك مبرراً ومقبولاً في فترة التقية من بطش العدو، والمناورة لتخطي أحابيله. في فترة كانت الحركات الإصلاحية متفرغة لتثبيت أسسها، وتعميق جذورها قبل أن تعصف بها الرياح، وتأمين ناشئتها وتعبئتها عقيدة وروحاً وفكراً. فأرجىء البعد السياسي للأيام تكشفه، وعلقت النقاط فوق الحروف للمستقبل يضعها. بل إن الإصلاح لم يترك هذه

المهمة للأيام ولا تلجلج عندما تأكد أن الفرصة مواتية للمصارحة، ولا انتظر المعركة الفاصلة ليسفر عن غاياته وأهدافه البعيدة، بل جابه المحتل وهو في عنفوان طغيانه، ودافعه وقدمه راسخة في الأرض، وصدعه بالحقيقة وقبضته لم تزل متسلطة على رقاب العباد.

فجمعية العلماء التي نادت صحافتها سنة ١٩٢٥ بـ (سعادة الأمة الجزائرية بمساعدة فرنسا الديمقراطية) وتبرأت المادة الثالثة من قانونها الأساسي سنة ١٩٣١ من المناقشات السياسية، لم يلبث مؤسسها ابن باديس سنة ١٩٣٧، بعد ست سنوات فقط أن أسفر عن الحقيقة التاريخية التي فرضتها الثورة بالسلاح سنة ١٩٥٤.

«أعلن (الشهاب) من أول يومه و (المنتقد) الشهيد قبله أنه يعمل لسعادة الأمة الجزائرية بمساعدة فرنسا الديمقراطية، فوضع الأمة الجزائرية بإزاء الأمة الفرنسية، إذ كل منهما لها ذاتيتها ومقدساتها ومميزاتها القلبية والعقلية والنفسية والتاريخية التي يستحيل معها أن تندمج في أمة أخرى. على هذه الحقيقة ناهض (الشهاب) التجنس والاندماج، وناضل عن الشخصية الإسلامية»(٥٩).

وإذا كانت الديباجة اليسرى للشهاب تعلن أن الشهاب (مجلة حرة وطنية تعمل لسعادة الأمة الجزائرية بمساعدة فرنسا الديمقراطية، فإن الديباجة اليمنى تعطي وجهاً آخر للعملة، (الشهاب مجلة تهذيبية انتقادية شعارها، الحق فوق كل أحد والوطن قبل كل شيء..) وتلتقي هذه المبادىء مع شعار (معهد الحياة) عند تأسيسه سنة ١٩٢٥: (الدين والخلق قبل الثقافة، ومصلحة الوطن قبل مصلحة الفرد)(٦٠).

وبنظرة أخرى في القانون الأساسي لجمعية العلماء نجد أكثر من مادة في صلب القانون نفسه تجب المادة الثالثة المتعلقة بالمناقشات السياسية،

لأن هـذه المواد تتنـاول الإسلام أصـلاً من أصول الـدعوة الإصـلاحيـة، والإسلام يجب ما قبله، تصرح هذه المواد بأن الإسلام(٦١):

- يسـوّي في الكرامـة البشرية والحقوق الإنسـانية بين جميـع الأجنـاس والألوان.
- يفرض العدل فرضاً عاماً بين جميع الناس بلا أدنى تمييز.
- يحرم الظلم بجميع وجوهه، وبأقل قليله من أي أحد، على أي أحد من الناس.
- يحرّم الاستعباد والجبروت بجميع وجوهه.

وإذا كانت الدعوة الإصلاحية مبنية على هـذه القواعـد الراسخـة، والمثل العليا لمفهوم الحرية الإنسانية، والكرامة البشرية عند الإسلام، فأية حاجة في هذا الإصلاح للمناقشات السياسية الجوفاء، يجهض بها رسالته ويستفزّ بها أعداءه.

فالبعد السيـاسي كامن في الحـركة الإصـلاحية، ضميـر مستتر في ثناياها، جاهر بذلك الزعيم المصلح أوناور، كشف السرّ أو تركه لـلأيام تكشفه، ضاقت به النفس فصارح، أو احتمل الضيم فاحتسب أجره عند الله والتاريخ. وإن من نكد الأيام أن الرواد للأحداث التاريخية الذين يتحمّلون عناء سرها وكتمانها عملاً دؤوباً، وجهداً صامتاً، يصبحون مثار شك وريبة، ومحـل همز ولمـز عند الـذين لا يطيقـون صبراً على الأيـام حتى يبكتهم التاريخ.

إن المؤسسات التربوية الحرة في مرحلة الحكم الأجنبي، ومن بينها (معهد الحياة) التي قامت أساساً لإعادة بنـاء الإنسان، وبعث المـواطن، بهدي من دينه ولغته وحضارته، إنما تتخطى السياسة بمفهوم الاحتراف، والتحزب الأرعن، والجدلية العقيمة، والآنية العابرة. وتخبيء هذا المواطن

للسياسة في أسمى معانيها، والسيادة في أكمل وجوهها، والمواطنة في أعرق جذورها، والأخوة في أنبل مشاعرها.

قال شاعر الجزائر، وترجمان الحركة الإصلاحية فيها، وشاعر العروبة والإسلام (محمد العيد خليفة)(٦٢) في حوار ومكاشفة مع النفس(٦٣):

فلا تحقري صوتي الرقيق، فإنه	من الشعب كالسلك الرقيق المكهرب
ولا تحقري ضعفي وليني، ففيهما	رضا الله، لا في قوتي، وتصلبي
وكم من أخ في الدين خان، فلم أخن	ولاطفته أرجو السماح، كمذنب
أخوه أنا، ما دام يقبلني أخا	وفي حرمتي، ما دام في حرمة الأب
ولست لغير الله، أرهب سطوة	فما كان غير الله عندي بمرهب
وما كان غير الرفق عندي صالحاً *	لشعب مريض بالهوى والتحزب
فيا أيها الداعي إلى الله، لا تحد	عن الرفق، إن الرفق أربح مكسب

وبالرغم من الهموم الضيقة، والتجزئة التي فرضتها سياسة فرق تسد، والإقليمية التي كرستها أخاديد السيطرة الأجنبية، والمرض بالهوى والتحزب، والمعاناة في سبيل الوطن المغتصب، فإن الحركات الإصلاحية، تجاوزت المنطلق الجغرافي لدعوتها، وعانقت الإسلام والعروبة في أوسع مدى في الحاضر، وأعمق بعد في التاريخ، ندرك هذه الأبعاد عندما نقرأ الفقرة المنصفة التالية لابن باديس في (أبي اليقظان)، وهما رمزان من رموز الأخوة في الله والدين والوطن:

«وأبو اليقظان إلى جانب (ميزابيته) التي يفاخر بها وله الحق، عربي يجاهد ويجالد في سبيل العروبة، ووطني يناضل ويقارع في سبيل الوطنية، ومسلم أخلص لله دينه، يجعل الإسلام في الصف الأول من كل أعماله»(٦٤).

واللفتة (الباديسية) هذه بما تتسم به من روح إسلامية عالية، وهي

الروح التي انبنت عليها الحركات الإصلاحية في الجزائر، ومؤسساتها العلمية، هذه اللفتة يترجمها (أبو اليقظان) مفهوماً للإصلاح، وسلوكاً للعمل، وإلهاماً للشعر، يوم وقف في (نادي الترقي) وفي ظل المؤتمر السنوي لجمعية العلماء سنة ١٩٣٤[٦٥]:

كيف لا تزهو الجزائر بالحميا (البابلية)
وبنو (مازيغ) مع أبناء (قحطان) السفتية
أصبحوا في ردهة النادي، على أحسن نية
في حمى النادي تصافت أنفس الشعب الزكية
في حمى النادي تلاشت همزات العنصرية
في حمى النادي تعالت صرخة الشعب القوية

وعندما يعيينا الاجتهاد في استنباط الأمور، ويقعد بنا الفكر في استشراف الأحداث، ويضيق بنا الصدر في استكناه الحقائق، نستنطق الشعر فيصدقنا القول، ونسترشد أبياته فتعبر الرؤيا، فالقيادات الرشيدة تتكتم الأسرار وفوران الشعر يفضحها، والمعاهد تبني الشباب في صمت، ثم تطلق له العنان ليترجم عن غاياتها. كذلك كان (معهد الحياة) في بناء أبنائه. وكذلك كان مؤسسه، خالد الذكر (إبراهيم بيوض) حين تأخذه النشوة، ويهتز به الفخر وهو يستمع لـ (محمد جريدي)[٦٦] ربيب معهد الحياة وشاعر الحركة الإصلاحية، والوطنية المتأججة في الأربعينات، يتجاوز الإصلاح بمظهره (العبدوي) إلى الإصلاح بمخبره (الثوري)، فيهتك الستر عن حقيقة (فرنسا)[٦٧].

ألمت بنا، فاستنزفت خير شعبنا وضاق بنا في قطرنا الرحب عمران
وقد سلبت منا تراث جدودنا تراث لو أبقته، لكنا كما كانوا
شهامة نفس، واعتزاز بدولة ودين وأخلاق، وعز، وسلطان
فلا بد من تطليقها بعد لحظة كما طلقتها أمس (سوريا ولبنان)

فقل لبنيها أن يلوذوا ببحرهم وأن يتقوا ذا الشعب، فالشعب غضبان

وأن يقصدوا غير الجزائر مطلباً فلم يبق في أرض الجزائر إذعان

حذار من الأحرار، إن قلوبهم إذا انفجرت في الضاغطين لبركان

ونحن إذا ثرنا، فطلاب حقنا وأنتم إذا ثرتم علينا، فثيران

وأنتم كليل، نحن منه كواكب ونحن كبحر، أنتم منه حيتان

فخير لكم، أن تسرعوا لبحاركم فليس لعيش الحوت في البرّ إمكان

فالشاعر (جريدي) في أبياته يكمل الوجه التربوي للإصلاح، بالوجه السياسي للثورة ويترجم عن مشاعر مزدوجة في الأعماق، تحتبس زمناً لتتصاعد في مناسبة تاريخية إسلامية، وإن الشاعر ليوغل في هذا الاتجاه السياسي الجامح حتى ليكاد ينفرد في الأربعينات بهذه الصرخات المدوية، والمستعمر في ذروة جبروته، والثورة الجزائرية على عتبة ميلادها(٦٨):

روضة الحريات، تطلب غيثاً فاسقها من دمائنا أنهارا

فهي لا ترتضي بغير دم الحر ولو كان الوابل المدرارا

في دم الحر، نشهد المجد غضا ونرى في الغصون منه اخضرارا

في دم الحر للشعوب زلال وقد أمسى في بطن مجريه قارا

في دم الحر للشهيد حياة ولو أمسى تحت التراب يوارى

في دم الحر، للعروبة فخر وقد أمسى على الجناة شنارا

دعه، يستهدف الأشاوس للبغي، فصرح الجهاد، لن ينهارا

دعه يعدو على الضعاف فأيا م التعدّي، لا شك تغدو قصارا

دعه يشفي لصدره منك غيظاً ربما قد أحس فيه انحدارا

★ ★ ★

يا غلاة الإجبار، حسبكم (هت لير) زجراً وعبرة وادكارا

يا غلاة الإجبار، مهلاً، فهلا لم يك فرعون قبلكم جبارا

أبحكم الإجبار، ترضون شعبا لا يريد الحياة، إلا اختيارا

يا غواة الزمان، هلاّ حذرتم | من زمان لما يزل غدارا
فاتركونا، وشأننا فظلام | البغي ولّى، وقد لمسنا النهارا
نحن أحرار شعبنا مذ خلقنا | وسنبقى رغم العدى أحرارا
إن قطر الجزائر اليوم، أمسى | غير فخر، يسابق الأقطارا

وإذا أردنا أن نتلمس في سنة ١٩٥٣ ملامح الثورة الجزائرية، ومخاضها وهي المولودة سنة ١٩٥٤، ونستكشف تباشير السيادة المنتظرة والكرامة المسترجعة عبر جحافل شهداء الثورة الخالدة، فلتقرأ هذه الأبيات للشاعر الملهم (مفدي زكريا) في الاحتفال بافتتاح صرح من صروح الحركة الإصلاحية في الجزائر (دار الطلبة) لمعهد عبد الحميد بن باديس بقسنطينة، فسنجد أن الحركات الإصلاحية التي انبنت على تقوى من الله ورضوان، هي سكينة الشعب في روعه، وملاذ الركب في ضياعه[٦٩]:

(جمعية العلماء المسلمين) ومن | للمسلمين سواك اليوم منشود
أمانة الشعب، قد شدّت بعاتقكم | فما لغيركم، تلقى المقاليد
هذي المدارس كالأعلام قائمة | للعلم يحرسها قوم مناجيد
وهذه بعثات العلم شاخصة | للشرق يكلاها للشرق تأييد
جاء (البشير) فزكاها وأرسلها | فصائلاً، كلها عزم وتأكيد
فابنوا المدارس في عرض البلاد، فما | غير المدارس للتحرير تمهيد
وراقبوا الله والتاريخ، في غده | وعهد (باديس) إن العهد موجود

★ ★ ★

يا دار أنت على التقوى مؤسسة | مبناك بالطهر، مرصوص ومشدود
يا دار حملت آمال البلاد، ففي | أحشائك اليوم أشبال صناديد
دار ابن باديس في (سرتا) يظللها | نصر، ألا إن نصر الله موعود
ما بين جدرانها، تحيا الجزائر لا | من فوق جدرانها تتلى التهاجيد

تلك هي الروح الإسلامية، والنخوة العربية، والعزة الوطنية التي بثتها في الساحة العربية هذه المؤسسات التربوية الحرّة الرائدة في فترة كان فيها التعليم العربي جبهة من أعنف الجبهات في الدفاع عن الشخصية العربية المسلمة في مواجهة الغزو الاستعماري لإبادة هذه الشخصية.

هوامش للمراجعـــة

١ - إذا تجاوزنا ثـورة الأمير عبـد القادر في وجـه الحملة الفرنسيـة على الجزائر، تلك الثورة التي كادت تغطي الربع الثاني من القرن التاسع عشر (١٨٣٠ - ١٨٤٧) والتي تعتبر الوقفة الإسلامية العربية الأولى في وجه أول هجمة للأطماع الغربية في الوطن العربي. إذا تجاوزنا هذه الثورة فإننا نضيف على سبيل التمثيل لا الحصر:

في الجزائر، ثورة المقراني وثورة ابن الحداد سنة ١٨٧١. في مصر ثورة عرابي سنة ١٨٨٢ في تونس ثورة (ابن غداهم)، الجهاد الليبي في وجه الحملة الإيطالية سنة ١٩١١ في مكة ثورة الشريف حسين سنة ١٩١٦، في دمشق قيام الحكم العربي سنة ١٩١٨ وانتفاضة ١٩١٩ في القاهرة، وفي المغرب ثورة الريف سنة ١٩٢٤ ومعركة ميسلون سنة ١٩٢٠. عدا التصادم المستمر مع التسلط الأجنبي الذي لم ينقطع له نفس حتى معارك التحرير والاستقلال في الخمسينات.

٢ - الشيخ محمد عبده كان من مؤيدي أحمد عرابي في ثورته، وكان جمال الـدين الأفغـاني من الـدعـاة البـارزين إلى ربط الإصـلاح الـديني بالإصلاح السياسي، وكانت الزعامات الدينية الصادقـة في المشرق والمغرب تقف في الخطوط الأمامية من مدافعة المستعمر.

٣ - يقـول الدكتور محمد عمارة في كتابه : (جمال الدين الأفغاني):

«ومن هنا كان الأفغاني أول من أقام تنظيماً سياسياً وطنياً مصرياً في العصر الحديث وهو تنظيم (الحزب الوطني الحر) الذي ظهر نشاطه علنيا في سنة ١٨٧٩ وهو الحزب الذي تكونت في صفوفه قيادات مصر السياسية والفكرية في ذلك التاريخ بمن فيهم قيادة الثورة العرابية بمختلف أجنحتها وتياراتها».

٤ ـ انظر : جمال الدين الأفغاني موقظ الشرق وفيلسوف الإسلام.

د. محمد عمارة، دار الشروق، الطبعة الثانية ١٩٨٨.

٥ ـ انظر : مسلمون ثوار، د. محمد عمارة، دار الشروق ١٩٨٨ الطبعة الثانية.

٦ ـ عبد الرحمن الكواكبي : (١٢٧٠ ـ ١٣٢٠ هـ ١٨٥٤ ـ ١٩٠٢م).

٧ ـ في مقدمة كتاب (طبائع الاستبداد) يتحدث الكواكبي عن طريقة تأليف هذا الكتاب بعد هجرته إلى مصر سنة ١٨٩٩ :

«فنشرت في بعض الصحف الغراء أبحاثاً علمية سياسية في طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد. منها ما درسته ومنها ما اقتبسته، ثم كلفني بعض الأعزاء بجمع تلك الأبحاث تعميماً للفائدة، فأضفت إليها بعض زيادات، وحولتها إلى هيئة هذا الكتاب».

وأما كتابه (أم القرى) فيتحدث عن مسار تأليفه الشيخ محمد رشيد رضا في مجلة (المنار) سنة ١٩٠٢ فيقول:

«ولما هاجر إلى مصر كان أول أثر له فيها طبع سجل (جمعية أم القرى) وكان يقول إن لهذه الجمعية أصلاً وأنه هو توسع في السجل ونقحه ست مرات آخرها عند طبعه منذ سنتين ونيف أي عقيب قدومه إلى مصر. وقد قال لنا مرة: إن الإنسان يتجرأ أن يقول ويكتب في بلاد الحرية ما لا يتجرأ عليه في بلاد الاستبداد، بل إن بلاد الحرية تولد في الذهن من الأفكار والآراء ما لا يتولد في غيرها».

٨ ـ انظر : عبد الرحمن الكواكبي شهيد الحرية ومجدد الإسلام ، د. محمد عمارة، دار الشروق ١٩٨٨ صفحة ٣٥و٣٦.

٩ ـ يوم أسس الأفغاني (جمعية العروة الوثقى) في كلكوتة بالهند سنة ١٨٨٢ كان من بين أعضائها من رجال الإصلاح والسياسة في المغرب

العربي، الأمير عبد القادر في أخريات أيامه، والمصلح السياسي التونسي محمد بيرم الخامس، والمصلح الزيتوني الشيخ محمد السنوسي الذي أسس فرعاً لـ (العروة الوثقى) في تونس، وهو الذي استضاف في منزله الشيخ محمد عبده في زيارته الأولى لتونس قادماً إليها من باريس بعد توقف جريدة (العروة الوثقى) سنة ١٨٨٤. وكان (الأفغاني) مؤسس (الحزب الوطني المصري) الذي مهد للثورة العرابية و (محمد عبده) هو الذي صاغ برنامج الحزب. ومن رجال الإصلاح والسياسة الذين أسسوا أحزاباً، الزعيم عبد العزيز الثعالبي مؤسس (الحزب الحر الدستوري التونسي) سنة ١٩٢٠ وهو الحزب الذي قاد تونس إلى الاستقلال سنة ١٩٥٦.

١٠ـ مثل (المؤتمر العربي الأول) في باريس سنة ١٩١٢ الذي لم يتجاوز المطالبة ببعض الحقوق في ظل اللامركزية العثمانية، ومثل (حزب النواب) الذي أسسه الأمير خالد حفيد الأمير عبد القادر في الجزائر سنة ١٩١٩ والذي اقتصر في مطالبه على بعض الحقوق النيابية والاجتماعية والتعليمية تحت الحكم الفرنسي.

١١ـ إن هذا الموقف من الإمام محمد عبده كان سبباً للجفوة التي فصلت بينه وبين أستاذه الأفغاني عندما عاد محمد عبده من المنفى إلى مصر، وأقام الأفغاني في الآستانة في أخريات أيامه. فقد كان الأفغاني يعيب على الإمام مسالمته للإنجليز، وبعده عن الخط الثوري الذي عرف به في الثورة العرابية، بينما كتب الإمام عن الأفغاني يقول:

«إن السيد جمال الدين كان صاحب اقتدار عجيب لو صرفه ووجهه للتعليم والتربية لأفاد الإسلام أكبر فائدة، وقد عرضت عليه حين كنا في باريس أن نترك السياسة، ونذهب إلى مكان بعيد عن مراقبة الحكومات، ونعلم ونرقي من نختار من التلاميذ على مشربنا فلا

تمضي عشر سنين إلا ويكون عندنا كذا وكذا من التلاميذ الذين يتبعوننا في ترك أوطانهم والسير في الأرض لنشر الإصلاح المطلوب فينتشر أحسن الانتشار. فقال الأفغاني لي: إنما أنت مثبط».

انظر: الإمام محمد عبده، د. محمد عمارة. دار الشروق الطبعة الثانية ١٩٨٨.

١٢- (تاريخ الأستاذ الإمام) رشيد رضا، ج ١ صفحة ٨٧٠.

١٣- جريدة (ذو الفقار) الأحد ٣٠ رجب ١٣٣١ هـ ١٤ يونيو/ حزيران ١٩١٤م.

انظر: شعر المقاومة الجزائرية، صالح خرفي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، بدون تاريخ، صفحة ١٢٦.

١٤- انظر: صالح خرفي، الشعر الجزائري الحديث صفحة ١٤٠ المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر ١٩٨٤.

انظر: تاريخ الحركة الوطنية. د. أبو القاسم سعد الله. دار لآداب، بيروت ١٩٦٩.

١٥- الشهاب، عدد ١٢/رجب ١٣٤٤هـ ٢٨ جانفي/ يناير ١٩٢٦م، وانظر: صالح خرفي، المدخل إلى الأدب الجزائري الحديث، صفحة ٣٠ الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر ١٩٨٠.

١٦- جاء في تاريخ الأستاذ الإمام، رشيد رضا، ج ١ ص ٨٧٠

«وصادفت زيارة الإمام للجزائر تولية (جونار) حاكماً عليها، وكان الجزائريون ينظرون إليه نظرة تفاؤل، لذلك كان خطابه إليهم على ما ترى من اللين تمشياً مع مبدئه «ما دخلت السياسة عملاً إلا أفسدته».

١٧- انظر: مجلة (الثقافة) الجزائرية، السنة ١٥ العدد ٨٧/١٩٨٥.

١٨- المرجع السابق.

١٩ـ انظر: صالح خرفي، الشعر الجزائري، صفحة ٧٠.

٢٠ـ ترحيل سكان المدينة المنورة إلى دمشق كان سنة ١٩١٧ بأمر من الحكومة التركية عند استفحال ثورة الشريف حسين، وعجز الحكومة عن تموين الجيش الذي بلغ تعداده (٥٠) ألفاً وسكان المدينة الذين بلغ عددهم ثمانين ألفا، فقرر القواد العسكريون نقل السكان إلى مصدر الأقوات في دمشق عوضاً عن نقلها إلى المدينة والتفرغ لتموين الجيش.

٢١ـ مجلة (الثقافة) الجزائرية العدد ٨٧، شعبان ـ رمضان ١٤٠٥هـ مايو ـ يونيو ١٩٨٥م المرجع السابق.

٢٢ـ في سبيل إصلاح (الأزهر) ناضل الإمام محمد عبده لإدخال بعض المواد على برنامج التعليم ومنها مادة (الجغرافيا) وفي نقاش ساخن بينه وبين الشيخ (البحيري) في إدارة الأزهر:

قال (البحيري): إننا نعلمهم كما تعلمنا.

قال (الأستاذ): وهذا هو الذي أخاف منه.

فرد (البحيري): ألم تتعلم أنت في الأزهر، وقد بلغت ما بلغت من مراقي العلم وصرت فيه العلم الفرد.

فرد (الأستاذ): إن كان لي خط من العلم الصحيح، الذي تذكر، فإنني لم أحصله إلا بعد أن مكثت عشر سنين أكنس من دماغي ما علق فيه من وساخة الأزهر وهو إلى الآن لم يبلغ ما أريده له من النظافة.

٢٣ـ في سنة ١٩٠٧ تأسست (الجمعية الزيتونية) برئاسة الشيخ محمد الطاهر بن عاشور لإصلاح التعليم الزيتوني وفي سنة ١٩٠٩ عندما أضرب طلبة الجامع الأزهر عن الدروس تجاوب معهم طلبة جامع الزيتونة باجتماع حاشد في الجامع للمطالبة بإصلاح التعليم الزيتوني

وإدخال مادتي التاريخ والجغرافيا في البرنامج، وفي ١٩١٠ قرر الطلبة الإضراب عن الدروس. وأمرت الحكومة بإغلاق الجامع، فتحول صحن الجامع إلى محفل للاجتماعات الوطنية والحماسية لزعماء الحركة الوطنية في تونس حتى اضطرت الحكومة إلى الإستجابة لمطالب الإصلاح، وفتح الجامع للتدريس من جديد.

انظر : أضواء على تاريخ تونس الحديث. البشير بن الحاج عثمان الشريف، الفصل الخاص بـ (التعليم الديني، ونظام الدراسة) بجامع الزيتونة صفحات ١٣٧ - ١٤٤، دار بوسلامة للطباعة والنشر والتوزيع، تونس ١٩٨١.

٢٤- محمد الطاهر بن عاشور (١٨٨٩ - ١٩٧٣) من زعماء إصلاح التعليم الزيتوني فقيه ومفسر من أشهر مؤلفاته في التفسير (التحرير والتنوير) ومن كبار علماء الزيتونة. وله شرح (ديوان بشار).و (النابغة الذبياني).

انظر : الجابري محمد صالح (النشاط العلمي والفكري للمهاجرين الجزائريين بتونس)، الدار العربية للكتاب، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ١٩٨٣.

٢٥- محمد السعيد الزاهري (١٨٩٩ - ١٩٥٦) من رجال الإصلاح في الجزائر، ومن مؤسسي (جمعية العلماء المسلمين الجزائريين) سنة ١٩٣١، درس في جامع الزيتونة، كاتب وشاعر، نشر في (الفتح) و (المقتطف) و (الرسالة) و (الشهاب) وصحافة (جمعية العلماء) في الجزائر.

انظر : صالح خرفي، محمد السعيد الزاهري، سلسلة (الأدب الجزائري الحديث) (٥)، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر ١٩٨٦.

٢٦- انظر : المرجع السابق.

٢٧ـ يقول الإمام محمد عبده : «إن دار العلوم تصلح أن تكون ينبوعاً للتهذيب النفسي والفكري والديني والخلقي، ويمكن أن ينتهي أمرها إلى أن تحل محل الأزهر، وعند ذلك يتم توحيد التربية في مصر».

انظر : الإمام محمد عبده، د. محمد عمارة، دار الشروق القاهرة ١٩٨٨.

٢٨ـ علي مبارك باشا (١٢٣٩ ـ ١٣١١/١٨٢٣ ـ ١٨٩٣م) أنشأ علي مبارك أكثر من مدرسة عالية في العلوم الإنسانية مثل مدرسة الحقوق سنة ١٨٦٨ ومدرسة اللسان الحبشي في السنة نفسها، ومدرسة اللسان المصري القديم سنة ١٨٨٩، أما مدرسة دار العلوم ومدرسة الألسن فقد أنشئتا سنة ١٨٧٨.

انظر : علي مبارك ، مؤرخ ومهندس العمران، د. محمد عمارة، دار الشروق، الطبعة الثانية ١٩٨٨.

٢٩ـ كان تأسيس (الجمعية الخلدونية) صدى للإصلاحات التي أدخلت على التعليم الأزهري في أواخر القرن الماضي بإدراج مواد الحساب والتاريخ والجغرافيا في البرامج ، وبمبادرة من البشير صفر تأسست سنة ١٨٩٦ الجمعية الخلدونية لتعليم ما لا يدرس في العلوم في جامع الزيتونية، مثل التاريخ والجغرافيا والاقتصاد السياسي والفيزياء والكيمياء وفن الرسم.

وكان البشير صفر نفسه يدرس مجاناً في الخلدونية دروس الجغرافيا والتاريخ ومن خلالهما يشرح أهداف الاستعمار والأخطار المحدقة بالعالم العربي الإسلامي.

انظر : أضواء على تاريخ تونس الحديث ١٨٨١ ـ ١٩٢٤ البشير بن الحاج عثمان الشريف، دار بوسلامة للطباعة والنشر والتوزيع، تونس ١٩٨١.

٣٠- انظر : صالح خرفي، المدخل إلى الأدب الجزائري الحديث الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر ١٩٨٤.

٣١- أبو اليقظان إبراهيم (١٨٨٨ - ١٩٧٣) شيخ الصحافة الإصلاحية في الجزائر في فترة الاستعمار الفرنسي، صدرت له ثماني جرائد في الفترة من (١٩٢٦ - ١٩٣٨) ورائد البعثات التعليمية من الجزائر إلى تونس، شاعر، ومؤلف وفقيه. صدر له (الشيخ سليمان الباروني حياته وجهاده) في جزأين سنة ١٩٥٧، وله بعض المخطوطات التي لم تصدر بعد.

انظر : محمد ناصر. (أبو اليقظان وجهاد الكلمة) الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر ١٩٨٠.

انظر : صالح خرفي (أبو اليقظان في الخالدين) مجلة الثقافة السنة الثالثة العدد ١٩٧٣/١٤.

٣٢ -انظر : إبراهيم بن الحاج عيسى القراري (أبو اليقظان) إرشاد الحائرين مطبعة العرب بتونس سنة ١٣٤١ - ١٩٢٣.

٣٣- محب الدين الخطيب (١٨٨٦ - ١٩٦٩)

٣٤- انظر : محب الدين الخطيب، الدكتور صلاح الدين القاسمي المطبعة السلفية ١٩٥٩.

٣٥- صدرت (المنتقد) سنة ١٩٢٥ ولم يصدر منها إلا ثمانية عشر عدداً حيث أوقفتها السلطات الاستعمارية بعد أربعة أشهر من صدورها في السنة نفسها ١٩٢٥ انظر : محمد ناصر (الصحف العربية الجزائرية) من سنة ١٨٧٤ - ١٩٣٩، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر/ ١٩٨٠.

٣٦ـ مجلة (الشهاب) ج ١ م ١٤/١٩٣٨
وانظر : صالح خرفي ، (الجزائر والأصالة الثورية) الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ١٩٧٧ .

٣٧ـ انظر : استراتيجية تطوير التربية العربية ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، الطبعة الأولى ١٩٧٩ تنفيذ مؤسسة دار الريحاني للطباعة والنشر ، بيروت .

٣٨ـ انظر : محب الدين الخطيب ، الدكتور صلاح الدين القاسمي .

٣٩ـ عمر بن قدور الجزائر (١٨٨٦ ـ ١٩٣٢) رائد الصحافة الوطنية الجزائرية ، نشر في صحافة الشرق العربي والإسلامي منذ أوائل القرن ، كان مراسل جريدة (اللواء) القاهرية من الجزائر ، نشر في جريدة (الحضارة) في الآستانة لعبد الحميد الزهراوي قبل الحرب العالمية الأولى ، أصدر جريدة (الفاروق) رائدة الصحافة الوطنية الجزائرية سنة ١٩١٢ ، طاردته السلطات الفرنسية بسبب مواقفه الوطنية الجريئة وكتاباته اللاذعة ، ونفته إلى الصحراء الجزائرية طيلة سنوات الحرب الأولى ، وبعد الحرب أصدر السلسلة الثانية من (الفاروق) لكنها أخف لهجة ، تصوّف في أواخر أيامه .

انظر : صالح خرفي ، عمر بن قدور الجزائري ، سلسلة الأدب الجزائري الحديث ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ١٩٨٤ .

٤٠ـ المرجع السابق .

٤١ـ عندما تأسس المعهد في (القرارة) جنوب الجزائر سنة ١٩٢٥ بمبادرة من رائد النهضة الإصلاحية في وادي ميزاب الشيخ الإمام إبراهيم بن عمر بيوض كان ساعده الأيمن في إدارة المعهد والتدريس فيه الشيخ شريفي سعيد (الشيخ عدون) الحجة في النحو العربي ولم يزل ـ أمد الله في أنفاسه ـ يواصل رسالته الإدارية والتعليمية في المعهد ، إلى

جانب رعايته للحركة الإصلاحية ومدارسها وجمعياتها الثقافية في الجنوب وفي أنحاء القطر الجزائري. وهذه الحركة منذ نشأتها تقوم على تمويل تطوعي من أبناء المنطقة.

٤٢- انظر : أضواء على تاريخ تونس الحديث، صفحة ٧٥، البشير بن الحاج عثمان الشريف دار بوسلامة للطباعة والنشر والتوزيع، تونس ١٩٨١.

٤٣- انظر : استراتيجية تطوير التربية العربية.

٤٤- يذكر الشيخ الإبراهيمي رئيس (جمعية العلماء المسلمين الجزائريين) بعد وفاة مؤسسها (ابن باديس) سنة ١٩٤٠ أن عدد المدارس التي أسستها الجمعية حتى سنة ١٩٥٢ بلغ أربعمائة.

انظر : مجلة (الثقافة عدد (٨٧)).

٤٥- انظر : إرشاد الحائرين. إبراهيم بن الحاج عيسى القراري، مطبعة العرب تونس ١٩٢٣.

٤٦- انظر : محمد البشير الإبراهيمي، التقرير الذي قدمه المجلس الإداري باسم جمعية العلماء المسلمين الجزائريين إلى رجال الحكومة الجزائرية في أواسط رمضان ١٣٦٣ المطبعة الإسلامية الجزائرية بقسنطينة.

٤٧- نعتت الحركة الإصلاحية في الجزائر مدارسها بـ (الحرة) تمييزا لها من المدارس الرسمية الحكومية التي كانت اللغة الفرنسية فيها لغة التدريس. وعرفت تونس في أوائل القرن (المدارس القرآنية الأهلية) التي انفتحت على العلوم العصرية واللغات الأجنبية، وهو التطور نفسه الذي عرفته المدارس القرآنية أو الأهلية في مصر على يد علي مبارك باشا.

٤٨- أحمد رضا حوحو (١٩١١ - ١٩٥٦) كاتب، وأديب جزائري، قضى فترة من حياته في الحجاز ١٩٣٤ - ١٩٤٥ حيث أقام في المدينة المنورة مع أسرته المهاجرة ودرس في (مدرسة العلوم الشرعية) وقام بالتدريس فيها

بعد التخرج، ثم عين سكرتيرا لمجلة (المنهل) في أول صدورها وفيها بدأ كتاباته القصصية التي يعتبر بها من رواد القصة والمسرح في الحجاز إلى جانب عبد القدوس الأنصاري ومحمد عالم الأفغاني ومحمد سعيد العامودي، كما يعتبر من رواد الترجمة الأدبية في الحجاز، فقد كانت دراسة (حوحو) في الجزائر باللغة الفرنسية قبل انتقاله إلى الحجاز، فترجم لـ(هوجو) و (فولتير) و (لامارتين) وترجم كتابات المستشرق المسلم (ناصر الدين ديني).

عاد (حوحو) إلى الجزائر في أواسط الأربعينات ليرود فيها القصة القصيرة والمسرحية والكتابة النقدية الساخرة، وعين سكرتيرا لـ (معهد عبد الحميد بن باديس) في قسنطينة، وكان لا يهادن الاستعمار في كتاباته، ومواقفه ومسرحياته، وتعتبر مؤلفاته القصصية من المجموعات الأولى من نوعها في الجزائر.

صدر له : غادة أم القرى ـ الجزائر ١٩٤٧
مع حمار الحكيم ـ الجزائر ١٩٥٣
صاحبة الوحي ـ وقصص أخرى ـ قسنطينة ـ الجزائر ١٩٥٤
نماذج بشرية ـ سلسلة كتاب (البعث) تونس ١٩٥٥

اختطفه غلاة الاستعمار في يوم ٢٩ مارس ١٩٥٦ من منزله ليلاً واغتالوه، ولم يظهر له أثر بعد ذلك، فكان من بين شهداء الثورة الجزائرية من رجال الفكر والقلم والإصلاح أمثال (العمودي) و (التبسي) و (العقون) و (أبو شامة) و (فرعون) وكلهم من علماء الجزائر وأدبائها وشعرائها وكتابها.

صالح خرفي، أحمد رضا حوحو في الحجاز (١٩٣٤ ـ ١٩٤٥) مخطوط.

٤٩ـ تخرج (حوحو) في مدرسة العلوم الشرعية بالمدينة سنة ١٩٣٨ وعين للتدريس فيها مباشرة.

٥٠- المرجع السابق : أحمد رضا حوحو في الحجاز.

٥١- عبد القدوس الأنصاري (١٣٢٤ هـ - ١٤٠٣هـ) مؤسس مجلة (المنهل) في المدينة المنورة سنة ١٣٥٣ هـ ١٩٣٧م رائدة المجلات الأدبية في المملكة العربية السعودية وأطول المجلات العربية عمراً ممدوداً، وتعتبر (المنهل) المدرسة التي تخرج على صفحاتها رواد النهضة الأدبية الحديثة في الحجاز في المقالة الأدبية، والشعر والقصة والمسرحية والترجمة، والكتابات التاريخية.

(والأنصاري) مؤلف أول عمل قصصي في الحجاز، (التوأمان) سنة ١٣٤٩هـ وصدر له كتاب (آثار المدينة المنورة) سنة ١٩٣٥، و (بين التاريخ والآثار) و (تاريخ جدة) و (بناة العلم في الحجاز الحديث - السيد أحمد الفيض آبادي) ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦م. و (الأنصاري) ذاته أحد بناة العلم في الحجاز الحديث، وأحد رواد النهضة الأدبية الحديثة فيه.

٥٢- انظر : بناة العلم في الحجاز الحديث ، عبد القدوس الأنصاري، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٤٦.

٥٣- المرجع السابق : بناة العلم في الحجاز الحديث.

٥٤- المرجع السابق.

٥٥- أضواء على تاريخ تونس الحديث ١٨٨١ - ١٩٢٤ البشير بن الحاج عثمان الشريف. دار بوسلامة للطباعة والنشر والتوزيع، تونس ١٩٨١.

٥٦- البشير صفر (١٨٦٣ - ١٩١٧) أبو النهضة التونسية، زعيم وطني، خطيب، وكاتب وصحفي، درس بالمدرسة الصادقية وسافر إلى باريس ضمن أول بعثة صادقية للدراسة في فرنسا، أسس سنة ١٨٨٨ جريدة (الحاضرة) وأسس (المدرسة الخلدونية) سنة ١٨٩٦.

انظر : الجابري ، النشاط العلمي والفكري للمهاجرين الجزائريين في تونس .

٥٧- انظر : الخرفي صالح ، في رحاب المغرب العربي دار الغرب الإسلامي ١٩٨٤ .

٥٨- انظر : مجلة (الثقافة) الجزائرية ، السنة ١٥ العدد ٨٧ شعبان/ رمضان ١٤٠٥هـ مايو/ يونيو ١٩٨٥م .

٥٩- انظر : خرفي صالح ، الجزائر والأصالة الثورية ١٩٧٧ ومجلة (الشهاب) ج ١ م ١٤ أفريل ١٩٣٨ .

٦٠- وهو الشعار نفسه الذي كانت تحمله الصحيفة الدورية الداخلية التي كان يصدرها طلبة المعهد باسم (الشباب) .

٦١- انظر : أبو القاسم سعد الله ، الحركة الوطنية الجزائرية ، وصدرت في مجلة (الشهاب) سنة ١٩٣٧ نشرة ثانية لمبادىء الجمعية ، استبعدت الفقرات الخاصة بتحريم المناقشات السياسية ،
انظر : الشعر الجزائري ، صالح خرفي صفحة ٣٦١ .

٦٢- محمد العيد خليفة (١٩٠٤ - ١٩٧٩) .

٦٣- ديوان محمد العيد خليفة ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ١٩٧٩ .

٦٤- انظر : ناصر محمد ، أبو اليقظان وجهاد الكلمة ، المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر ١٩٨٠ .

٦٥- انظر : خرفي صالح ، صفحات من الجزائر ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ١٩٧٤ .

٦٦- محمد جريدي ، شاعر معاصر ، وأحد الخريجين من معهد الحياة ، وأحد رجال التربية والتعليم في الجزائر ، لم تنشر له مجموعة شعرية واحتفظ بمجموعة خطية لشعره بإهداء منه .

٦٧- المولد النبوي الشريف يعتبر من المعالم التاريخية في مسيرة الحركة الإصلاحية في الجزائر، فإلى جانب إحياء ليلة مولده عليه الصلاة والسلام، تقام في الأسابيع التالية للذكرى عكاظيات شعرية وأدبية يتبارى فيها طلبة (معهد الحياة) وتعتبر هذه المحافل الأدبية متنفساً للمشاعر الوطنية، وكان الشاعر محمد جريدي فارس هذه المحافل في الأربعينات، نزعة وطنية وروحاً قومية. وهذه المولدية تعود إلى سنة ١٩٤٨.

٦٨- ألقى الشاعر هذه القصيدة في حفل زفاف أحد طلبة معهد الحياة في أواخر الأربعينات والشاعر يخاطب بهذه الأبيات المقتطعة من القصيدة شباب الجزائر.

٦٩- انظر : مفدي زكريا (اللهب المقدس) الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر ١٩٨٣.

نُصُوصٌ تُراثِيَّة حَوْلَ وُجود مُحْتَسِبٍ فِي المجْتَمَع القُرَشِيّ قَبْلَ الإسْلام

الدكتور إحسان صدقي العمد

تمهيـــد :

لم يشر أي من المصادر التي وصلتنا، والتي تحدثت عن الحسبة، إلى وجود محتسب في المجتمع القرشي في مكة قبل الإسلام، سواء كانت هذه المصادر كتباً أو رسائل أفردت للحسبة، أو مؤلفات تحدثت عن الحسبة ضمن موضوعاتها الفقهية أو التاريخية أو الموسوعية. ومن هـذه المصادر وتلك ـ حسب تاريخ وفاة أصحابها ـ كتاب الاحتسـاب، للإمـام الزيـدي الناطق بالحق، الناصر للحق (ت ٣٠٤هـ)، والأحكام السلطانية، البـاب العشـرون، ص ٢٤٠، للماوردي (ت ٤٥٠هـ)، وإحيـاء علوم الدين ج ١٤/٧ ـ ٩٦، للغزالي (ت ٥٠٥هـ)، وفي آداب الحسبة للسقطي المالقي، ورسالة في القضاء والحسبة، لابن عبدون الإشبيلي، ورسالة في الحسبة، لابن عبد الرؤوف الأندلسي، ورسالة في الحسبة، للجرسيفي الأندلسي، ونهاية الرتبة في طلب الحسبة للشيزري، وجميعهم من أهل القرن السادس الهجـري، ونهايـة الـرتبـة في طلب الحسبـة لابن بسـام، والنصـاب في الاحتساب للسّنامي، من أهل القرن السابع للهجرة، والحسبة في الإسلام لابن تيميـة (ت ٧٢٨هـ)، ونهايـة الأرب في فنون الأدب، البـاب الثالث عشر، ج ٢٩١/٦ ـ ٣١٥، للنويري (ت ٧٣٣هـ)، وتحرير الأحكام في

تدبير أهل الإسلام، الباب الخامس لابن جماعة (ت ٧٣٣هـ)، والطرق الحكمية في السياسة الشرعية ص ٢١٩ ـ ٢٢٣، لابن قيِّم الجوزية (ت ٧٥١هـ)، ومعيد النعم ومبيد النقم، ص ٦٥ للسبكي (ت ٧٧١هـ)، ومعالم القربة في أحكام الحسبة لابن الأُخوّة (من أهل القرن الثامن الهجري أيضاً)، والمقدمة لتاريخ العبر وديوان المبتدأ والخبر، ص ٣٩٨ ـ ٤٠٠، لابن خلدون (ت ٨٠٨هـ)، ومواضع متفرقة في كل من صبح الأعشىٰ في صناعة الإنشا، للقلقشندي (ت ٨٢١هـ)، والسلوك لمعرفة دول الملوك، واتعاظ الحنفا في أخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، وإغاثة الأمة بكشف الغمة، للمقريزي (ت ٨٤٥هـ)، والحسبة لابن عبد الهادي (ت ٩٠٩هـ)، وغيرها مما ألف في هذا الموضوع بفارس، والدولة العثمانية، والهند، التي كان من بواكيرها «سياست نامة» أو سير الملوك، للوزير السلجوقي الشهير نظام الملك الطوسي (ت ٤٨٥هـ)(١).

نصــوص تراثيــة :

وقد انفرد جواد علي في كتابه «المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام»، من بين المراجع العربية والأجنبية التي تحدثت عن الحسبة، بذكر خبر موجز عن جمهرة أنساب العرب لابن حزم، بوجود محتسب من بني سُليم بن منصور يدعىٰ حكيم بن أمية بن حارثة بن الأوقص، «كان بمكة في الجاهلية محتسباً، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر»(٢). ولم يعلق

(١) Cl. Cahen, M. Talbi, R. Mantran, A. K. S. lambton, A. S. Bazmee Ansari, «Hisba», EI², Vol, III, pp 485 - 493.

وانظر أيضاً، الناطق بالحق، الناصر للحق، كتاب الاحتساب، نشره:

R. B. Serjeant, A Zaidi Manual of Hisba, Rivista Degli Studi Orientali, Vol, 28, 1953, pp 1 - 34.

(٢) ابن حزم: جمهرة أنساب العرب ٢٦٣،
جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ٥١٨/٤

جواد علي على هذا النص، أو يشير إليه في حديثه عن مكة المكرمة، أو الحياة اليومية للعرب قبل الإسلام(٣). لكن من هو حكيم بن أمية السلمي هذا؟ وكيف استطاع وهو خارج عن نسب قريش، أن يتقلد هذا المنصب؟ وما هي اختصاصاته وعمله؟ هذا ما تتولى المصادر الإجابة عنه.

مصادر النصوص:

- ابن الكلبي: هناك عدة مصادر قبل جمهرة أنساب العرب لابن حزم وبعده، نوّهت إلى هذا الوجود، وفي مقدمتها «جمهرة النسب» لابن الكلبي (ت ٢٠٤هـ). وقد أورد ذلك في أثناء حديثه عن نسب بني سليم بن منصور ابن عكرمة، حيث قال: «منهم حكيم بن أمية بن حارثة بن الأوقص بن مرة ابن هلال، حليف بني أمية. كان حكيم محتسباً في الجاهلية، ينهىٰ عن المنكر، وفيه يقول رجل من قريش، يقال إنه عثمان بن عفان:

أطوِّف بالمطابخ(٤) كل يوم مخافة أن يشردني حكيم»(٥)

وليس من شك في أن محالفة حارثة بن الأوقص السلمي لبني أمية، الأسرة القرشية المرموقة، هي التي مهدت لحكيم بن أمية السلمي تولي منصب محتسب قريش في مكة، وبخاصة أن «حليف القوم منهم»، فيما عرف عن العرب قبل الإسلام، وأكده الرسول الكريم بعد ظهور الإسلام(٦). لكن ابن الكلبي لم يبيّن لنا كيف تمت هذه المحالفة؟ وما هي مناسبتها ودواعيها؟

---

(٣) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ٤/٥ - ١٢٧، ٦٠٦ - ٦٨٦، ١٠/٨٥

(٤) المطابخ: شِعب بأعلىٰ مكة، نحر فيه مضاض بن عمرو بن قعيقعان للناس فأطعمهم، فاطبخ الناس وأكلوا فسمي الشعب بالمطابخ لذلك. وهناك من يزعم أنها سميت بذلك لأن تبّع نحر بها وأطعم، وكانت منزله. ابن هشام: السيرة النبوية ١/١١٨، وانظر معجم البلدان ٥/١٤٧، البلادي: معالم مكة ٢٧٨، ٢٧٩. وقد وردت في مصادر أخرى «بالأباطح» كما سيتبين في سياق البحث.

(٥) ابن الكلبي: جمهرة النسب ٢/١٠٠، ١٠١.

(٦) سنن الدارمي، سير ٨١، فنسنك: المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي مادة «حلف».

وهل كانت تكفي كي يتقلد حكيم السلمي منصباً خطيراً كهذا؟

- ابن حبيب البغدادي: لقد أوضح تلك المحالفة بشكل جلي، محمد ابن حبيب البغدادي (ت ٢٤٥هـ)، في كتابه «المنمق في أخبار قريش» عند حديثه عن حلف حارثة بن الأوقص السلمي فقال: «وكان من أمره، أن حارثة كان رجلاً متعبداً. فقال بيتاً من الشعر:

ألا كـل شـيء بيـن زَوْر ومَنْـور   يصيـر إلى ذات الإله فيحسب(٧)

وكان حارثة يتمثله إذا طاف بضِمار، وكان بيتاً فيه صنم لهم(٨)، فقيل له: «إن بيتاً بمكة، يتعبد له أهله وكل من جاء من العرب. قال: فهو أولى من هذا البيت، لأخرجنّ إليه، قالوا: إنك لا تستطيع أن تقيم به، إلا أن تحلف أهله، فخرج حتى قدم مكة، فحالف أمية بن عبد شمس بن عبد مناف. وكان حارثة يتعبد حول البيت، ثم ولد له فكان حكيم أشبه ولده به، فاستعملته قريش على سفهائها. فقال عدي بن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس، وكان من فتيان قريش، ويقال الحارث بن أمية الأصغر يقول في ذلك:

أُطَـوِّفُ بـالأبـاطِـحِ(٩) كُـلَّ يَـوْم   مَخـافـةَ أَنْ يُشَـرِّدَ بي حَكِيمُ»(١٠)

ويتضح من هذا النص الذي رواه ابن حبيب عن ابن أبي ثابت،

---

(٧) في الأصل المحقق فحسب، والأصح ما أوردناه، مما يقتضيه المعنى والوزن. وزَوْر جبل في ديار بني سليم، ومَنْور جبل آخر بظهر بني سليم أيضاً، معجم البلدان ٣/١٥٧، ٥/٢١٦، تاج العروس «نور».

(٨) كان ضمار صنماً لمرداس بن أبي عامر السلمي، فلما توفي وضعه ابنه العباس في بيت يتعبد له، ثم أحرقه بعد إسلامه. الأغاني ١٤/٢٨٥، ٢٨٦، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ٤/٥١٩

(٩) الأباطح: جمع أبطح وبطحاء، وهي الأماكن المنبسطة المتسعة حول مكة، وفيها مِنىً، معجم البلدان ١/٤٤٦، لسان العرب «بطح».

(١٠) ابن حبيب البغدادي: المنمق في أخبار قريش ٢٨٥، ٢٨٦

عبد العزيز بن عمران الزهري، الذي كان صاحب نسب(١١)، كيف حالف ابن الأوقص السلمي أسرة أموية قرشية، وأن هذه المحالفة وحدها هي التي مكنته من الإقامة في مكة، والاندماج التدريجي في هذه الأسرة، وهذه المحالفة عرفت قبل الإسلام وبعده، في المجتمع القبلي والمجتمع الحضري في المدن العربية الإسلامية الجديدة، كالبصرة والكوفة وواسط وغيرها، مما عرف أيضاً بالولاء لغير العناصر العربية، وقيل في ذلك «مولى القوم منهم»(١٢).

لكن هذه المحالفة وإن مهدت السبيل أمام حكيم بن أمية السلمي لتولي منصب حسبة قريش، إلاّ أن ذلك كان لا بد له من موافقة جماعية من قريش، وهو ما نفهمه ضمناً من عبارة ابن حبيب التي يقول فيها «فاستعملته قريش على سفائها».

- ابن حجر: كما أن ابن حجر العسقلاني نوّه بهذه الموافقة صراحة نقلاً عن الفاكهي محمد بن إسحاق بن العباس (ت حوالي ٢٨٠هـ)، في «كتاب مكة» قائلاً: «وكان حكيم قبل البعثة قائماً على سفهاء قريش، يردعهم، ويؤدبهم باتفاق من قريش على ذلك»(١٣)، وأفاد النص أيضاً أن حكيماً كان حليف بني أمية، وأن ابن هشام ذكر له شعراً، ينهىٰ فيه بني أمية عن عداوة رسول الله ﷺ. كما يذكر أن هذه الرواية استقاها الفاكهي عن ابن(١٤) أبي ثابت الزهري(١٥).

(١١) ابن حجر: تهذيب التهذيب ٦/٣٥١، وصاحب نسب أي يهتم بالأنساب.

(١٢) مسند ابن حنبل ٣/٤٤٨، ٦/٨، ٩، ١٠

(١٣) ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة ١/٣٤٩، ترجمة رقم ١٧٩٨

(١٤) سقطت من نص ابن حجر، والصحيح ما أثبتناه نقلاً عن المنمق ٢٨٥.

(١٥) المصدر نفسه. هذا ولم يرد اقتباس ابن حجر عن الفاكهي، فيما نشره فستنفيلد في «أخبار مكة المشرفة» من منتخبات تاريخ مكة للفاكهي، بعنوان: «كتاب المنتقى في أخبار أم القرى» ج٢ ص ٣ - ٥١

والجديد في هذا النص أنه يذكر موافقة قريش على تولي حكيم بن أمية السلمي الإشراف على سفهاء مكة، وأنه كان يتولى هذا المنصب قبل البعثة، وأنه قال شعراً ينهىٰ فيه حلفاءه بني أمية عن معاداة الرسول الكريم.

- ابن الأثير: وأمدنا ابن الأثير في «أسد الغابة» بشيء من هذا الشعر في ترجمته لحكيم بن أمية، الذي يقول عنه إنه «حليف بني أمية، أسلم قديماً بمكة، وقال ينهىٰ قومه عما أجمعوا عليه من عداوة رسول الله ﷺ، وكان فيهم مطاعاً، وهي أبيات منها:

تبرأت إلّا وجه من يملك الصبا ... وأهجركم ما دام مُدْلٍ ونازع

وأُسلم وجهي للأنام[16] ومنطقي ... ولو راعني من ذا الصديق روائع[17]

وقد أوضح ابن الأثير، أن هذا النص ذكره ابن شاهين[18]، عن ابن إسحاق[19]، وأنه نقله من خط الأشيري[20] الأندلسي الإمام الفاضل[21]. وهذا النص هو الوحيد فيما نعلم الذي يذكر إسلام حكيم بن أمية السلمي، ووقوفه منذ البداية إلى جانب الرسول الكريم، ونهي قومه عن معاداته، وهجره إياهم ما دامت هذه العداوة والمنازعة.

- الأزرقي: أما المصدر الآخر الذي تحدث عن حكيم بن أمية السلمي

---

(16) كذا في الأصل، وربما الأصح «للإله»

(17) ابن الأثير: أسد الغابة في معرفة الصحابة ٢/ ٣٩

(18) ابن شاهين: هو عمر بن أحمد بن عثمان، أبو حفص (ت ٣٨٥هـ)، صاحب نسب، له تصانيف في التفسير والحديث والتاريخ والزهد. الذهبي: سير أعلام النبلاء ١٦/ ٤٣١ - ٤٣٥

(19) لم ترد أبيات من الشعر لحكيم بن أمية السلمي في السيرة الحالية لابن هشام، وربما وجدت في أصل سيرة ابن إسحاق الكاملة.

(20) الأشيري: هو عبد الله بن محمد الصنهاجي (ت ٥٦١هـ)، كان إماماً في الحديث، وله علم في النحو واللغة. سير أعلام النبلاء ٢٠/ ٤٦٦، ٤٦٧

(21) ابن الأثير: أُسد الغابة في معرفة الصحابة ٢/ ٣٩.

في مكـة، فهو كتـاب «أخبار مكـة» للأزرقي (ت حـوالي ٢٤٥هـ)(٢٢)، المعاصر لابن حبيب البغدادي. فقد ذكر الأزرقي أن «قريشاً كانت قد أمّرت حكيم بن أمية السلمي على سفهائها(٢٣)، وهو الذي يقول فيه الحارث بن أمية الأصغر:

أقـرر(٢٤) بـالأبـاطـح كـل يـوم مخـافـة أن يشـردني حكيم(٢٥)

ويضيف أن حكيماً هذا كان يقيم في دار عتبة بن ربيعة بن عبد شمس في مكة(٢٦). وهنا يحدد لنا الأزرقي قائل بيت الشعر، ومكان إقامة حكيم بن أمية السلمي في مكة، وهو أمر مهم في تأكيد محالفته لبني أمية.

- البلاذري: ويلقي البلاذري (ت ٢٧٩هـ)، مزيداً من الضـوء على محتسب مكة قبل الإسلام، وذلك في أثناء حديثه عن نسب بني سليم بن منصور بن عكرمة. إذ يقول: «ومنهم حكيم بن أمية بن حارثة بن الأوقص بن مرة بن هلال، حليف بني أمية، وقال غير الكلبي حليف بني عبد مناف بن قصي. وكـان حكيم محتسباً في الجـاهلية، يـأمر بـالمعـروف وينهىٰ عن المنكر، ويؤدب الفساق، ويحبسهم، وينفيهم. وفيه يقول الشاعر، ويقال إنه عثمان:

أطـوّف في الأبـاطـح كـل يـوم مخـافـة أن يشـردني حكيم(٢٧)

واضح من نص البلاذري أنه اقتبس جوهره عن ابن الكلبي، إلا أنه أضاف إلى النص أشياء منها:

---

(٢٢) انظر: رشدي الصالح ملحس، مقدمته لتحقيق أخبار مكة ١٥.

(٢٣) في الأصل «سقائها»، وهو تصحيف، والصحيح ما أثبتناه.

(٢٤) أقرر: أقيم وأستقر، لسان العرب قرر.

(٢٥) الأزرقي: أخبار مكة ٢/٢٤٢

(٢٦) المصدر نفسه.

(٢٧) البلاذري: أنساب الأشراف ١٢/١١٩٤، ١١٩٥

١ ـ أن غير الكلبي من النسابين والإخباريين والرواة، يقول إن حارثة بن الأوقص السلمي كان حليف بني عبد مناف، إلا أنه لم يذكر اسم أحد من هؤلاء.

٢ ـ أضاف عبارة «يأمر بالمعروف»، إلى نص ابن الكلبي الذي اقتصر على عبارة «ينهىٰ عن المنكر» وربما كان البلاذري في ذلك متأثراً بالمفهوم الإسلامي للمحتسب.

٣ ـ أوضح اختصاصات حكيم المحتسب، بتأديب الفسّاق، وحبسهم، ونفيهم، مما يعني أن محتسب قريش قبل الإسلام كان لديه في مكة مكان يحتجز فيه الفسّاق.

٤ ـ أن ابن الكلبي وحده، هو الذي ذهب إلى محالفة حارثة بن الأوقص السلمي لبني أمية. في حين أشار إلى ذلك كل من ابن حبيب، والبلاذري، والفاكهي برواية ابن حجر، وابن الأثير كما أشرنا.

محالفة حارثة السلمي لقريش :

وممن ذهب إلى محالفة حارثة بن الأوقص لبني عبد مناف، مصعب الزبيري في كتابه «نسب قريش»(٢٨). أما ابن حزم، فإنه أغفل ذكر شيء عن هذه المحالفة(٢٩). لكننا نرجح روايات المصادر عن محالفته بني أمية، لأن أمية بن حارثة بن الأوقص السلمي، كان متزوجاً من أميمة بنت عبد شمس. ابن عبد مناف، أخت أمية الأكبر الجد الأعلى للأسرة الأموية. وأميمة هذه والدة حكيم محتسب قريش. وقد يكون هذا الزواج أو المصاهرة جاءت نتيجة لمحالفة جده لبني أمية، وليس من المستبعد أيضاً أن يكون حارثة السلمي سمىٰ ابنه أمية نتيجة لتلك المحالفة. كما أن مرداس بن أبي عامر السلمي، حالف حرب بن أمية بن عبد شمس، وأبا العاص بن أمية بن عبد

---

(٢٨) مصعب الزبيري: نسب قريش ٩٧

(٢٩) ابن حزم: جمهرة أنساب العرب ٢٦٣

شمس. وقال مرداس في حلفائه من بني أمية(٣٠):

لهم نسب وحالفهم أبونا | بمكة حيث تختلف الزُّجاجُ(٣١)

وقال أيضاً:

إني أخذت بني حرب وإخوته | إني بحبل شديد العقد دساسُ

إني أُقوِّم قبل الأمر حجته | كيما يقال ولي الأمر مرداسُ

كذلك فإن إشارة الأزرقي إلى أن حكيم بن أمية كان يقيم في دار عتبة ابن ربيعة بن عبد شمس، أخي أُمية بن عبد شمس، لها دلالتها في تأكيد تلك المحالفة. وأيّاً كان الأمر، فإن المصادر التي أشارت إلى محالفة حارثة السلمي لبني عبد مناف، لم تذهب بعيداً، إذ إن عبد شمس نفسه هو من بني عبد مناف، كما أن عمة حارثة بن الأوقص جد حكيم، وهي عاتكة بنت مرة بن هلال السلمي، تزوجت عبد مناف نفسه، وهي أم هاشم وعبد شمس والمطلب من أبنائه(٣٢).

وليست محالفة بني سليم لقريش، إلاّ واحدة من محالفات عدة عقدتها قبائل مختلفة مع قريش، لمكانتها الدينية والتجارية(٣٣). وكانت بنو سليم «تُعد من القبائل الهامة في الحجاز، كما كان كثير من رجالها على صلات وثيقة بقريش. وقد تحالف معهم أشراف مكة وكبارها، لما لهم من علاقات اقتصادية بهذه القبيلة»(٣٤).

---

(٣٠) ابن حبيب البغدادي: المنمق في أخبار قريش ٣٣٠، ٣٣١

(٣١) الزُّجاج: جمع زج الرمح، وهو الحديدة التي في أسفل الرمح ليركز في الأرض، تاج العروس «زجج». وقد يذهب المعنى هنا إلى الرماح ذاتها.

(٣٢) جمهرة أنساب العرب ٢٦٣

(٣٣) المنمق في أخبار قريش ٢٨٠ ـ ٣٠٠

(٣٤) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ٥١٨/٤، ٥١٩، وانظر أيضاً:

H. Lammens, Sulaim B. Mansur, E I[1] (Photomechanical Reprint)

1987, Vol VII, p518.

حول قائل الشعر: وعلى الرغم من أن الأزرقي أكّد أن الحارث بن أمية الأصغر هو قائل بيت الشعر المذكور، إلا أننا نلاحظ اختلافاً في بعض المصادر حول قائل هذا الشعر، الذي كان يتهدده حكيم بن أمية السلمي محتسب قريش بالنفي والتشريد، لأنه كان من سفهاء قريش، كما ذكر كل من ابن حبيب البغدادي، وابن حزم. فابن الكلبي والبلاذري يشكان في قائله، بعبارتهما «ويقال إنه عثمان بن عفان»، في حين يخالفهما ابن حبيب، وينسب البيت إما إلى عدي بن الربيع بن عبد مناف بن عبد شمس، أحد فتيان قريش، أو إلى الحارث بن أمية الأصغر بن عبد شمس. أما ابن حزم فإنه يتجنب تحديد القائل، وينسب بيت الشعر المذكور إلى أحد سفهاء قريش.

ومما يؤسف له، أن معلوماتنا شحيحة عن سيرة القرشيين وغيرهم من العرب قبل الإسلام، لأن أصحاب التراجم إنما ركزوا اهتمامهم منذ البداية على رجالات صدر الإسلام ومن جاء بعدهم من الصحابة والتابعين ورواة الحديث. وينفرد المحب الطبري بذكر إشارة موجزة عن حياة عثمان بن عفان قبل الإسلام، وذلك عندما حدّث عثمان ابنه عمرواً عن نفسه فقال: «كنت رجلاً مستهتراً بالنساء»(٣٥)، وأنه حسد عتبة بن أبي لهب على زواجه من رقية بنت الرسول الكريم، التي كانت ذات جمال رائع، وتحسّر لأنه لم يسبقه إلى زواجها(٣٦). والاستهتار في اللغة الولع بالشيء وعدم التحدث بغيره، واستهتر الرجل بفلانة وأهتر بها، أي أنه أصبح لا يبالي بما قيل فيه لأجلها(٣٧). ويفهم من النص في ضوء هذا المعنىٰ، أن عثمان كان مولعاً بالنساء الجميلات، ويتمنىٰ الزواج منهن. ولم يرد في أي مصدر أو مرجع أن عثمان بن عفان كان يتعرض للنساء ويضايقهن قبل الإسلام، مما يستوجب

---

(٣٥) المحب الطبري: الرياض النضرة في مناقب العشرة ٧/٣.

(٣٦) المحب الطبري: الرياض النضرة في مناقب العشرة ٨/٣

(٣٧) لسان العرب، تاج العروس «هتر».

من محتسب قريش أن يشرده وينفيه من مكة.

أما عدي بن الربيع بن عبد العزىٰ بن عبد شمس، فكان كما يقول ابن حبيب من فتيان قريش. وفتيان قريش هم أبناء الأغنياء والجاه، وكان هؤلاء كما يقول جواد علي: «جماعة من أبناء الأسر، يعيشون عيشة شباب وعبث، تلهو وتشرب، وتنفق وتعطي، وتغيث، وتتسابق، وتقتل وقتها في اللذة والاستمتاع، وفي الإنفاق على الجسد... حتى إن أحدهم سرق من خزانة الكعبة، لينفق مما سرقه على شربه وقيانه»(٣٨). ويضيف أن شباب القرىٰ والمدن، ولا سيما أهل الجمال منهم، كانوا يتسكّعون في الأسواق، وفي مواضع التجمع حتى في المعابد، ليعبثوا في كلامهم مع الفتيات وليتحدثوا إليهن. وقد اضطر آباء بعض هؤلاء الشباب وأقرباؤهم إلى تقريعهم على ذلك، حتى مُنع البعض من الشباب الجميل، من التأنق في الملبس حتى لا يلفتوا إليهم أنظار الفتيات(٣٩).

ومثل هؤلاء الفتيان كانوا دون شك، كما يُفهم من المصادر السابقة، موضع تعقب المحتسب حكيم بن أمية السلمي، ومعاقبتهم بالردع، أو التأديب بالسجن، أو بالتشريد، أو بالنفي. ولذلك فإن الباحث يرجح أن يكون قائل بيت الشعر هو الحارث بن أمية الأصغر، أحد أولئك الفتيان، وهو ما ذكره صراحة الأزرقي المكي، وقديماً قيل «أهل مكة أدرى بشعابها». كذلك فإن الحارث ينتمي إلى عبد شمس الذي نافس عبد المطلب وآل هاشم على التجارة، فحصل على ثراء طائل، حتى غدا مع رجال من نسله من أغنىٰ رجال مكة(٤٠)، وكان من عقب هؤلاء الحارث بن أمية الأصغر، وهو ممن ورث الثراء والترف. وقد سبق واستبعدنا أن يكون القائل عثمان،

---

(٣٨) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ٦٦٢/٤ - ٦٦٤

(٣٩) ابن حبيب البغدادي: المحبر ٢٣٢، ٢٣٣، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ٦٦٢/٤

(٤٠) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ٨٣/٤

بالرغم من أنه ورث بين الصّبا والشباب ثروة كبيرة ومالاً نامياً عن أبيه عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس، الذي كان تاجراً واسع التجارة، وتوفي في إحدىٰ رحلاته التجارية إلى بلاد الشام(٤١). إضافة إلى ما نمّاه هو من أموال وثروة قدرت عند وفاته بمائة وخمسين ألف دينار، وألف ألف درهم نقداً، عدا عن مائة وخمسين ألف دينار أخرىٰ، قيمة ضياعه بوادي القرىٰ وحُنـيْن، فضلاً عما خلّفه من خيل كثير وإبل(٤٢)، ناهيك عما أنفقه وتصدق به في حياته المديدة. ومهما قيل في قائل البيت المذكور، فإنه يمكن الاستنتاج من مفهوم السفهاء، وما قيل عن الفتيان، أن حكيم بن أمية السلمي كان يشرف على الآداب العامة في المجتمع القرشي قبل الإسلام، ويحافظ على تقاليده وأعرافه، وهذا جزء مهم من واجبات المحتسب الإسلامي.

تساؤلات: هنا يحق لنا التساؤل عما إذا كانت مهمة حكيم السلمي، قد أطلق عليها اسم المحتسب فعلاً في المجتمع القرشي قبل الإسلام؟ أم أن هذا الاسم أطلقه عليه أصحاب المصادر الإسلامية، بعد أن عرفوا منصب المحتسب في مجتمعاتهم؟ وأخيراً هل كانت مهمة محتسب مكة قبل الإسلام دائمة أم مؤقتة؟

ابتداءً، لا بد من الرجوع إلى معاجم اللغة، التي تفيد بأن «احتسب فلان على فلان، أنكر عليه قبيح عمله»(٤٣)، ومنه جاءت كلمة المحتسب(٤٤). وهذا ما يجعلنا لا نستبعد أن تكون قريش ربما هي التي أطلقت على حكيم بن أمية السلمي اسم المحتسب، لأنه كان ينكر على سفهاء قريش وفتيانها قبيح أعمالهم، ويمنعهم منها ويؤدبهم عليها. لكن مما

---

(٤١) عباس محمود العقاد: ذو النورين، عثمان بن عفان ٦١، طه حسين: الفتنة الكبرى ٥١/١

(٤٢) المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر ٣٣٢/٢

(٤٣) لسان العرب، تاج العروس «حسب».

(٤٤) تاج العروس «حسب».

يضعف هذا الاعتقاد أننا لا نجد استعمالاً لهذه الكلمة بهذا المعنى قبل حكيم ولا بعده قبل الإسلام. يضاف إلى ذلك أنه بالرغم من أن ابن الكلبي والبلاذري وابن حزم هم الذين أشاروا إلى تعيين حكيم بن أمية السلمي محتسباً في مكة قبل الإسلام، فإن الأزرقي، وابن حبيب، والفاكهي في رواية ابن حجر، اكتفوا بالقول إن قريشاً استعملته، أو أمّرته على سفهائها، مما يرجح القول إن اسم المحتسب أُلحِق بحكيم بن أمية السلمي بعد ظهور منصب المحتسب في وقت لاحق. يعزز ذلك مسألة جوهرية، وهي أن اسم المحتسب، لا يظهر في المصادر الإسلامية، إلا ابتداءً من مطلع القرن الثاني للهجرة فيما نعلم. ويعتبر البلاذري (ت ٢٧٩هـ)، في حدود مطالعاتنا، أول من أورد منصب ولاية الحسبة في أوائل ذلك القرن، وذلك خلال ترجمته للقاضي المشهور إياس بن معاوية المزني (ت ١٢١هـ). فقد ذكر البلاذري رواية في هذا الخصوص قال فيها: «وحدثني عبد الله بن صالح المقري، عن ابن كُناسة(٤٥)، قال: لما ولي عمر بن هبيرة العراق، أيام يزيد بن عبد الملك (١٠١ - ١٠٥هـ)، دعا إياساً إلى ولاية القضاء فأبى عليه، فضربه أسواطاً وأجبره على ولاية الحسبة بواسط»(٤٦). وكرر البلاذري الخبر في أثناء حديثه عن أبان بن الوليد البجلي، صاحب شرطة خالد بن عبد الله القسري، الذي ولي العراق بعد عمر بن هبيرة، فقال نقلاً عن المدائني: «كان أبان كاتباً لإياس بن معاوية بن قرة المزني. وكان إياس يلي سوق واسط والحسبة، أجبره ابن هبيرة على أن ولاه ذلك، فضربه أربعين سوطاً حتى

---

(٤٥) ابن كناسة: هو محمد بن عبد الله بن عبد الأعلى الأسدي، أبو يحيى الكوفي (ت ٢٠٧هـ)، كان له علم بالعربية والشعر وأيام الناس، وروى بعض الحديث وعده ابن حبان في الثقات. وهو ابن أخت الزاهد إبراهيم بن أدهم، وله كتاب «معاني الشعر»، وكتاب «سرقات الكميت من القرآن»، وكتاب «الأنواء». انظر: ابن قتيبة: المعارف ٥٤٣، النديم الوراق: الفهرست ٧٧، الأغاني ١٣/٣٣٨، تهذيب التهذيب ٩/٢٥٩،
CH. Pellat, Ibn Kunasa, E I², Vol III, p 843

(٤٦) أنساب الأشراف ٨/٨٠٩، أنساب الأشراف - الخزانة الملكية بالرباط ٤/١٦٦

تقلده، فكان أبان يحمل الدواة والقرطاس لإياس، فلما قدم خالد ولّاه شرطه»(٤٧)، ويتضح من هذا النص أيضاً أن المحتسب كان له كاتب في ذلك الوقت، مما يشير إلى بداية ظهور أعوان للمحتسب، عرفوا فيما بعد، إثر نظام الحسبة الإسلامي.

وكثرت بعد ذلك الإشارات إلى المحتسب في العصر العباسي، ابتداءً من عاصم بن سليمان الأحول (ت ١٤٢هـ)، الذي «كان بالكوفة على الحسبة في المكاييل والأوزان»(٤٨)، في أوائل عهد الدولة العباسية فيما يبدو. كما ذكر الطبري أن يحيىٰ بن عبد الله، أبا زكريا كان على حسبة بغداد والأسواق سنة ١٥٧هـ، في خلافة المنصور(٤٩)، وكذلك عبد الجبار المحتسب في عهد المهدي(٥٠)، ونافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم إمام أهل المدينة في القراءة، الذي كان محتسباً توفي في عهد المهدي أيضاً عام ١٦٩هـ(٥١). وليس من هدف هذا البحث تتبع نشأة الحسبة في العالم الإسلامي، وإنما التدليل على استمرار منصب المحتسب منذ أوائل القرن الثاني الهجري في هذا العالم.

لكن المهم، أننا نجد أنفسنا أمام فجوة زمنية تقدر بقرن هجري، لا نعثر في مصادره في حدود مطالعاتنا، على أي إشارة إلى منصب المحتسب. ونواجه عوضاً عن ذلك، منذ صدر الإسلام حتى نهاية القرن الأول الهجري، مصطلح «عامل السوق» بديلاً لمنصب المحتسب. وهذا ما يجعلنا نرجِّح

---

(٤٧) أنساب الأشراف ٨/٢٩٠.

(٤٨) ابن سعد: الطبقات الكبرىٰ ٧/٣١٩، تهذيب التهذيب ٥/٤٣، إلا أن وكيع القاضي، والذهبي يذكران أن عاصم الأحول كان محتسباً في المدائن، أخبار القضاة ٣/٣٠٤، سير أعلام النبلاء ٦/١٣

(٤٩) تاريخ الطبري ٧/٦٥٣

(٥٠) المصدر نفسه ٨/١٤٨

(٥١) أبو الفداء: المختصر في أخبار البشر ٢/١٢

أن يكون إخباريو القرنين الثاني والثالث للهجرة ومؤرخوهما ونسابوهما، قد أطلقوا اسم المحتسب على حكيم بن أمية السلمي، في المجتمع القرشي قبل الإسلام، وذلك عندما وجدوا - فيما يبدو - تشابه مهمته ببعض الاختصاصات التي كان المحتسب يتولاها في المجتمعات الإسلامية، ومن أهمها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والمحافظة على الآداب العامة، وعلى تقاليد المجتمع وأعرافه، وهو ما كان حكيم السلمي يقوم به. يضاف إلى ذلك أن النظام القبلي عند العرب، عرف إجراءً قريباً مما كان يقوم به حكيم السلمي، وهو التهديد بالخلع لكل من أجرم أو عمل عملاً يتنافى مع شرفه أو شرف قبيلته، كاسراً أعراف آله وقبيلته، حيث يهيم من يصر على فعل ذلك طريداً منفياً، يلتمس جوار رجل من عشيرة أو قبيلة أخرى(٥٢).

وسواء كان يُطلق على حكيم بن أمية السلمي اسم المحتسب حقيقة، أو أن الإسلاميين اللاحقين أطلقوه عليه، فإن جوهر مهمته كآمر بالمعروف، وناه عن المنكر، وحافظ للآداب العامة، وتقاليد المجتمع القرشي قبل الإسلام، تجعله مؤهلاً لمهام منصب المحتسب أو بعضها. وهذه ظاهرة ليست غريبة على التاريخ العربي قبل الإسلام وبعده، فقد أقر القرآن الكريم والسنة المطهرة، العديد من أحكام المجتمع العربي بعامة، والمجتمع القرشي بخاصة، وذلك بعد تعديلها وتنقيحها وتوضيحها.

ومن بين هذه الأحكام بالإضافة إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الذي كان يضطلع به حكيم بن أمية السلمي، نذكر حج البيت، وأداء العمرة، والطواف بالبيت، ومسح الحجر الأسود، والسعي بين الصّفا والمروة، والتلبية، والوقوف بعرفة بآستثناء قريش، ورمي الجمار، وعدم نكح الرجل لابنته، وأمه، وأخته، وخالته، وعمته، وحفيدته، وابنة أخيه،

(٥٢) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ٤ / ٤١٠

وابنة أُخته، وكراهية الجمع بين الأختين، وخلف الرجل على امرأة أبيه، والطلاق ثلاثاً، وقطع يد السارق اليمنى، وصلب قاطع الطريق، وعدم أكل الميتة، والقسامة، والوفاء بالعهود. فضلاً عن المضمضة، والاستنشاق، والسّواك، والختان، وحلق العانة، ونتف الإبطين، وتقليم الأظافر، والاستنجاء والغسل من الجنابة، وغسل الميت، وتكفينه، والصلاة عليه، وحمله على سرير(٥٣).

والمعروف أن قصي بن كلاب هو الذي بنىٰ المشعر في مزدلفة، فكان يسرج عليه ليهتدي به أهل عرفات إذا أتوا مزدلفة، فأبقاه الله مشعراً، وأمر بالوقوف عنده(٥٤). كما حكم عامر بن الظرب العدواني في الخنثى، حكماً جرىٰ حكم الإسلام به، وانتهج هذا الحكم ذرب بن حوط الطائي، فقال فيه أدهم بن أبي الزعراء الطائي:

منا الذي حكم الحكوم فوافقت في الجاهلية سنة الإسلام

وورّث عامر بن جشم اليشكري، ذو المجاسد، لولده للذكر مثل حظ الأنثيين، فوافق حكم الإسلام(٥٥). كما عدد محمد بن حبيب خمساً وعشرين شخصاً من قريش وغيرها من العرب، كانوا يحرّمون على أنفسهم الخمر والسكر والأزلام(٥٦).

وليس هذا التوافق بالأمر المستغرب، إذ عرف العرب قبل الإسلام دين الحنيفية، الذي جاء به إبراهيم عليه السلام، وأتىٰ الإسلام ليحييه ويكمله. وفي ذلك يقول تعالىٰ: «وَمَنْ أَحْسَنُ دِيناً مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ للهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً»(٥٧). وقال في محكم تنزيله: «قُلْ إِنَّنِي

---

(٥٣) ابن حبيب: المحبر ٣١٠ ـ ٣٣٧، المفصل ٥/٥٢٨ ـ ٥٣٠، ٥٥٠

(٥٤) المحبر ٣١٩

(٥٥) المصدر نفسه ٢٣٦، ٢٣٧

(٥٦) المحبر ٢٣٧ ـ ٢٤٠، المنمق ٥٣١، ٥٣٢

(٥٧) سورة النساء آية ١٢٥

هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِيناً قِيَماً مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً»(٥٨). كما قال: «مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ»(٥٩). ومن هنا فإننا نرجح أن تكون هذه الأحكام والسنن، التي كانت تمارس قبل الإسلام، إنما كانت من بقايا تعاليم الحنيفية ومبادئها. كما لا نستبعد أيضاً أن يأتي بعضها مما تقبله الفطرة وتهتدي إليه، والإسلام كما نعلم هو دين الفطرة السليمة.

كذلك فإن وجود نظام شبيه بالحسبة في المجتمع القرشي قبل الإسلام، يعتبر أمراً طبيعياً في مجتمع عرف الكثير من المؤسسات والنظم والتقاليد الحضارية، ومن بينها دار الندوة، والملأ، والسقاية، والحجابة، والسدانة، والإيلاف، وحلف الفضول، الذي تحالف فيه بعض زعماء قريش على «ألا يدعوا أحداً يظلم بمكة أحداً، إلّا نصروا المظلوم على الظالم وأخذوا له بحقه»(٦٠). فجاء من يقوم بمهمة المحتسب في مكة، ليضيف إلى هذه المعالم الحضارية، مظهراً حضارياً آخر في المجتمع القرشي قبل الإسلام.

أخيراً، فإننا نميل إلى الظن أن مهمة القائم على سفهاء قريش، لم تكن مهمة دائمة، وإنما كانت تظهر كلما دعت الحاجة إلى ذلك، نتيجة لشيوع فساد أولئك السفهاء، وتذمر المجتمع القرشي من هذا الفساد، كما حدث قبيل الإسلام نتيجة طبيعية لازدياد الثروات في ذلك المجتمع التجاري، وإقبال أبناء التجار الأغنياء على حياة اللهو والترف والفساد.

ولعل ما تقدم يضيف إلى الحسبة الإسلامية أصالة وجذوراً، كانت في المجتمع القرشي العربي في مكة قبل الإسلام، مما يعزز حجة أصحاب الرأي القائل، إن الحسبة الإسلامية نظام أصيل نابع من البيئة العربية

---

(٥٨) سورة الأنعام آية ١٦١

(٥٩) سورة الحج آية ٧٨

(٦٠) المحبر ١٦٧

الإسلامية(٦١)، وزاده أصالة ما كان له من جذور في المجتمع القرشي قبل الإسلام.

خلاصـــة البحـــث:

نخلص من هذا البحث أن المجتمع المكي القرشي، واجه قبيل الإسلام أوضاعاً اجتماعية، كثر فيها سفه فتيان قريش، وخروجهم على أعراف المجتمع القرشي وتقاليده، وذلك نتيجة للازدهار التجاري في مكة، وكثرة الثروات فيها، وإقبال هؤلاء الفتيان السفهاء على الإيغال في حياة الترف والبذخ، والإساءة إلى قيم المجتمع وتقاليده، مما جعل زعماء القبائل والأسر القرشية، تتفق على ضرورة تولية شخصية مرموقة مهمة تتبع أعمال هؤلاء السفهاء، وردعهم، وتأديبهم، وحبسهم، ونفيهم، وتشريدهم، حتى يكونوا عبرة لغيرهم من السفهاء، ويضع ذلك حداً لهذه الظاهرة، أو التقليل منها ما أمكن.

وقد وقع اختيار زعماء قريش على حكيم بن أمية السلمي، حليف بني أمية، الذي كان ينتمي إلى قبيلة تربطها بقريش روابط دينية وتجارية، وكان هو نفسه متديناً متعبداً مثل جده حارثة بن الأوقص السلمي، مما أكسبه احتراماً وتقديراً وطاعة في مكة، ومكنه من القيام بهذه المهمة خير قيام، حتى هابه سفهاء قريش، وأخذوا يتوارون عن أنظاره في أعالي مكة وضواحيها.

وبيّنا كذلك أن مهمة حكيم السلمي، في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كان لها صدى في التعاليم الإسلامية، على الرغم من اختلاف القيم والمبادىء التي كان ينطلق منها حكيم، عن تلك التي أقرها الإسلام ودعا إليها.

---

(٦١) انظر على سبيل المثال: إسحاق موسى الحسيني: الحسبة في الإسلام، مجلة «المسلمون» العددان ٢، ١٩٦٤/٤.

محمد المبارك: الدولة ونظام الحسبة عند ابن تيمية ٧٧

رشاد معتوق: نظام الحسبة في العراق في عصر المأمون ٦٩ ـ ٧٦

ونوّهنا في ختام البحث، بأن ظهور نظام شبيه بالحسبة الإسلامية في المجتمع القرشي قبل الإسلام، يؤكد ما يدعو إليه كثير من الباحثين إلى أن نظام الحسبة نظام أصيل، نابع من البيئة العربية الإسلامية ومجتمعاتها، وليس من الضرورة أن يكون مقتبساً عن النظم الأجنبية التي شهدتها المنطقة العربية.

المصـــادر والمراجــع

مصـــادر مخطـوطة :

البـــلاذري : أحمد بن يحيىٰ بن جابر (ت ٢٧٩هـ)
«أنســاب الأشـراف»، مصــور نسخـة دار الكتب المصرية، القاهرة، رقم ١١٠٣ تاريخ
«أنساب الأشراف»، مصور نسخة الخزانة الملكيـة في الرباط.

ابن الـكلبي : هشام بن محمد بن السائب الكلبي (ت ٢٠٤هـ)
«جمهرة النسب» بخط محمود فردوس العظم، دار اليقظة العربية، دمشق.

مصـــادر مطبــوعة :

ابن الأثـير : علي بن محمد، أبو الحسن عز الدين (ت ٦٣٠هـ)
«أسد الغابة في معرفة الصحابة»، دار إحياء التراث العربي، بيروت (ب ت)

الأزرقـــي : محمـد بن عبـد الله بن أحمـد، أبـو الــوليـد (ت حوالي ٢٤٥هـ)
«أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار»، دار الثقافة مكة، ط ٢/١٩٦٥.

ابن حبيب البغدادي : محمد بن حبيب بن أمية (ت ٢٤٥هـ)

«كتاب المحبر»، حيدر أباد الدكن ١٩٤٢
«كتاب المنمق في أخبار قريش»، حيدر أباد الدكن ١٩٦٤

ابن حزم : علي بن أحمد بن سعيد، أبو محمد (ت ٤٥٦هـ)
«جمهرة أنساب العرب» دار المعارف بمصر ١٩٦٢

ابن حجر : أحمد بن علي، أبو الفضل العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)
«الإصابة في تمييز الصحابة»، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
«تهذيب التهذيب»، حيدر أباد الدكن ١٣٢٥هـ

الذهبي : محمد بن أحمد بن عثمان، شمس الدين (ت ٧٤٨ هـ)
«سير أعلام النبلاء»، مؤسسة الرسالة، بيروت ط ١٩٨٨/١

الزبيدي : محمد بن محمد، أبو الفيض، مرتضىٰ (ت ١٢٠٥ هـ)
«تاج العروس من جواهر القاموس»، الكويت ١٩٦٥

الزبيري : مصعب بن عبد الله، أبو عبد الله (ت ٢٣٦هـ)
«نسب قريش»، دار المعارف بمصر ١٩٥٣

ابن سعد : محمد بن سعد بن منيع الزهري، أبو عبد الله (ت ٢٣٠هـ)
«الطبقات الكبرىٰ»، دار بيروت ١٩٦٠

الطبري : محمد بن جرير، أبو جعفر (ت ٣١٠هـ)
«تاريخ الرسل والملوك»، دار المعارف بمصر ١٩٦٠

أبو الفـدا : إسماعيل بن علي بن محمود، عماد الدين، الملك المؤيد (ت ٧٣٢ هـ)
«المختصر في أخبار البشر»، دار المعرفة، بيروت (ب ت)

أبو الفرج الأصفهاني : علي بن الحسين بن محمد الأموي (ت ٣٥٦هـ)
«الأغاني»، دار الثقافة، بيروت ط ١٩٦٢/٣

فستنفيلد، فيرديناد : «أخبار مكة المشرفة»، مكتبة خياط، بيروت ١٩٦٤

ابن قتيبـة : عبد الله بن مسلم، أبو محمد الدينوري (ت ٢٧٦هـ)
«المعارف»، دار المعارف بمصر، ط ١٩٦٩/٢

المحب الطبري : أحمد بن عبد الله، أبو العباس محب الدين (ت ٦٩٤ هـ)
«الرياض النضرة في مناقب العشرة»، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٤

المسـعودي : علي بن الحسين، أبو الحسن (ت ٣٤٦هـ)
«مروج الذهب ومعادن الجوهر»، دار الأندلس، بيروت ١٩٦٥

ابن منظـور : محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل جمال الدين (ت ٧١١ هـ)
«لسان العرب»، مصور طبعة بولاق، القاهرة (ب ت)

النديم الوراق : محمد بن إسحاق، أبو الفرج (ت ٣٨٥هـ)
«الفهرست للنديم»، طهران ١٩٧١

نظام الملك : الحسن بن علي، أبو علي الطوسي (ت ٤٨٥هـ)

سياست نامة أو سير الملوك، ترجمة يوسف حسين بكّار، دار الثقافة، الدوحة (قطر) ط ٢/١٩٨٧.

وكيع القاضي : محمد بن خلف بن حيان (ت ٣٠٦هـ)
«أخبار القضاة»، عالم الكتب، بيروت (ب ت)

ياقوت الحموي : ياقوت بن عبد الله، أبو عبد الله الرومي (ت ٦٢٦هـ)
«معجم البلدان» دار صادر، دار بيروت ١٩٥٥

المراجع :

جواد علي : «المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام»
دار العلم للملايين بيروت، مكتبة النهضة بغداد ١٩٦٨

رشاد عباس معتوق : «نظام الحسبة في العراق حتى عصر المأمون»
دار البلاد، جدة ١٩٨٢

طه حسين : «الفتنة الكبرى» ج١ عثمان
دار المعارف بمصر ط ٧/١٩٦٨

عاتق بن غيث البلادي : «معالم مكة التأريخية والأثرية»
دار مكة للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، ط ١/١٩٨٠

عباس محمود العقاد : «ذو النورين - عثمان بن عفان»
مكتبة دار العروبة، القاهرة (ب ت)

محمد المبارك : «الدولة ونظام الحسبة عند ابن تيمية»
دار الفكر، دمشق ط ١/١٩٦٧

ونسنك. أ. ي : «المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي»
مكتبة بريل، ليدن ١٩٣٦

Encyclopaedia of Islam, (First Edition - Photomechanical Reprint) 1987

-Encyclopaedia of Islam, (New Edition) 1990.

Rivista Degli Studi Orientali, Roma, Vol XXVIII, 1953.

نظرات في كتاب «من غاب عنه المطرب»

المؤلف: أبو منصور الثعالبي

المحقق: الأستاذ عبد المعين الملوحي

الدكتور عبد الإله نبهان
حمص

الأستاذ الجليل عبد المعين الملوحي لا يزال يغني المكتبة العربية بأعماله الفكرية، تأليفاً وتحقيقاً وترجمةً، وقد ظهر له حتى الآن أكثر من سبعين أثراً ما عدا المقالات الكثيرة، ولا يزال الكثير من الآثار لديه ينتظر النشر. ومن آثاره في ميدان التحقيق: (كتاب الأزهية في علم الحروف) لعليّ بن محمد النحوي الهروي، نشره مجمع اللغة العربية بدمشق مرتين، كانت الأولى عام ١٩٧١ والثانية عام ١٩٨٢. كما حقق (الحماسة الشجرية) مع السيدة أسماء الحمصي، ونشرتها وزارة الثقافة بدمشق عام ١٩٧٠ وحقق (مجموعة المعاني) لمؤلف مجهول ونشرتها دار طلاس بدمشق عام ١٩٨٨ وكان مما ظهر له من الآثار بأخرة تحقيقه لكتاب «من غاب عنه المطرب» لأبي منصور الثعالبي. ولمّا قرأته دوّنت عليه بعض التعليقات وقدّمتها إليه ليُستفاد منها في طبعة لاحقة، لكنه ـ حفظه الله ـ أبى إلا أن أدفعها للنشر أولاً ليعمّ بها الانتفاع، فاضطرتني رغبته النبيلة هذه إلى إعادة النظر في الكتاب، وإلى

مقارنته بالأصل الذي نشر عنه، وهو طبعة بيروت عام ١٣٠٩ هـ «بمعرفة محمد بن سليم اللبابيدي» وقد قدّم لي نسخته من هذه الطبعة مشكوراً الأخ الفاضل الأستاذ الدكتور محمد رضوان الداية، وقدّم معها نسخته من نشرة الأستاذ الملوحي للكتاب نفسه، وعليها ملاحظات دوّنت على نحوٍ سريع، أفدت منها وسأشير إليها في مواضعها من هذا المقال.

وبعد إعداد المقال علمت بأن طبعة أخرى لهذا الكتاب كانت قد صدرت قبل طبعة الأستاذ الملوحي بتحقيق الدكتور النبويّ عبد الواحد شعلان عن مؤسسة الخانجي بالقاهرة عام ١٩٨٤م، وأعياني أمر الحصول عليها حتى كانت المصادفة الجميلة في حديثٍ لي مع الأخ الفاضل الأستاذ الدكتور مسعود بوبو، فعلمت أنّ لديه نسخة من هذه الطبعة فقدّمها لي مشكوراً.

وقد قدّم المحقق الدكتور النبوي لهذه الطبعة بسبع وخمسين صفحة تحدث فيها عن المؤلف وعن عصره وعن مؤلفاته واستوفى الكتاب مع فهارسه ٢٥٦ صفحة. وألزم المحقق نفسه أن يترجم لأعلام الكتاب، واعتمد في تحقيقه على طبعة الجوائب وعلى مخطوطة للكتاب محفوظة في مكتبة الأزهر. ولم يلغ تحقيق الدكتور النبوي مشروعية مقالنا لأن مخطوطته الأزهرية أصابها ما يصيب كثيراً من المخطوطات عادة من تحريف ونقص، ولأن بعض مراجع التخريج التي فاتت الأستاذ الملوحي قد فاتته أيضاً. ولأن بعض المواضع التي تتطلب اجتهاداً في القراءة قد جاءت في المطبوعتين باجتهادين مختلفين، كما يجب أن نذكر أن الأستاذ الملوحي وفّق في التعليق على مواضع فاتت الدكتور النبوي، كما أن الدكتور النبوي وفق إلى تعليقات فاتت الأستاذ الملوحي. ومن المآخذ التي سجلتها على طبعة الدكتور النبوي ـ مع أن مقالي عن نشرة الملوحي ـ أنه بالغ في تهويل ما بذله من جهد في قراءة مخطوطته الأزهرية، مع أن ما أضافته تلك المخطوطة إلى

طبعة الجوائب يعدّ على الأصابع، وخطها واضح مقروء كما تدل النماذج الموضوعة في أول الكتاب. ومما يؤخذ عليه أنه كان كلّما مرّت به أبيات للخالديين أو للوأواء الدمشقي ورجع إلى الديوانين بتحقيق المرحوم الدكتور سامي الدهان، أكّد لنا أن الدكتور الدهان لم يطلع على مخطوطته الأزهرية، وكرر هذا على نحوٍ ملفت للنظر، انظر على سبيل المثال ص: ٩٧، ٩٨، ١٠٥، ١٧٢، وكأن المرحوم الدهان كان ملزماً نفسه أو مدعياً أنه مطلع على كل مخطوطة ورد فيها بيت للخالديين أو للوأواء، مع أنه كان يحقق دواوين لها أصل مخطوط ولا يقوم بجمعها، ولم يلزم نفسه وليس هناك منهج ما يلزمه بالعودة إلى كل مخطوطة. وعلى كل حال فإن مقالنا هذا يجد مسوّغه الرئيس بأنه ينقد آخر طبعة صدرت لهذا الكتاب فيما نعلم، وهي طبعة واسعة الانتشار ولم يتح لمحققها أن يطلع على تحقيق الدكتور النبوي، لذلك اقتنصنا كثيراً من السوانح من طبعة النبوي وأضفناها إلى مقالنا مع نسبتها إلى صاحبها لتكون الفائدة أعم والتعليق أشمل. ورأيت أن أجعل مقالي هذا في ثلاثة أقسام:

- الأول يتضمن الفروق بين الأصل (طبعة بيروت) وبين طبعة الأستاذ الملوحي. ولم أخله من الإشارة في مواضع إلى طبعة النبوي.
- والثاني يشتمل على الاستدراكات والتصحيحات سواء من المراجع أو من طبعة النبوي.
- والثالث جعلناه للملاحظ العامة على التحقيق.

١ ـ المقارنة بالأصل :

وبدهي أننا سنذكر ههنا المواضع التي لم يشر إليها الأستاذ المحقق وسنهمل ما هو من أغلاط الطباعة.

ـ ورد في مقدمة المؤلف قوله: «. . . وصدر البزاة الشهب» وقد علق الدكتور الداية في هذا الموضع : وصدور. وهكذا وردت في طبعة

النبوي. وهو ما يقتضيه السياق، لأن التعبير كله كان بالجمع. ومثل هذا ما ورد في آخر مقدمة الثعالبي: «وهذا خبر ساقة الأبواب» وصححها الدكتور الداية إلى: سياقة الأبواب، ووردت كذلك في طبعة النبوي. وقبل هذه العبارة ورد قول الثعالبي: «وترجمته بكتاب: مَنْ غاب عنه المطرب، ومن خير ما فيه أن يسري مسرى الخيال، وينمي على الأحوال نَمْيَ الهلال» وقد أثبتها النبوي: «ينمي على الإخوان» والصواب ما أثبته الأستاذ الملوحي لأن الهلال يزيد على الأحوال لا على الإخوان.

- في فصل الخطّ ص ٢٥ ورد: «وقد أحسن ابن المعتزّ وأطرب حيث قال يصف خطّ أبي القاسم بن عبد الله». قلت: في الأصل ص ٧: ابن عبيد الله. وهو الصحيح. وكذلك أثبتها النبوي.

- في ص ٢٦ ذُكر أبو محمد الكاتب البروجرذي - بالذال المعجمة - وكذلك وردت في الأصل ص ٨ وفي طبعة النبوي. وقد ورد هذا الاسم في (يتيمة الدهر) ٤ : ٣٩٤ ط محمد محيي الدين عبد الحميد: البروجردي - بالدال المهملة -.

- في ص ٢٨ ورد «.. ومن الماء سلاسته، ومن سحرٍ نفثته» وفي الأصل ص ١٠: «ومن السحر...» وفي الموضع نفسه ورد «بعد بَرْح السهر» وفي الأصل «نزح» والصواب ما أثبته الأستاذ الملوحي. وفي الصفحة نفسها ورد: «كنسيم وعهد الصبا» والصواب ما ورد في الأصل ص ١١ «كنسيم الصَّبا وعهد الصِّبا» وكذلك وردت العبارة في ط النبوي ص ١١.

- في ص ٣٠ ورد «وقلت لأبي عبيد الله محمد بن حامد الحامدي» وفي الأصل ص ١٢: لأبي عبد الله. وكذلك في ط النبوي.

- في ص ٣٢ ورد: «يكرر طوراً» وفي الأصل ص ١٤: طولاً. وما أثبته الأستاذ الملوحي هو الصواب.

- في ص ٤٠ ورد «بأنفاس الأحبّة نعّما» وفي الأصل ص ١٨: منعما. ولعلّ الأستاذ المحقق آثر رواية (ديوان البحتري) فأثبت ما فيه.

- في ص ٤١ ذكر الثعالبي أبياتاً للصنوبري في تفضيل الربيع على سائر الفصول، وقد سقط من طبعة الأستاذ الملوحي البيت الثالث الوارد في الأصل ص ١٩ وهو:

وإن يكنْ في الشتاء الغيثُ متّصلاً فالأرض محصورة والجوّ مأسور

وفي هذه القصيدة ورد في البيت الذي قبل الأخير عبارة «تُغْرَرْ فقائسه» وفي الأصل ص ١٩: فقائيسه. ورواية الديوان ٤٢، ٤٣: فقائسه. وفيه: والجوّ محصور.

- وفي ص ٤١ أيضاً ورد «وقال مؤلف الكتاب في شتقان» وجاء في الأصل ص ١٩: بشتقان. والصواب: بشتنقان كما ورد في (معجم البلدان) ١: ٤٢٥ وهي إحدى قرى نيسابور.

- وفي ص ٤٢ ورَدَ «يجاوبه في حلفه مزهرٌ له» وفي الأصل ص ٢٠: «في حلقه» بالقاف المثناة. قلت: وكذلك وردت بالقاف في ديوان الشاعر المنشور في مجلة (المورد).

- وفي ص ٢٣ ورد «.. جرّ النسيم على الأرض أزره، وحلّ عن جيب الطيب أزره» وجاء في الأصل ص ٢١: عن جيب الطيب زرّه.

- وفي ص ٤٤ ورد قول ابن المعتز «مفتضح البدر عليل النسيم» وفي الأصل: علته النسيم.

- وفي ص ٤٦ ورد «روضة رقّت حواشيها وتأنق» وفي الأصل ص ٢٢ وتأنّق واشيها. وجاءت في طبعة د. النبوي على أصلها. وفي الصفحة نفسها وردت عبارة: «وكستها برودتها» والصواب ما ورد في الأصل: وكستها برودها. وهكذا وردت على الصواب في طبعة النبوي.

- وفي ص ٤٧ ورد قول ابن طباطبا:

ويكاد يذري الدمعَ نرجسُها إذا أضحى ويقطُر من شقائقها الدم

قلت: في الأصل ص ٢٤: أضحى يقطّر.

- وفي ص ٥٣ ورد قول الخالدي: «كأنه أنا مقياساً بمقياسِ» وورد في الأصل: كأنه وأنا. ورواية الديوان ص ١٣٥: كأنه أنا.

- في ص ٥٥ ورد: بسرٍّ يُفْضي» وفي الأصل ص ٣٠: يقضي. والصواب كما أثبته الأستاذ الملوحي.

- وفي ص ٥٥ ورد قول السريّ: «وثروة تحكُم في الأعدام» وجاء في الأصل ص ٣١: الأعرام. وما أثبته الأستاذ الملوحي موافق لما في الديوان ٢: ٧٠٢ ق ٤٧٦ ب ٥.

- وفي ص ٥٧ ورد قول السريّ «كأنما القلبُ قلبُ ذي رعب» وفي الأصل ص ٣٢: كأنما البرق، وهذا هو الصواب، وعليه أتت رواية الديوان في طبعتيه، في ص ٢٦ ط القدسي وفي ج ١ ص: ٣٥١ق ٣٩ب ٣ ط العراق.

- في ص ٥٩ ورد قول ابن المعتز: «والسوسن الآزر منشور الحللْ» وفي الأصل ص ٣٣: والسوسن الآزار، وفي ط النبوي: الآزاذ. وقد وردت في ديوانه ط دار صادر ٤٧٤: لآزِرُ، وفسرها بمعنى الأبيض.

- في ص ٦٢ ورد «ومن أحسن ما قيل في الشراب..» وفي الأصل: وما أحسن ما قيل.

- في ص ٦٣ ورد اسم أبي المحاسن الرئيس أبي سعيد الحوالي. وفي الأصل ص ٣٨: ابن أبي سعد.

- في ص ٦٦ ورد قول البادي الأصفهاني: «من المتقارب»

صفا الماء فيه وطاب الهوى يحيلهما نسيم ريحٍ عطِرْ

وفي الأصل: يحيلهما نسم. وبهذه الرواية يستقيم الوزن. وسيرد الكلام على هذا النص في القسم الثاني من هذا المقال.

- في ص ٦٧ ورد قول جحظة البرمكي: «واشرب ففي الشرب للأحزان تحليل» وورد في الأصل ص ٤١: للإخوان تخليل، وهكذا ورد في ط النبوي.

- في ص ٧٤ ذكر الثعالبي أبياتاً للصنوبري، وقد سقط منها في طبعة الأستاذ الملوحي البيت الثالث مع أنه ورد في الأصل، والبيت:

أتظنّ ذا ورداً وذا ثلجاً على الأغصان ينفضْ

- في ص ٧٥ ورد «في هذا المكان» وفي الأصل: بهذا.

- في ص ٨١ وردت مقطوعة لابن المعتز أولها:

يا ليلة ما كان أطيبها سوى قِصر البقاءْ

وقد قيّد الأستاذ الملوحي رويّ الأبيات فجاءت من مجزوء الكامل المذيّل «والتذييل: زيادة حرف ساكن على وتدٍ مجموع» ووردت الأبيات في الأصل مضبوطةً بالكسر فتكون عندئذٍ من مجزوء الكامل المرفّل «والترفيل زيادة سبب خفيف على وتدٍ مجموع». وقد ذكرت هذه الأبيات على المجزوء المرفّل في (سرور النفس) للتيفاشي ص ٧٥.

- في ص ٨٨ ورد قول السريّ «وغال شهرَ الصوم مفتالُ» وفي الأصل ص ٧٥ «شهر الصيام»

- في ص ٨٩ ورد «ومن أحسن ما أنشد فيه. وفي الأصل ص ٥٨: أنشدنيه ومثل ذلك ورد في ص ٩٨ ويقابلها في الأصل ص ٦٧.

- في ص ٩٠ ورد قول أحد البلغاء: «فرفع يديه وقال» وفي الأصل ص ٥٩: «فرفع لله يديه وقال».

- في ص ٩٥ ورد قول ابن الرومي: «يومها للنديم يوم سرور» وفي الأصل ص ٦٣: يومنا للنديم.

وفي الموضع السابق وردت عبارة «قد غيمت» وفي الأصل: غِيم.

- في ص ١٠٣ ورد «إلا أن تتناوله يمينك» وفي الأصل ٧٢: تتناولها.

- في ص ١٠٧ ورد «إذ طير سعدي جواري» وفي الأصل ٧٥: جوارٍ.

- في ص ١١١ ورد قول جرير «. . . حتى لاحراك به» وفي الأصل ص ٧٥: له.

- في ص ١٢٠ ورد: «ولأبي نواس أربع تشبيهات» وفي الأصل ص ٨٢: ولأبي نواس في أربع تشبيهات.

- في ص ١٢٢ ورد قول ابن الرومي «ودرّ زانه حسن اتّساق» وفي الأصل ص ٨٣: انتساق.

- وفي ص ١٣٢ ورد «قول أبي الفتح كشاجم» وفي الأصل ص ٩١: أبي الفتح محمود كشاجم.

- وفي ص ١٤٦ ورد قول ابن المعتز: «فكأن حمرة لونها في خدّه» وفي الأصل ص ٩٩: من خدّه.

- في ص ١٤٦ ورد قول الخالديّ «منا قلوب وأبصارٌ وتهواه» وفي الأصل ص ١٠٠: ونهواه.

في ص ١٦٤ وردت عبارة «فيردد اللفظ» وفي الأصل ١١٠: فيردّ اللفظ

٢ ـ الاستدراكات والتصحيحات :

اعتمد الأستاذ الملوحي في تحقيقه الكتاب على نسخة واحدة مطبوعة كما ذكرنا، وتبنى معظم الشروح القليلة التي ذكرت في حواشي تلك الطبعة، فكان عمله الأساسي وهو بصدد تحقيق كتابٍ من كتب المختارات أن يقارن تلك المختارات بأصولها، سواء في دواوين الشعراء أو في كتب أخر. لذلك كان جلّ عمله متجهاً إلى تخريج الأبيات وضبطها، ومن هنا كان اتجاهنا إلى تخريج ما لم يخرّج، لأن بعض الكتب والدواوين لم تكن بين يدي الأستاذ المحقق، كما أضفنا مزيداً من التخريج لبعض ما خرّجه الأستاذ، وقد أعدت تخريج شعر السريّ الرفّاء والبحتري اعتماداً على الطبعتين المحققتين، وخرّجت شعر كشاجم معتمداً على ديوانه الذي حققته الأستاذة خيرية محمد محفوظ وطبع في بغداد سنة ١٩٧٠، كما استفدت في مواضع من طبعة الدكتور النبوي.

- ورد في ص ٢٦ : «ووصف يوسف بن أحمد» قلت: والصواب أحمد بن يوسف كما ورد في طبعة النبوي. وانظر معجم الأدباء ٥ : ١٦١.

- ورد في ص ٢٦ وعلى هذه الصورة: «وقول أبي القاسم: مولاي مليح الحظّ والخطّ، فذاك النمل في العاج، وذاك الدرّ في السمط» قلت: أرى أن الصواب أن يكون النص على هذا النحو كما أشار الدكتور الداية: وقوله ـ أي قول الصاحب ـ :

أبو القاسم مولاي ... مليح الحظّ والخطّ
فذاك النمل في العاج ... وذاك الدرّ في السمط

وقلت: وورد أيضاً في ديوان الصاحب والرواية فيه عن اليتيمة ٣ : ٢٦٣

أبو نصر بن بكران مليح الحظّ والخطّ
فهذا النمل في العاج وذاك الدرّ في السمط

- في ص ٢٧ ذكر الثعالبي بيتين لكشاجم، وذكر الأستاذ المحقق أنهما في (نفح الأزهار) للبتلوني دون عزو. قلت: البيتان في (ديوان كشاجم) ص ٦٠ ق ٤٥، وأحالت محققة الديوان إلى (ديوان المعاني) ٢ : ٨٤ وإلى (أحسن ما سمعت) للثعالبي ١٠٢. أما الدكتور النبوي فهو يحيل إلى نسخة مخطوطة لديوان كشاجم، ولن أشير إلى هذا مرّة أخرى.

- في ص ٢٩ ورد بيتان لإبراهيم بن سياه الأصفهاني ولم يخرجهما المحقق. قلت: والبيتان في كتاب (المحمدون من الشعراء) للقفطي ص ٦٤، ٦٥ ط المجمع بدمشق.

- وفي ص ٣٠ ذكر المؤلف الثعالبي ثلاثة أبيات من شعره أولها:

سبحان ربّي تبارك الله ما أشبه بعض الكلام بالعسل

وذكر الأستاذ المحقق أن الأبيات في (اليتيمة) ٣ : ٣٥٦. قلت: الصواب ٤ : ٣٥٦ وهي في (ديوان الثعالبي) المنشور في مجلة (المورد)، المجلد السادس العدد الأول نقلاً عن (اليتيمة) ٤ : ٣٥٦ وعن (أحسن ما سمعت) ٤٩، ٥٠.

- وفي ص ٣٠ ذكر المؤلف بيتين من شعره وجههما لأبي عبدالله محمد بن حامد الحامدي وأولهما:

إنّي أرى ألفاظك الغرّا عطّلت الكافورَ والدرّا

ولم يخرجهما المحقق. قلت: هما في (يتيمة الدهر) ٤ : ٣٥٦ وفي ديوانه ق ٧٤ نقلاً عن اليتيمة.

- في ص ٣١ وردت عبارة الخوارزمي: «والزهر جنيا، والماء مريئا» والأليق ههنا ما ورد في طبعة النبوي: «والماء مريّا».

- في ص ٣٢ ذكر المؤلف بيتاً للمريميّ ولم يخرجه المحقق ولم أعثر عليه، وقدْ وقعت في أثناء البحث على تعريف بالمريميّ في كتاب بهجة المجالس: ١ : ٧٥٤ قال: المريمي وهو القاسم بن يحيى من ولد أبي مريم السُّلميّ صاحب النبيّ عليه السلام، وذكر له صاحب بهجة المجالس شعراً يخاطب به أبا يعقوب إسحاق بن نصر الكاتب الذي كتب لأبي الجيش بن طولون صاحب مصر من سنة ٢٧٠ هـ إلى سنة ٢٨٢هـ. وانظر أيضاً كتاب المنصف لابن وكيع ١٨٧ بتحقيق الأستاذ الدكتور محمد رضوان الداية.

- في ص ٣٣ ورد قول الصّابي في شعر أبي عثمان الخالدي: «يختلط بأجزاء النفس. . .» وورد في ط النبوي: «شعر يختلط بأجزاء. . » وفي الموضع نفسه ورد قول الصاحب في شعر عضد الدولة: «قرأت الأبيات أسفر عنها. .» وفي ط النبوي: التي أسفر عنها. كما وردت في الموضع نفسه عبارة: يتكسّر الزهر وفي ط النبوي: ينكسر.

- في ص ٣٤ ورد قول ابن نباتة:

خذها إذا أنشدتْ في القوم من طربٍ
صدورُها، عُلمتْ فيها قوافيها

وورد في ط النبوي ص ٢٠: علمت منها. وما جاء في طبعة الملوحي موافق لما في اليتيمة ٢ : ٣٧٩.

- في ص ٣٧ ورد قول المأمون: «أغلظ الناس طبعاً مَنْ لم يكن ذا صبوة» وتتمة الكلام في ط النبوي ص ٢٣: «وارتياحٍ للربيع» قلت: وهو الأصح لأن الفصل معقود لما قيل في وصف الربيع.

- وفي ص ٣٧ ورد «وقال آخر: تبلج [الربيع] عن وجهٍ بهجٍ، وخلق غنج، وروض أرج، وطيرٍ مزدوج» قلت: كلمة الربيع ساقطة من طبعة

الملوحي. وورد في الطبعتين: «طير مزدوج» وربما كان الأصح أن يقال: طير هزج.

- في ص ٣٩ ذكر الثعالبي أبياتاً لسعيد بن حميد، وخرجها المحقق، ويمكن أن نزيد في تخريج البيت الرابع:

فترى السماء إذا أسفّ ربابها   فكأنها كُسيت جناح غُرابِ

قلت: هذا البيت في سرور النفس ص ٢٦٠ وفي كتاب التشبيهات لابن أبي عون ١٦٣. وذكر محقق سرور النفس أن البيت في مجموع شعر سعيد بن حميد ص ١٥٤. ولم ينبّه الدكتور النبوي إلى ما نبه إليه الأستاذ الملوحي من الخلاف في نسبة الأبيات.

- في ص ٣٩ وردت أبيات البحتري المشهورة في وصف الربيع وأولها «أتاك الربيع الطلق يختال ضاحكاً». قلت: هذه الأبيات في (ديوان البحتري) بتحقيق الأستاذ الصيرفي ٤: ٢٠٩٠ ق ٧٩١ ب ٢٥ وما بعده. وهناك فروق طفيفة في رواية بعض الأبيات في مواضع منها.

- في ص ٤٠ ذكر الثعالبي بيتين لابن المعتز أولهما:

أما ترى الأرض قد أعطتك زهرتها   مخضرّةً واكتسى بالنَّوْر عاريها

وخرجهما الأستاذ المحقق من الديوان. قلت: وهما في (سرور النفس) ص ٢٢٠ ونسبهما التيفاشي للبسامي. وذكر محقق الكتاب أن البيتين في حلبة الكميت ٢٤٠.

- في ص ٤٠ ذكر الثعالبي بيتين لمحمد بن سليمان المخزومي هما:

نيسان وقت مسرّة الإنسان   وأوان طيب الراح والريحان
شهر له بنسيمه ونعيمه   صفة تحاكي جنّة الرضوان

ولم يعثر عليهما الأستاذ المحقق في مصدر آخر. قلت: والبيتان في (سرور النفس) **٢٣٥** غير منسوبين، وهما في مديح أيلول:

أيلول وقت مسرّة الإنسان . .

فصلٌ بنسيمه . . .

- في ص **٤١** ذكر المؤلف بيتين من شعر في أيام الصبا وأولهما:

أظن ربيع العام قد جاء تاجراً ففي الشمس بزازاً وفي الريح عطّار

نضيف إلى ما ذكره المحقق أنهما في ديوانه ق ٧٧ نقلاً عن (خاص الخاص) ص ٧٧ [وفي ط لبنان ٢٣٣] وعن (المبهج في الربيع) ٤٦ و (أحسن ما سمعت) ٦٦.

- في ص **٤١**، **٤٢** ذكر المؤلف أبياتاً من شعره في وصف «بشتنقان» قلت والأبيات في (ديوان الثعالبي) ق ٢٠١ نقلاً عن (خاص الخاص) ٨٣ [وفي ط لبنان **٢٣٤**] والبيت الأخير في كتابنا:

تنزّه سمعي ما أراد وناظري وقلبي مع الإخوان لا يتنزه

وفي ديوانه: «مع الأحزان لا يتنزه» وربما كانت هذه الرواية أليق بالمراد.

- في ص **٤٤** ذكر المؤلف بيتين للبحتري وأحال إلى ديوانه ص ٤٨.
قلت: وهما في ديوانه بتحقيق الصيرفي **٣**: **١٧٣٦** ق **٦٧٣** ب **٧**، **٨**.

- في ص **٤٤** ذكر المؤلف ثلاثة أبيات لابن المعتز أولها:

يا ربّ ليلٍ سحر كله مفتضح البدر عليل النسيم

قلت: والبيت الأول والثاني في (المحبّ والمحبوب) **٣**: ٨٠ وأحال محققه إلى كتب عديدة منها (الأوراق) للصولي **٣**:**٢٠٣** و (ديوان المعاني) **١**: **٣٥٩** و (الحماسة الشجرية) **٢**: ٧٤١ و (قطب السرور) **٦٨٤** و (محاضرات الأدباء) **٢**: **٢٥٤**

- في ص ٤٤ ـ ٤٥ ذكر الثعالبي بيتين للسريّ الرفاء أوّلهما:

وحدائقٍ يسبيك وشيُ برودها حتى تشبهها سبائك عبقر

وخرجهما المحقق من الديوان ١٠٩ ط القدسي ومن (اليتيمة) ٢ : ١٦٨ . قلت: والرواية في الديوان «سبائب عبقر» وهذا هو الأليق بالسياق، لأن السبائب هي الطرائق. والبيتان من قصيدة له في ديوانه ط بغداد تبلغ ٥٥ بيتاً انظر الديوان ٢ : ١٦٤ ق ١٨٢ ب ١١، ١٢ .

- في ص ٤٥ ذكر الثعالبي قول السريّ الرفاء:

وبساطُ ريحانٍ كماء زبرجدٍ عبثت بصفحته النجوم فأرعدا

يشتاقه الشرب الكرام فكلما مرض النسيم سعوا إليه عوّدا

قال المحقق: لم أجدهما في ديوانه، وهما له في (اليتيمة) ٢ : ١٧٨ و (نهاية الأرب) ١١ : ٢٥٢ وفي (ثمار القلوب) ٩٠، ٩١. قلت: القصيدة التي منها البيتان وردت في طبعة القدسي في ١٦ بيتاً، أما في طبعة بغداد فإنها استوفيت في ٣٥ بيتاً ومنها البيتان المذكوران هنا. انظر الديوان ٢ : ١٢٩ ق ١٦٣ ب ١٩، ٢٠.

- في ص ٤٧ وردت أبيات للصنوبري منها قوله:

وكأن خرّمها البديع إذا بدا عرفُ الطواويس قد مددن نقابها

قلت: ورواية الديوان ٤٥٢ :

وكأن خرمه البديع وقد بدا روسُ الطواويس إذ تدير رقابها

ولا شك أن الرقاب أليق في سياق البيت من النقاب. وقد أثبت الدكتور النبوي رواية: رقابها. وورد البيت الذي بعده ص ٤٨ : «وثياب باقلاء» والصواب ما ورد في الديوان: ونبات باقلاء.

- في ص ٤٨ ورد بيتان لأبي العلاء السروي، ونضيف إلى تخريجهما أنهما في (المحب والمحبوب) ٢ : ٧١ برقم ١٠٠ و (خاص الخاص) ١٦٠ ط لبنان و (المرقصات والمطربات) ٥٩ . وأيضاً فإن أبيات الكاتب البكتمري في الموضع نفسه وردت في المرقصات ٥٨ .

- في ص ٥٠ ذكر الثعالبي أبياتاً لبعض المتأخرين، ووجدها المحقق في (اليتيمة) ٢ : ٢١١ معزوّة إلى الخبّاز البلدي، وفي (قطب السرور) ٦٠٤ معزوّة إلى ابن المعتز. قلت: والبيتان الأول والثاني في (المرقصات) ٥٩ ونسبهما للخباز البلدي.

- في ص ٥١ ورد بيتان للبحتري أولهما

وورقُ تداعى للبكاء بعثن لي ... كثير أسىً بين الحشا والحيازم

قلت: والبيتان في ديوانه المحقق ٣: ١٩٧٠ ق ٧٥٩ ب ١١، ١٢ مع خلاف في رواية بعض الكلمات.

- في ص ٥٢ ورد بيتان لابن المعتز، وسيردان مع أبيات أخر ص ٦٧، وسنذكرهما في موضعهما لذكر زيادة من مراجع التخريج .

- في ص ٥٣ ورد بيتان لأبي عثمان الخالدي . وقد سقط بعدهما ثلاثة أبيات من أصل الأستاذ الملوحي، وذكرهما الدكتور النبوي اعتماداً على أصله . والنص بتمامه:

ومن خصائص السريّ ولطائفه قوله:

هفا طرباً في أوان الطربْ ... فأنخب أقداحه بالنُّخَبْ
وغنّى ارتياحاً إلى عارضٍ ... يغنّي وعبرته تنسكب
غيوم تُمسِّك أفْقَ السماءِ ... وبرقٌ يكتِّبه بالذهب

والأبيات في (ديوان السريّ) ط القدسي ص ٤٠ وفي ديوانه ط العراق

١ : ٣٠١ ق ٢٤ ب ١، ٢، ٣٠٢ وروي عجز البيت الثاني فيه: وعبرته من جوىً تنسكبْ وانظر (اليتيمة) ٢ : ١٦٩.

- في ص ٥٣ ورد قول الخالدي:

كخليٍّ موافقٍ للذي يهوى فيبكي جهراً ويضحك سرّا

والبيت من الخفيف، ويجب أن يكتب مدوّراً لإظهار استقامة الوزن في كل شطر، وقد روي في ديوان الخالديين على هذا النحو:

كخليٍّ منافقٍ للذي يهوا ءُ، يبكي جهراً ويضحك سرّا

وعلى هذا النحو يستقيم المعنى والوزن. وقد أثبت الدكتور النبوي هذه الرواية.

- في ص ٥٣ ذكر الثعالبي بيتين للقاضي أبي الحسن بن عبد العزيز أولهما:

من أين للعارض الساري تلهّبه أم كيف طبّق وجه الأرض صيّبه

ولم يخرجهما الأستاذ المحقق. قلت: البيتان في (خاص الخاص) ط لبنان ١٨٧ برواية فيها خلاف مع أربعة أبيات أخر.

- وفي ص ٥٤ قال الثعالبي: فلينتظمْ عقد الندماء، إذا انقطع ساريات الغمام. قلت: ورد في ط النبوي: شِرْيان الغمام.

وفي النص نفسه ورد: قد استعار السحاب أكفّ الجواد، وجفون العشاق. وما ورد في ط النبوي أليق، وفيه: أكفّ الأجواد.

- وفي ص ٥٤ أيضاً ذكر المؤلف ثلاثة أبيات لعبيد الله بن عبد الله بن طاهر أوّلها:

أما ترى اليوم قد رقّت حواشيه وقد دعاك إلى اللذّات داعيه

ولم يخرّج الأستاذ الملوحي هذه الأبيات. وخرّجها الدكتور النبوي ص **٤٨** فقال: الأبيات ذكرت في (نثر النظم) **١٥٦** منسوبةً إلى محمد بن عبد الله بن طاهر. وجاء البيتان الأول والثاني في (الأمالي) **١ : ١٨٠** منسوبين إلى عبيد الله ابن عبد الله بن طاهر.

قلت: ورد البيت الأول من هذه الأبيات في (سرور النفس) **٢٨٥** وبعده بيتان آخران غير اللذين ذكرهما الثعالبي. ونسب التيفاشي الأبيات لمحمد بن أمية.

- في ص **٥٤** ـ **٥٥** ذكر الثعالبي سبعة أبيات من الرجز المشطور لكشاجم. قلت: والأرجوزة بتمامها في (ديوان كشاجم) **٣٠٧** برقم **٢٩٤** وهي في ثمانية عشر بيتاً. ذكر منها الثعالبي الأبيات **١، ٤، ٥، ٦، ٧، ٩، ١٠**.

- في ص **٥٥** ذكر الثعالبيّ أرجوزةً للسريّ الرفّاء. والأرجوزة في ديوانه المحقق **٢ : ٧٠٢** برقم **٤٧٦**، وقد وردت أبياتها متتاليةً على نحوٍ أفضل مما ذكره الثعالبي.

- في ص **٥٥** ورد قول ابن المعتز في وصف السحاب والمطر:

تـرى مـواقعـه في الأرض لائحـةً   مثـل الـدراهم تبـدو ثم تستـتر

قلت: في طبعة النبوي: مثل الدراريّ... وفي ديوانه ط دار صادر ص **٢٥٦**: ترى مواقعها [أي مواقع المزنة] أما الشطر الثاني فقد ورد كما ورد في كتابنا أي برواية: مثل الدراهم...

- في ص **٥٦** ورد بيتان لابن مقلة الوزير أولهما:

لا يكنْ للكاس يوم الغيم في كفّك لبْثُ

وخرجهما المحقق من (اليتيمة) **١ : ٩٤** على أنهما لأحمد بن كيغلغ. قلت:

انظر (اليتيمة) ١ : ١٠٩ ط محمد محيي الدين عبد الحميد. وهما في (سرور النفس) ص ٢٨٤ لابن مقلة.

- وفي ص ٥٧ وردت أبيات للسريّ الرفاء أولها:

قم وانتصف من صروف الدهر والنَّوَبِ   واجمع بكأسك شمل اللهو والطرب

قلت: الأبيات في ديوانه المحقق ١ : ٣٥٠ ق ٣٩

- وفي ص ٥٧ وردت مقطوعة لأبي العشائر أولها:

الخمر شمسٌ في غلالةِ لاذِ   تجري ومطلعها من الخرْدَاذي

وذكر المحقق نقلاً عن الأصل أن اللاذ معناها المستتر. قلت: لا معنى لهذا في هذا السياق. والصواب أن اللاذ ثياب حرير تنسج بالصين واحدتها لاذة. أما الخرْداذي فهي الخمر، وضبطها «أدي شير» في الألفاظ الفارسية ٥٣ بفتح الخاء وسكون الراء: الخَرْداذي. وقال: إنها معرّبة عن «خورداذي» وهي الخمر.

- في ص ٥٨ ورد قول الثعالبي: ومن أحسن ما أحفظ في عامة الرياحين.

زاد في ط النبوي ص ٥٤ : والأزهار.

- في ص ٥٩ ورد قول ابن طباطبا:

زفرات همّك قد أصابت فرصةً   فخرجن لما أن شممنا النرجسا

قلت: والصواب: شممن. وعلى الصواب جاءت الرواية في طبعة النبوي.

- في ص ٦٠ ورد: وقول أبي سعيد الأصفهاني وفي ط النبوي: أبي سعد.

قلت: وفي (اليتيمة) ٣: ٣٠٤ أبو سعيد الرستمي من أبناء أصبهان. . .

- **في ص ٦١ ورد بيتان نسبهما الثعالبي إلى ابن المعتز وأولهما:**

سقياً لأرضٍ إذا ما نمت نبّهني بعد الهدوّ بها صوت النواقيس

قلت: وخرجها المحقق على أنها لابن المعتز في (نهاية الأرب) ١١: ٢٧٥ و٢٧٦ وللأخيطل الأهوازي في (المستطرف) ٢: ١٩٥ وكذلك في (ثمار القلوب) ٧٦ للأخيطل. وقال بأنه لم يجدها في ديوان ابن المعتز. أما الدكتور النبوي فلم يخرج الأبيات واكتفى بالقول بأنه لم يجدها في ديوان ابن المعتز. ونضيف بأن البيتين وردا في كتاب (التشبيهات) لابن أبي عون منسوبين إلى الأخيطل الواسطي ص ١٩٦ .

- في ص ٦١ ورد قول أبي الفرج الببغاء:

أظْرَفُ الزهر جاء في أظرف الدهـ ـرِ فَصِلْ فيه أظرف الإخوانِ

والأبيات في (اليتيمة) ١: ٢٨٠ ط عبد الحميد. وقد ذكرت هذا البيت لأنبّه على أن الدكتور النبوي في طبعته ضبط فعل الأمر «فصِلْ» من الوصل، بالتنوين على أنه اسم: «فَصْلٌ» وبهذا يفسد المعنى والوزن.

- في ص ٦١ وردت أبيات للخالدي أولها:

يا شبيه البدرِ حسناً وضياءً ومثالا

وذكر في ط الملوحي أنها قيلت في تشبيه الورد. وكأن الأليق أن تكون في التشبيه بالورد. وفي طبعة النبوي ذكر أنها في تشبيه البلور. والحق أنني لم أجد للبلّور مناسبة في هذه الأبيات، وقد راجعتها في مظانها: في (اليتيمة)، و (الإعجاز والإيجاز) و (خاص الخاص) فلم أجد للبلور ذكرا.

- في ص ٦٢ ورد قول ابن لنكك في الشراب على هذا النحو :

صُبغت من دم القلوب فما ... تُبصر إلا تعلّقت بالقلوب

والبيت من الخفيف، والصواب في كتابته:

... فماتبـ ... ـصَرُ إلا ...

- في ص ٦٣ ورد قول الصنوبري:

حبّذا يوم أحمد ... بين روح ومنجد

ورواية الديوان ٤٧٦: بين روضٍ منجّد. وفي ط النبوي، ص ٦٣: حبذا يوم أجمد ـ بالجيم المعجمة ـ.

- في ص ٦٥ أورد المؤلف لنفسه أبياتاً، فقد ذكر بيتين أولهما:

ربّ يومٍ هواؤه يتلظّى ... فيحاكي فؤاد صبٍّ متيّمْ

قلت: والبيتان في ديوانه نقلاً عن (أحسن ما سمعت) ص ٧٤ وعن (نهاية الأرب) ١: ١٧٢ وعن كتاب (من غاب عنه المطرب).

وورد بعدهما بيتان آخران للمؤلف الثعالبي، وهما في ديوانه ق ١٠٩ نقلاً عن كتابنا هذا. وقد ورد البيت الثاني في ط الأستاذ الملوحي:

فإنْ سمعت ببرد الوصل فيك فقد ... سللت نضو رجائي من يدي باسي

وورد في ط النبوي:

فإن سمحت ببرد الوصل فيه فقد ... سللت نضْوَ رجائي من يدي ياسي

- في ص ٦٦ وردت أبيات للبادي الأصفهاني لم يخرجها الأستاذ المحقق.

قلت: الأبيات في (سرور النفس) ٢٣٤ منسوبة إلى الباذاني مع خلاف في الرواية. وسأورد رواية (سرور النفس) مع تعليق محققه الدكتور إحسان عباس لأنها تصحح رواية الثعالبي في (مَنْ غاب عنه المطرب):

وأسـعدك اللّـه بـالمهرجـان إذا مـا انقضى عنك عـاماً يكرّْ
ولا زلتَ في عيشـةٍ كـالخـريف فـإن الخـريف جميعـاً سـحـرْ
تـرى المـاء فـيـه وذاك الهواء يجلوهمـا نشْمُ ريـحٍ عـطِرْ
وأتـرجُّـه عـاشـقٌ مـدنـفٌ إذا مـا رجا طِيب وصلٍ هُجرْ
ولـون سـفـرْجـلهِ حـائـل وأحسبـه مـن صدودٍ حـذِرْ
وتـفّـاحـه فـوق أغـصـانـه خـدود خجلن لـوحي النـظرْ
ومـا كـنت أحسب أن الخـدود تـكـون ثمـاراً لـتلك الـشجـرْ

قال الأستاذ الدكتور إحسان عباس:

«البيت الأول في (محاضرات الراغب) ٢ : ٢٥٣ . والباذاني : نسبة لم يوردها السمعاني أو ابن الأثير، وأقرب الصور إليها: الباذني، وإليها ينسب أبو عبد الله الباذني النيسابوري، شاعر ضرير مجوّد، كان يمدح البلعميّ وغيره»

- في ص ٦٧ : وردت أبيات لابن المعتز أولها:

هـات كـأس الصبـوح في أيلول بـرَد الـطلّ في الضّحى والأصيلِ

ونضيف إلى مراجع التخريج: (سرور النفس) ٢٣٤ وعنه [ديوان ابن المعتز ٣ : ٢٩٨ تح لوين، إستانبول. و ٢ : ٢١٢ ط السامرائي، و (الأوراق) ٢٠٠ و (نهاية الأرب) ١ : ٩٧، ١٧٤ و (ديوان المعاني) ٢ : ٤٦].

- في ص ٦٧ وردت ثلاثة لجحظة البرمكي. ونضيف بأن الأبيات في (سرور النفس) ٢٣٥ لجحظة أيضاً.

- في ص ٦٨ وردت أربعة أبيات لكشاجم، وذكر المحقق أنها في (نهاية الأرب) ١١ : ١١٣ . قلت: والصواب ١١ : ١٨٣ وهي في (ديـوان كشاجم) ص ٣٨٨ ق ٣٨٢ مع خلاف في رواية بعض الألفاظ.

- في ص ٦٨ قال الثعالبي: وللإمام في وصف الأترج:

جسم لُجينٍ قميصُه ذهبٌ   مركّبٌ في بديع تركيبِ
فيه لمن شمّه وأبصره   لونُ محبٍّ وريحُ محبوب

قال المحقق معلقاً على قول الثعالبي: «وللإمام»: أظنه ابن الرومي كما لقبه الثعالبي مرّات، ولم أجد البيتين في ديوانه.

قلت: إن الثعالبي في كتابه هذا لقّب ابن الجهم بالإمام ص ٩٥ ولقب الصولي بالإمام ص ٨٠ وكذلك لقب أبا تمام ص ١٠٦ فليس هناك ما يرجح ظن الأستاذ المحقق. أما البيتان فقد وردا في (نهاية الأرب) ١١ : ١٨٢ منسوبين إلى ابن دريد، ورواية عجز البيت الأول: «زُرّ على لعبةٍ من الطِّيب» وهما في (ديوان ابن دريد) ص ٤٠ نقلاً عن (محاضرات الراغب) ٢ : ٢٥٧ و (نهاية الأرب).

ومثل هذه العبارة: «وللإمام في...» ترد عادةً في طبعة النبوي هكذا: «والإمام في وصف الأترج مَنْ قال:...» ص ٧٠.

- في ص ٦٩ وردت ثلاثة أبيات للثعالبي. قلت: هي في ديوانه ق ٣٧ نقلاً عن هذا الكتاب.

- في ص ٧١: وقال مَنْ حكى مقالة جالينوس في التفاح:

قال جالينوس في حكمته   لك في التفاحِ فكرٌ وعجب

وبعده بيتان. قلت: الأبيات في (نهاية الأرب) ١١ : ١٦٦ بلا عزْو. وكذلك وردت أبيات بعدها ص ٧١، ٧٢ للثعالبي، وهي مما ورد في ديوانه ق ٢٠٢ نقلاً عن هذا الكتاب.

- في ص ٧٣ وردت ثلاثة أبيات لابن المعتز أولها:

جاد الزمان بشمألٍ وصبا   يلقاهما المقرور بالضدّ

قال المحقق: لم أجدها في ديوانه. قلت: الأبيات في (سرور النفس) ٢٤٥، ٢٤٦ برواية فيها خلاف. وأحال محققه إلى (ديوان ابن المعتز) ٤ : ٧١-

- في ص ٧٣، ٧٤ وردت ثلاثة أبيات للصنوبري وأولها:

ذهَبْ كؤوسك يا غلا ... مُ فإنّه يومُ مفضّضْ

وخرجها المحقق من (ديوان الصنوبري). قلت: والأبيات وردت في (سرور النفس) ٢٩٥ منسوبة إلى ابن المعتز، وخرّجها الدكتور إحسان عباس على هذا النحو: [ملحق ديوان ابن المعتز ٣: ٣١٥ ونسبت له في قطب السرور ٦٣٥ ووردت للصنوبري في ديوانه ٢٥٥ ونثر النظم ١٤١ وزهر الآداب ٨٧٠ ومن غاب عنه المطرب] قلت: وانظر (المحب والمحبوب) ٤: ٢٢٩ وفيه زيادة في التخريج.

- في ص ٧٤ وردت أبيات لكشاجم أولها:

الثلج يسقط أم لجينٌ يُسبك ... أم ذا حصى الكافور ظلّ يفرّكْ

قلت: والأبيات في ديوانه ص ٣٧٧ ق ٣٦٩ واختار منها الثعالبي الأبيات: ١، ٢، ٣، ٥، ٨، مع تقديم وتأخير وانظر (المحبّ والمحبوب) ٤: ٢٣٢ برقم ٥٠٠ و (زهر الآداب) ٤: ١٨ ط د. زكي مبارك والأبيات في (سرور النفس) ٢٩٣.

- في ص ٨٠ وردت مقطوعة لابن المعتز آخرها:

يا ليلة سرقتها من عمري

وقد ورد في ط د. النبوي بيت آخر بعد السابق، وأصبحت الرواية هكذا:

يا ليلة سرقتها من دهري ... ما كنتِ إلا غرّةً من عمري

وعلى هذا وردت الرواية في ديوانه ط دار صادر ص ٢٣٤

- في ص ٨١ وردت أبيات لابن المعتز أولها:

يا ليلة ما كان أطيبها ... سوى قصر البقاء

قال المحقق: لم أجدها في ديوانه، قلت: الأبيات في (سرور النفس) ص ٧٥ منسوبة إلى ابن المعتز، وأحال الدكتور إحسان عباس إلى (ديوان ابن المعتز) ٤ : ٥٠.

- في ص ٨١ ورد بيتان لابن المعتز أولهما:

لا تلْقَ إلّا بليلٍ مَنْ تواصله فالشمس نمّامةٌ والبدرُ قوّادُ

قلت: قال السريّ الرفّاء في (المحب والمحبوب) ٣ : ١٨٣ بعد أن ذكر هذا البيت، وروايته فيه: «والليل قوّاد»: وأخذه ابن المعتز من قول العرب: هو أنمّ من صبحٍ، وأقود من ليلٍ. ويقولون: الليل أخفى للويل. وانظر (سرور النفس) ٤١ وأحال محققه إلى (الأوراق) ٣ : ٢٢٥ و (نِثار الأزهار) ٢٩.

- في ص ٨١، ٨٢ ورد بيت واحد لأبي فراس الحَمْداني:

يا ليلةً لست أنسى طيبها أبداً كأنّ كلّ سرورٍ حاضرٌ فيها

وقد زادت طبعة د. النبوي ص ٨٩ بيتين بعد هذا البيت هما:

باتت وبتّ وبات الزقّ ثالثنا حتّى الصباح تسقّيني وأسقيها

كأنّ سود عناقيدٍ بلمّتها أهدتْ سلافتها صرْفاً إلى فيها

- في ص ٨٢ وردت أبيات للسريّ أولها:

كستك الشبيبة ريعانها وأهدت لك الراح ريحانها

قلت: والأبيات في ديوانه المحقق ٢ : ٧٣٢ برقم ٤٩٢ ووردت القصيدة في ١٤ بيتاً اختار منها الثعالبي الأبيات ١، ٢، ١٣، ١٤.

- في ص ٨٣ ذكر الثعالبي بيتين له أولهما:

يا ليلة كالمسك مخبرها كذاك في التشبيه منظرها

قلت: والبيتان في ديوانه برقم **٧٣** نقلاً عن (خاص الخاص) **١٨٥** [ص **٢٣٧** ط لبنان] وعن كتابنا هذا. وذكر أيضاً بعد ذلك ثلاثة أبيات لنفسه أولها:

هذه ليلة لها بهجة الطاووس حسناً واللون لونُ **الغداف**

والأبيات في ديوانه ق **١٢٩** نقلاً عن [خاص الخاص **١٨٤** «**٢٣٦** ط لبنان» وأحسن ما سمعت ٨٦، الباب التاسع. ودمية **القصر لوحة ١٩٩** ومعاهد التنصيص **٢ : ٩١** نقلاً عن دمية القصر].

- في ص ٨٤ ذكر المؤلف بيتين لخالد الكاتب **أولهما:**

رَقَدْتَ فلم ترثِ للساهر وليلُ المحبِّ **بلا** آخر

ونضيف إلى تخريجات الأستاذ المحقق أن البيتين **في ديوان خالد** الكاتب ص ٤٨٤ ق ٥٦٤ ب١، ٢ وبعدهما في الديوان **بيتان** آخران. والبيت الأول في (المرقصات والمطربات) **٤٩**.

- في ص **٨٥** ورد بيتان لسيدوك الواسطي، نضيف **إلى تخريجهما أنهما في (المرقصات) ٥٩.**

- في ص **٨٥** وردت أبيات للثعالبي أولها:

يا ليلةً هي طولاً كمثل شوقي ووجدي

والأبيات في ديوانه ق **٦٤** نقلاً عن [خاص الخاص ١٨٤ «٢٣٦ ط لبنان»] وعن كتابنا هذا مع خلاف في الرواية.

- في ص **٨٦** ثلاثة أبيات للقاضي التنوخي. ونضيف إلى **تخريج** المحقق أن الأول والثاني في (سرور النفس) **٢٩** ونسبهما**إلى التنوخي أيضاً.**

- في ص ٨٧،٨٦ ذكر المؤلف بيتين للوأواء الدمشقي. ونضيف

إلى تخريج المحقق أن البيتين مع ثالث لهما في (سرور النفس) ١٦٤، ونسبت فيه إلى أبي بكر الخوارزمي.

- في ص ٨٧ قال الثعالبي: ومن مطربات الحجاج... قلت: والصواب: ابن الحجاج كما في (اليتيمة) ٣: ٦٥ و (خاص الخاص) ١٦٩ ط لبنان.

- في ص ٨٧ قال الثعالبي: ومن أحسن ما قيل في الثريا قول أبي عثمان الخالديّ، وقيل: هو لابن أخيه، وينسب إلى المهلبيّ

خليليّ إني للثريّا لحاسدُ وإني على ريب الزمان لواجدُ
أيجمع منها شملها وهي سبعة وأفقدُ مَنْ أحببته وهو واحدُ

وأحال الأستاذ المحقق إلى ديوان الخالديين ٤٤ ط مجمع دمشق. قلت: قال الدكتور سامي الدهان محقق ديوان الخالديين ص ٤٣: تَفرّدت بروايتهما (يتيمة الدهر) ٢: ١٦٩، وقدّمهما الثعالبي بقوله: وهو ممّا ينسب أيضاً إلى المهلبيّ الوزير. قال الدكتور الدهان: وهما ينسبان كذلك إلى ابن طباطبا في (المغرب) لابن سعيد ص: ٢٠٢.

قلت: لم أجدهما في المغرب لابن سعيد بتحقيق الأستاذ الدكتور شوقي ضيف. ومن الملاحظ أن الدكتور الدهان لم يذكر كتاب (المغرب) في مراجع التحقيق مع أنه ذكره في حاشيته المشار إليها. وقد ورد البيتان مع ثالث لهما في (يتيمة الدهر) ١: ٤٢٩ ط محمد محيي الدين عبد الحميد. ونسبها الثعالبي إلى ابن طباطبا، وثالث الأبيات:-

كذلك مَنْ لم تخترمه منيّةٌ يرى عجباً فيما يرى ويشاهدُ

وورد البيتان الأول والثاني في (سرور النفس) ١٣٢ بلا عزوٍ وكذلك في (شرح المفصل) لابن يعيش ١: ٤١.

- في ص ٨٨ ذكر المؤلف ثلاثة أبيات لكشاجم وأولها:

أهـلاً وسـهـلاً بـالـهـلا ل بـدا لـعـيـن الـمـبـصـر

قلت: الأبيات في (المُحبّ والمحبوب) ٢ :٢٤٨ برقم ٤٢٤ وصدر البيت الأول فيه: «انظر إلى نور الهلال» وذكرها ديوان كشاجم ص ٢٤١ نقلاً عن (المحب والمحبوب) وعن (نثار الأزهار) ٤٩ وعن (أحسن ما سمعت) ٨١.

- في ص ٨٨ ذكر المؤلف ثلاثة أبيات للسريّ أولها:

قد جاء شهر السرور شوالُ وغال شهر الصوم مغتالُ

قلت: الأبيات في ديوانه المحقق ٢ : ٥٨٤ نقلاً عن (نسمة السحر) ١ : ٣٢٣ والبيت الأول والثالث في (أسرار البلاغة) ٢٦٨ برقم ٣٤٠ ط ريتر. والأبيات أيضاً في (سرور النفس) ٦٨ غير معزوّة.

- في ص ٩١ ذكر المؤلف بيتين للسريّ، ونضيف إلى ما ذكره المحقق أنهما في ديوان السري ط العراق ١ : ٣٦٩ ق ٤٩. والبيتان في (سرور النفس) ٨٧.

- في ص ٩٢ ورد في وصف الشمس أنها «ذهبت إلى أطراف الجدران» والصواب ما ورد في طبعة النبوي ص ١٠٦ «وذهّبت أطراف الجدران».

- في ص ٩٣ ذكر المؤلف بيتين لنفسه. قلت: وهما في ديوانه ق ١٥٣ نقلاً عن كتاب (مَنْ غاب عنه المطرب).

- في ص ٩٤ ذكر المؤلف أربعة أبيات لابن المعتز أولها:

يـومٌ كـأنّ سـمـاءه حُجبتْ بـأجنحـة الفواختْ

قال المحقق: لم أجدها في ديوانه. قلت: ولم أجدها أيضاً في ديوانه ط دار صادر. والبيت الأول هنا مع آخر قبله في (سرور النفس) **٢٥٩**. ونسبهما إلى ابن المعتز. وأحال الدكتور إحسان عباس إلى ديوان ابن المعتز ٣: ١٨٨ و (محاضرات الراغب) ٢: ٢٤٨. وقال الدكتور النبوي: البيت الأول ثالث أربعة أبيات في الديوان ٢: ٢٢٣. أما الثلاثة الباقية فهي غير المذكورة هنا.

- في ص ٩٦، **٩٧** ذكر المؤلف خمسة أبيات للسري الرفاء وأولها:

يوم خلعت به عذاري وعريتُ من حلل الوقار

ونضيف إلى ما ذكره الأستاذ الملوحي أن الأبيات في ديوانه ط العراق ٢: ٢١٧ ق ٢٠٥ نقلاً عن [خاص الخاص ١٢١ وعيون التواريخ ورقة ٤١ ومعاهد التنصيص ٣/٢٥٢ والإعجاز والإيجاز ٧٦] قلت: والأبيات في (المحبّ والمحبوب) ٤: ٢٢٨ ونسبها السريّ إلى الصنوبري، وليست في (ديوان الصنوبري)، وإنما فيه قصيدة مشابهة أولها:

ما فيّ من خلع العذارِ ومن التجنّب للوقار

ولعلّ نسبة أبيات السريّ إلى الصنوبري في كتاب من تأليف السريّ إنما هو من عمل أحد النساخ.

- في ص **٩٩** وردت أبيات للثعالبي، وهي في ديوانه ق **٣٦** نقلاً عن كتابنا هذا، وقد وقع خطأ مطبعيّ في كتابنا في ضبط الشطر الثاني من هذا البيت:

والورد درٌّ نابت أحسنُ بدرٍ نابت

والصواب: أحْسِنْ بدرٍّ. وورد على الصواب في الضبط في طبعة النبوي إلا أن البيت الثاني ورد على هذا النحو في طبعة النبوي:

لـكــنّ فــي عــيــنــي قــذىً مــن نــورِ شــيــبٍ نــابــت

فتكررت كلمة «نابت» ووقع الشاعر في الإيطاء. وما وقع في طبعة الأستاذ الملوحي أجود وفيها: «من نور شيبٍ سابت» والسابت: الشعر المرسل.

- في ص ١٠٠ ـ ١٠١ ذكر المؤلف خمسة أبيات للسريّ أولها:

ألست ترى ركب الغمام يساقُ وأدمعه بين الرياض تراقُ

ونضيف إلى ما ذكره المحقق أن الأبيات من قصيدة في ديوانه ط العراق ٢ : ٤٧٥ برقم ٣٦٠ والقصيدة بتمامها خمسة عشر بيتاً، ذكر منها الثعالبي الأبيات ١، ٢، ٣، ٤، ١٤ وأحال محقق الديوان وجامعه إلى (ثمار القلوب) ٦٩ و (نهاية الأرب) ٤ : ١١٩ و (ديوان المعاني) ١ : ٣٢٢.

- في ص ١٠٣ ذكر الثعالبي أربعة أبيات للسريّ أولها:

نفسي فداؤك كيف تصبر ساعةً عن فتيةٍ مثل البدورِ صِباح

ونضيف أنها في ديوانه ٢ : ٤١ برقم ٨٢٠.

- في ص ١٠٤ ذكر المؤلف ثلاثة أبيات من نظمه. قلت: هي في ديوانه ق ١٩٦ نقلاً عن (خاص الخاص) ص ٣٣ [ص ٤٣ ط لبنان] وعن كتابنا هذا.

- في ص ١٠٥ وردت عبارة الثعالبي أو غيره: إذ ظهائرنا أشجار وفي ط النبوي ١٢٢: «أسحار» بالسين المهملة وهو الصواب.

- في ص ١٠٦ قال الثعالبي: من مطربات ذلك قول بعض الحجازيين:

سقى الله أيامًا لنا لسْنَ رجّعا وسقياً لعصر العامرية من عصر

ليالِيَ أعطيتُ البطالة مِقْودي تمرّ الليالي والشهورُ ولا أدري

ولم يخرجهما الأستاذ المحقق. قلت: البيتان مع تخريجهما في (ديوان مجنون ليلى) ص ١٥٨ من قصيدة طويلة. والديوان بتحقيق الأستاذ الدكتور حسين نصّار.

- في ص ١٠٦ ذكر المؤلف بيتين لأبي تمام أولهما:

أيامنا ما كنتِ إلاّ مواهبا وكنت بإسعاف الحبيب حبائبا

وقد خرّجهما المحقق من طبعة قديمة من طبعات ديوان أبي تمام. ونضيف أنهما في ديوانه بشرح التبريزي وتحقيق محمد عبده عزام ج١ ص ١٣٨ ق ١٠ ب ١، ٢ ط دار المعارف.

- في ص ١٠٧ ذكر المؤلف خمسة أبيات من شعره أولها:

سقياً لدهر سروري والعيش بين السراري

قلت: هي في ديوانه ق ٩٣ نقلاً عن [كتاب أبي نصر ٦٦ وعن كتابنا هذا وعن دمية القصر ط الطباخ ١٨٥ ومعاهد التنصيص ٢ : ٩٢].

- وورد في ص ١٠٧ بيتان آخران للثعالبي أولهما:

سقياً لأيّام الصبا إذ أنا في طلب اللذات عفريت

قلت: هما في ديوانه ق ٣٣ نقلاً عن [ثمار القلوب ٤٩١ وعن كتابنا هذا].

- في ص ١١١ قال المؤلف: وقال عبيد الله بن عبد الله بن طاهر: أغزل بيتٍ قول الموصليّ:

إذا مرضنا أتيناكم نعودكمُ وتذنبون فنأتيكم فنعتذرُ

ونضيف إلى ما قاله المحقق فنقول: قال الثعالبي في (خاص الخاص) ١١٥ ط لبنان: المؤمل بن أميل المحاربي له هذا البيت السائر

النادر ولا غاية لظرفه. . ثم أنشد البيت المذكور ومعه آخر . وانظر ديوان المعاني ١ : ١٦٠ .

- في ص ١١٢ ذكر المؤلف بيتين للعباس بن الأحنف كان البحتري بهما معجباً، وهما:

أحرمُ منكم بما أقول وقد نال به العاشقون مَنْ عشقوا
صرت كأني ذبالةٌ نُصبت تضيء للناس وهي تحترق

ونزيد في تخريجهما أنهما في كتاب (الكامل) للمبرد ص ١٠٥٣ بتحقيق الدكتور محمد أحمد الدالي. وفي (المحب والمحبوب) ٢ : ١٣٨ برقم ٢٣٢ و (طبقات الشعراء) لابن المعتز ٢٥٥ و (التشبيهات) ٣٨٠ و (ديوان المعاني) ١ : ٢٦٣ و (الزهرة) ٤٦ . ونسبهما التوحيدي في (الإمتاع والمؤانسة) ٢ : ٥٨ إلى خالد الكاتب، وليسا في ديوانه.

- في ص ١١٣ ذكر المؤلف خمسة أبيات للسريّ الرفّاء، ونضيف إلى ما ذكره المحقق أنها في ديوانه ٢ : ١٢١ برقم ١٥٩، ووردت القصيدة في عشرين بيتاً، ذكر الثعالبي الأبيات الخمسة الأولى منها، وورد عنده ثاني الأبيات بهذه الرواية:

ورحتِ في الحبّ أشكالاً مقسّمةً بين الجفون وبين الغصن والعقدِ

قلت: ورواية البيت في (ديوان السريّ) في طبعتيه: ورحتِ في الحسنِ. وهذا الأليق بالتقسيم اللاحق.

- في ص ١١٣ ذكر الثعالبي ثلاثة أبيات من شعره. قلت: هي في ديوانه ق ١٦٧ نقلاً عن (خاص الخاص) ١٧٩ «٢٢٩ ط لبنان» و (يتيمة الدهر) ٣ : ٣٩٨ ورواية البيت الأول في اليتيمة:

قلبي وجْداً مشتعلْ على الهموم مشتملْ

ورواية الأبيات فيها خلاف في بعض الألفاظ ما بين طبعة الملوحي و (يتيمة الدهر) وطبعة النبوي و (خاص الخاص).

- في ص ١١٤ قال الثعالبي: من أحسن ما قيل في الشَّعْر قول بكر ابن النطاح:

بيضاء تسحب من قيامٍ فَرْعها ... وتضلّ فيه وهو جثلٌ أسحم
وكأنها فيه نهارٌ ساطع ... وكأنه ليلٌ عليها مظلمُ

ونضيف إلى ما ذكره الأستاذ المحقق أن البيتين في (أمالي الزجاجي) ١٠١ لأبي حيّة، وانظر الخلاف في نسبتهما في «شعر أبي حيّة» ونسبهما أبو الفرج في (الأغاني) ١٧: ٢٢ للمستهلّ بن الكميت. وفي (الحماسة الشجرية) ٢: ٩٤٨ لأبي دواد. وانظر (التشبيهات) ١٠٢ و (أمالي القالي) ١: ٢٢٤ وشرح المرزوقي للحماسة ٣: ١٢٨٥ و (المحبّ والمحبوب) ١: ١٦ و (الحماسة البصرية) ٢: ١٨١ وفي هذه المراجع إحالات أخر.

- في ص ١١٦ ورد بيتان لعدي بن الرقاع العاملي أولهما:

وكأنها بين النساء أعارها ... عينيه أحورُ من جآذر جاسم

ونضيف إلى تخريجهما أنهما في ديوانه: ١٢٢ ق ٩ب ٨.

- في ص ١١٦ قال الثعالبي: وأحسن ذو الرمة حيث يقول:

لها بشرٌ مثل الحرير ومنطقٌ ... رخيم الحواشي لاهراء ولا نزْرُ
توهمتها ألوى بأجفانها الكرى ... كرى النوم أو مالت بأعطافها الخمرُ

قال المحقق: إنه وجد البيت الأول في ديوان ذي الرمة ١: ٥٧٧ ولم يجد فيه البيت الثاني. قلت: وجاء النص في طبعة الدكتور النبوي على الصواب وسنسوقه بتمامه:

وأحسن ذو الرمة حيث قال:

لها بشرٌ مثل الحرير ومنطقٌ رخيم الحواشي لا هراء ولا نزْرُ
وعينان قال الله: كونا، فكانتا فعولان بالألباب ما تفعل الخمرُ

وأطرب البحتري بقوله:

ويوم تثنّت للوداع وسلّمتْ بعينين موصول بأجفانها السحر
توهمتها ألوى بأجفانها الكرى كرى النومِ أو مالت بأعطافها الخمر

فالنص في طبعة الأستاذ الملوحي ورد ملفقاً من نصين كما هو واضح.

قلت: وبيتا ذي الرمة في ديوانه ١: ٥٧٧، ٥٧٨ ق ١٥ ب: ٢٥، ٢٦ وبيتا البحتري في ديوانه ٢: ٨٤٤ ق ٣٣٩ ب: ٩، ١٠ ورواية عجز البيت الأول فيه:

بعينين موصولٍ بلحظهما السحر

- في ص ١١٦، ١١٧ ورد بيتان لكشاجم. قلت: هما مطلع قصيدة له في ديوانه ص ١٠١ ق ٩٣ وعنه أنهما وردا في (أحسن ما سمعت) ٩٥.

- في ص ١١٧ ذكر المؤلف بيتين للسريّ الرفاء. ونضيف إلى تخريجهما أن البيتين مع ثالث في ديوانه ٢: ٦٨٦. وقد قدّم لأبياته بقوله: وقال في غلام كان يهواه. وانظر (خاص الخاص) ١٥١، ١٥٢ و (المحب والمحبوب) ٢: ٢٥ و (النجوم الزاهرة) ٤: ٦٧ و (الإعجاز والإيجاز) ٢٢١ وفي حواشي (المحب والمحبوب) إحالات أخر.

- في ص ١١٨ ذكر المؤلف ستة أبيات من الرجز المشطور لكشاجم.

قلت: والأبيات في (ديوان كشاجم): ١١٩ ق ١٠٦، ويحسن أن نذكرها على ترتيبها الذي وردت عليه في الديوان لأنه أجود وأتمّ من ترتيب كتابنا:

واحربا من أوجهٍ ملاحٍ وحدقٍ مرائضٍ صحاحِ
ومن ثغورٍ تشبه الأقاحي مملوءة من بردٍ وراحِ
هنّ اللواتي أفسدتْ صلاحي وأبرحتني أيما إبراحِ

وتركت ليلي بلا صباحِ

- في ص ١١٨ قال الثعالبي: فصل في الثغر. من مطربات هذا الفصل قول المخزومي:

وقبلت أفواهاً عِذاباً كأنها ينابيع خمرٍ حُصّنت لؤلؤ البحر

قال المحقق: هو لابن الرومي في محاضرات الأدباء ٣: ٣٠٠

قلت: البيت ثاني بيتين لابن الرومي وردا في ديوانه ٣: ٩١٢ ق ٦٨٣ ب١، ٢ وهما برواية الديوان:

ألا ربما سؤت الغيور وساءني وبات كلانا من أخيه على وحْرِ
وقبّلتُ أفواهاً عِذاباً كأنها ينابيع خمرٍ حُصّبت لؤلؤ البحر

والأبيات في (جمع الجواهر) ٢٢٠ وفي (كتاب الصناعتين) ٤٥١.

- وفي ص ١١٩ ورد بيتان لكشاجم. ونضيف إلى ما ذكره المحقق أنهما في ديوانه ٢٤٢ برقم ٢٢٤. وانظر (ديوان المعاني) ١: ٢٤٠.

- في ص ١١٩ ورد بيتان للمؤلف. قلت: وهما في ديوانه ق ١٤٠ نقلاً عن (أحسن ما سمعت) ١٠٩ وعن كتابنا هذا.

- في ص ١٢٠، ١٢١ ذكر الثعالبي بيتي أبي نواس المعروفين وأولهما:

يا قمراً أبصرت في مأتم يندب شجواً بين أتراب

ونضيف إلى ما ذكره المحقق أن البيتين في ديوانه طبعة الأستاذ أحمد عبد المجيد الغزالي ٣٦٦ وفي (المحب والمحبوب) ١: ٢٣٣ و (ديوان

المعاني) ١ : ٢٥٤، و (التشبيهات) ١١٧ و (شرح الشريشي) على الحريري ١ : ١٥٨ و (نهاية الأرب) ٢ : ٨٨ وغيرها.

. ـ وفي ص ١٢٢ ذكر الثعالبي بيتين لابن أبي السمط. قلت: وهما في (كتاب التشبيهات) ١١٥ لعبد الله بن أبي السمط بن مروان.

ـ في ص ١٢٢ ورد بيتان لابن الرومي. ونضيف إلى مراجع التخريج أنهما في (كتاب التشبيهات) ١١٥ و (المحب والمحبوب) ١ : ٢٥٢ برقم ٤٥٠ وفيه إحالات كثيرة.

ـ في ص ١٢٢، ١٢٣ ذكر المؤلف ثلاثة أبيات لابن مهدي أولها:

خلتها في المعصفرات القواني وردةً في شقائق النعمان

قلت: الأبيات في (التشبيهات) ٣٩٥ مع بيت رابع لإبراهيم بن المهدي.

ـ في ص ١٢٥ وردت العبارات التالية:

العيون تأكله، والقلب يشربه. والأنسب ههنا ما ورد في طبعة النبوي ص ١٤٥: والقلوب تشربه.

وورد: غزلات طرفه تحت ظرفه. والأنسب ما في طبعة النبوي ص ١٤٥: غمزات طرفه، تخبر عن ظرفه.

وورد: كأنما خادم الولدان.. وفي طبعة النبوي: كأنما خاصم.

ـ في ص ١٢٦ بيتان نسبهما المؤلف إلى ابن لنكك. قلت: وهما في (اليتيمة) ٢ : ٣٦٦ للخبز أرزي نصر بن أحمد.

وفي الصفحة نفسها ورد بيتان للصنوبري في غلام يصلّي. قلت: وقد وردا في تتمة ديوان الصنوبري برقم ٢٤ ص ٤٣ نقلاً عن (الروضيات) للطباخ نقلاً عن كتابنا هذا.

- في ص ١٢٧ ورد قول الثعالبي: وفي غلام حاج قول أبي محمد بن عبد الباقي. وورد في طبعة النبوي: قول أبي محمد البافي [بباء موحّدة وفاء]. وهي نسبة إلى قرية من قرى خوارزم. ولم يخرج الأستاذ الملوحي البيتين. قلت: هما في (اليتيمة) ٣:١٢٧ ونُسبا فيها إلى الشيخ أبي محمد عبد الله بن محمد النامي الخُوارزمي. وما أثبته الدكتور النبوي هو الصحيح، بدليل أن اسم الشاعر ورد في (طبقات الشافعية) دائماً «البافي» بباء موحدة وفاء، نسبة إلى باف. انظر (طبقات الفقهاء) لأبي إسحاق الشيرازي ص ١٢٣ تح د. إحسان عباس و(طبقات الشافعية الكبرى) للسبكي ٢:٢٣٣ ط الحسينية، و(طبقات الشافعية) للإسنوي ١:١٩١. كما ذكره ياقوت في (معجم البلدان) لدن ذكره لمدينة «باف» وذكر مختارات من شعره، وقال: إنه توفي ببغداد سنة ٣٩٨ هـ. وانظر (تاريخ بغداد) ١٠:١٣٦.

- في ص ١٢٧ أيضاً ورد قول ابن المعتز في غلام يدور في الماء:

يا هلالاً يدور في فلك الما وَرْد، رفقاً بأعينٍ نظّاره

وفي ديوان ابن المعتز ١:٣٦١ طبعة محمدُ بديع شريف بدار المعارف بمصر ورد البيت:

يا هلالاً يدور في فلك النا ورد رفقاً بأعين النظاره

وقد رجعتُ إلى كتاب أدي شير «الألفاظ الفارسية المعربة» فلم أجد ذكراً للماورد وإنما وجدت: الناورد ص ١٥١. وهو بمعنى القتال وجَوَلان الخيل في الميدان. وانظر (شفاء الغليل) للشهاب الخفاجي.

أما الدكتور النبوي فقد أثبت في طبعته ص ١٤٩ كلمة «الناروذ» وعلّق عليها بما يلي «سألتُ الأستاذة الدكتورة عفاف زيدان. . . فتفضّلت مشكورة بإعطائي التوضيح التالي: نارْوَذ: المرأة التي يشبه صدرها الرمّان. نارورد:

الحرب والجدال والمعركة. وأتت أيضاً بمعنى السلوك، وبارود: اسم بلدة في خراسان. أما ماورد فلا وجود لها».

قلت: لعل الصواب أن تكون الكلمة: الناورد كما وردت في الديوان من دون شرح أو تعليق، وذلك لأن معناها هو الملائم لسياق الوصف في البيت.

- ورد أيضاً في ص ١٢٧: قول أبي البغل. قلت: الصواب ابن أبي البغل. انظر تعليقات هـ. ريتر في (أسرار البلاغة) ص ١٢٣ نقلاً عن (تجارب الأمم)١: ٢١، ٢٢، ٤٢، ٨٤، و (تاريخ الوزراء) ٤٤، ١٦٥، ١٦٧، ٢٦٢، ٣٦٨، ٢٧٢

- في ص ١٢٨ ورد قول الصاحب في غلام عاشق:

بــدا لنــا والشمس في شــروقه

قلت: رواية البيت في الديوان ٢٥٦ وفي (اليتيمة) ٣: ٢٦٠:

... والبــدر فــي شــروقه

- في ص ١٢٨ وردت ثلاثة أبيات للحسين بن الضحاك. قلت: وقد وردت الأبيات في (المحبّ والمحبوب) ١: ٦٩ برقم ١٠١ واشتملت حواشي التحقيق على إحالات كثيرة.

- في ص ١٢٨ ورد بيتان في غلام يبيع الفراني، وذكر المحقق أنهما لشمسويه البصري كما في (اليتيمة). وفي (معاهد التنصيص): شمسويه المصري.

قلت: والبيتان في (معجم الأدباء) لياقوت ١١: ٢٧١ ونسبهما إلى أبي النجيب الملقب بالطاهر الجزري، شداد بن إبراهيم بن حسن. وهو من شعراء عضد الدولة، توفي سنة ٤٠١هـ. وانظر أسرار البلاغة لعبد القاهر ص

٧ ط ريتر وفيه حاشية طويلة في تخريجهما. وانظر دلائل الإعجاز لعبد القاهر ٣٥٣ ط الدكتور الداية.

- في ص ١٢٩ وردت ثلاثة أبيات للصنوبري. قلت: هي في تتمة ديوانه برقم ٤٨ ص ٦٠ نقلاً عن (الروضيات) للطباخ ٥٤ وعن كتابنا هذا.

- في ص ١٢٩ ذكر المؤلف ثلاثة أبيات لأبي سعيد بن خلف. قلت: وهي في (خاص الخاص) ٢١١ ط لبنان. وبداية البيت الثاني فيه «هلا كمثل ناظرك».

- في ص ١٣٠ ورد بيتان للمؤلف وهما في ديوانه ق ٧٠ نقلاً عن (خاص الخاص) ١٨٠ «٢٣٠ ط لبنان» وعن كتابنا هذا وعن (أحسن ما سمعت) ١٣٠.

- في ص ١٣١ ورد العنوان: فصل في الصدغ والشارب والعذار واللحظ وفي طبعة النبوي ورد: والخط بدلاً من اللحظ. وأراه الصواب لانسجامه مع مضمون الفصل.

- في ص ١٣١ ورد بيتان لابن المعتز أولهما:

ظبيٌ يتيه بحسن صورته   عبث الدلال بلحظ مقلته

ونضيف إلى مصادر التخريج: (المحبّ والمحبوب) ١: ٢٩ وعنه (ديوان ابن المعتز) ١: ٧٠ و (الأوراق) ٣: ٢٢٢ و (التشبيهات) ٢٥١ و (مروج الذهب) ٤: ٢٢٥ وبلا عزوٍ في (المستطرف) ٢: ١٣٠. ونسب البيت الثاني إلى الناشىء في (معجم الأدباء) ١٣: ٢٩٥.

- في ص ١٣١ وبعد بيتي ابن المعتز السابقين سقط من طبعة الأستاذ الملوحي بيت السريّ التالي الذي أثبته الدكتور النبوي ص ١٥٦ على النحو التالي: «وقول السريّ:

فـــي خـــدّه وردٌ حـــمـــا ... هُ عـــن الـقـــطـــافِ بعـقـــربِ»

قلت: وانظر البيت في ديوانه: ٦٠ ط القدسي وديوانه ١: ٤٠٩ ق ٦٢ ب ٢ ط العراق.

- وأيضاً في ص ١٣١ ذكر المؤلف ثلاثة أبيات لابن المعتز أولها:

قــد صــاد قــلــبــي قــمــرٌ ... يــســحــر مــنــه الــنــظــر

قلت: الأبيات هذه ثلاثة من سبعة وردت في (المحب والمحبوب) ١: ٨٤ و (الأوراق) ٣: ٢٣١. وجاءت الرواية في (المحب والمحبوب) على نحوٍ أفضل مما وردت عليه في رواية الثعالبي.

- في ص ١٣١ ورد بيتان للسريّ الرفاء. قلت: همـا في ديوانـه ٢: ٢٤٤ ق ٢١٧. وهي في ١٤ بيتاً، اختار منها الثعالبي الأبيات ٧، ٩.

- في ص ١٣٢ ورد بيتان لكشاجم. قلت: هما في ديوانه: ٣٥٢ ق ٣٣٧ من أبيات ذكر الثعالبي منها البيتين الأول والسابع. وانظر (الديارات) للشابشتي: ١٦٨.

- في ص ١٣٢ ورد بعد بيتي كشاجم المشار إليهما سابقاً بيتـان للصاحب بن عباد، وسقط بعدهما بيت مفـرد من طبعة الأستـاذ الملوحي وأثبتته طبعة النبوي والنصّ:

[وأحسن منه قول الآخر:

كـتــابٌ من الـحســن تــوقيـعــه ... مــن الله فــي خــدّه قــد نــزلْ]

قلت: وهذا البيت ورد في (المحب والمحبوب) للخبز أرزي ١: ٤٦ وقبله:

وحُسْنٍ يُنَمنمُ ذاك العِــذارَ ... كــآثــار مــســك علـيــه غَــزَلْ

وجاء في (البصائر والذخائر) للتوحيدي ١: ٥٦ ط د. إبراهيم الكيلاني: ولمحمد بن يعقوب:

وشَعْر تظرّف للعاشقينَ ... فشاع لهم في مكان القُبَلْ
سوادٌ إلى حمرةٍ في بياضٍ ... فنصف حُليّ ونصفُ حُللْ
كتابٌ إلى الحسن توقيعه ... من الله في خدّه قد نزلْ

- في ص ١٣٦ ورد: «... راحاً أرقّ من الصبا، وعهد الصبى، وألذّ من الشماتة بالأعدا» والأليق ههنا ما ورد في طبعة النبوي ١٠٦١: بالعِدا. لتتفق الفواصل في الوزن.

- في ص ١٣٨ ذكر الثعالبي بيتين لأبي محمد الحمامي. قلت: هما في (خاص الخاص): ١٤٥ ط لبنان، ووردا منسوبين إلى أبي محمد الفياض كاتب سيف الدولة. وفي (المرقصات والمطربات): ٥٨ نسبا إلى أبي الفياض كاتب سيف الدولة..

- في ص ١٣٨ ذكر المؤلف بيتين لأبي عثمان الناجم. قلت: هما في التشبيهات ١٢٤ ونهاية الأرب ٥: ١١٧.

- في ص ١٤٠ ذكر المؤلف بيتين لأبي نواس هما:

أما ترى الأرض ما تفنى عجائبها ... والدهر يخلط ميسوراً بمعسور
وليس للهمّ إلا كلّ صافية ... كأنها دمعةٌ في عين مهجور

ولم يجدهما الأستاذ المحقق في الديوان. قلت: ورد البيت الثاني في كتاب (التشبيهات) ١٧٥ معزواً إلى أبي نواس. وقد أخذ هذا التشبيه الصنوبري في قوله: «ديوانه ص ٧٩ ق ٧٩»:

من عُقارٍ ألذّ من نكهة الور ... دِ وأصفى من دمعة المهجورِ

- في ص ١٤١ ورد بيتان لابن المعتز أولهما:

ونـدمـانٍ سقتني الـراح صـرفـاً   وأفق الليـل منسـدل السجـوف

نضيف إلى تخريجهما أنهما في (المحب والمحبوب) ٤ : ١٨٢ برقم ٣٨١ وذكر محققه أن البيتين وردا في (حلبة الكميت) معزوين إلى أبي نواس ١٠٨.

- في ص ١٤١ ذكر المؤلف بيتين من شعره. وهما في ديوانه ق ٨٣ نقلاً عن (خاص الخاص) ١٨١ «٢٣٢ ط لبنان» وذكر أنه من المعاني التي لم يسبق إليها.

- في ص ١٤١ ورد بيتان للسريّ. قلت: هما في ديوانه ٢ : ١٣٤ برقم ١٦٦ وذكر محقق الديوان كثيراً من الإحالات.

- في ص ١٤٢ ورد بيت أبي الحسن الجوهري الجرجاني:

صهبـاء لـو مـرّت بهـا قُمْـريـةٌ   أذكى عليـك بـريقُهـا مصبـاحـا

قلت: وجاء البيت على رواية أخرى في (اليتيمة) ٤ : ٤٣:

صهبـاء لـو طـافت بهـا قمـريـةٌ   أذكت عليهـا ريشهـا مصبـاحـا

أما الرواية التي أثبتها الدكتور النبوي ١٦٩ فهي:

أذكـت عليـك بِرِيقِهـا مصباحـا

- في ص ١٤٣ وردت ثلاثة أبيات للسريّ. قلت: هي في ديوانه ٢ : ٦٩٧ برقم ٤٧٢. والمقطوعة في الديوان استوفت خمسة أبيات، اختار منها الثعالبي الأبيات: ١، ٤، ٥.

- في ص ١٤٥ وردت أبيـات للبحتري. قلت: هي في ديـوانـه ٤ : ٢٢٤٣ ق ٨٤٠. اختار الثعالبي من البيت الخامس حتى العاشر.

- في ص ١٤٦ ورد بيتان لابن المعتز، نزيد في تخريجهما أنهما في (المحبّ والمحبـوب) لابن المعتز ٤ : ٢٥٩ بـرقم ٥٥٤ بـروايـة فيهـا

خلاف، وعنه: [ديوانه ٢ : ٥٤ ونهاية الأرب ٤ : ١٣٠ ومحاضرات الراغب ١ : ٣٣٥، وفصول التماثيل ٩] وفي (فصول التماثيل) ط مجمع دمشق ص : ٣٨ وفي الأبيات خلاف في رواية بعض الألفاظ.

- في ص ١٥٢ وردت ثلاثة أبيات لأبي تمام أولها:

ذو الودّ منّي وذو القربى بمنزلةٍ وإخوتي أسوة عندي وإخواني

قلت: والأبيات في ديوانه بشرح التبريزي ٣ : ٣٣٤ ق ١٦٨ ب ١٠، ١٤، ١٥ من قصيدة مدح بها سليمان بن وهب.

- في ص ١٥٢ ورد بيتان لعبد الله بن طاهر، وزادت طبعة الدكتور النَبوي ص ١٨١ بيتاً ثالثاً هو:

وإن ألفيتني ملكاً مطاعاً فإنك واجدي عبدَ الصديق

- في ص ١٥٥ وردت ثلاثة أبيات لمنصور الفقيه. قلت: هما في ملحق شعره في مجلة المجمع العلمي الهندي، المجلد ٢ ص ١٧٦ نقلاً عن كتابنا هذا.

- في ص ١٥٧ ورد قول الثعالبي:

وأحسن ما سمعت في عتاب المَلُولِ قول أبي الحسن الشاشي:

إذا أنا عاتبتُ الملولَ كأنني أخطّ بأقلامي على الماء أحرفا

وهَبْه ارعوى بعد الملام ألم يكن تودّد طبعاً فصار تكلّفا

وقد تعقّب الأستاذ الملوحي الثعالبي بقوله: «هو أبو الحسين الناشىء الأصغر في (يتيمة الدهر) ١ : ٢٣٢ [١ : ٢٤٨ ط عبد الحميد] ولعل ما ورد في المطبوعة خطأ مطبعيّ. والبيت الأول دون عزوٍ في (نهاية الأرب) ١ : ٢٨٠، وكذلك في (الإعجاز والإيجاز) ٢١٧»

قلت: يفهم من عبارة الأستاذ المحقق الأخيرة أن البيت الأول ورد فقط دون عزوٍ في (الإعجاز والإيجاز). ورواية الأبيات في الإعجاز وردت على هذا النحو:

أبو الحسين الناشىء الأصغر: ولم أسمع في ذم الملوك أحسن من قوله: إذا أنا عاتبت الملوك... إلخ.

وهذه الرواية «الملوك» هي التي ذكرها الدكتور النبوي ص ١٨٦ وهي التي ذكرت في (اليتيمة). وأرى أن رواية «الملول» أجود، لأن الملوك لا يدخلون ضمن علاقات العتاب وما إليها. ثم إن البيت الثاني يشتمل على ضمير المفرد مما ينسجم مع رواية «الملول».

- في ص ١٥٨ وردت ثلاثة أبيات لكشاجم. قلت: وهي في ديوانه ص ٣٢٧ ق ٣٠٧.

- في ص ١٥٨ ورد بيتان للثعالبي. قلت: هما في ديوانه ق ١٩٢ نقلاً عن «تتمة اليتيمة: ١٨، ١٩ في ترجمة أبي القاسم علي بن محمد البهدلي الإيلي».

- في ص ١٦١ ورد بيتان لابن الرومي. وخرجهما الأستاذ المحقق من ديوان ابن الرومي ج٣ ـ هكذا ـ قلت: والبيتان في ديوانه ٤: ١٤١٧ ق ١٠٧٨ ورواية البيت الأول في الديوان:

قصرُك الشيب فاقضِ ما أنت قاض ... من هوى البيض، قبل حين البياض

- في ص ١٦٢ وردت ثلاثة أبيات لابن طباطبا يهمنا منها الأول والثاني:

أقول وقد أوقِظْتُ من سِنة الهوى ... بهجرٍ يحاكي لوعة الصدّ والهَجْرِ
دعوني وحكم اللهو في نيلي المنى ... ولا توقظوني بالملامة والهُجْرِ

وقد وردت الأبيات في طبعة د. النبوي ١٩١ مع تغييرٍ في بعض الألفاظ. فعجز البيت الأول ورد أوله : بعذْلٍ يحاكي. والعذْل ههنا هو الأليق بسياق البيت، إلا إذا قرأنا ما ورد في طبعة الأستاذ الملوحي بضم الهاء أي: بهُجْرٍ فعندئذٍ يستقيم المعنى. وورد البيت الثاني في طبعة النبوي: «دعوني وحلم اللهو» وكلمة «الحلم» أليق من الحكم هنا، لأن الحلم يرتبط بنيل المنى وبالاستيقاظ. وقد ضبط الدكتور النبوي كلمة «الهجر» في عجز البيت الثاني بفتح الهاء والصواب ضمها كما ضبطها الأستاذ الملوحي، وذلك لمجانبة الإيطاء.

- في ص ١٦٥ ورد قول الخزاعي:

يلام أبو الفضل في جوده وهل يملك البحر أنْ لا يفيضا

وأحال المحقق إلى (ديوان دعبل) ٢٠٧.

قلت: لقد رجعت إلى (ديوان دعبل) في طبعته الثانية في مجمع دمشق ١٩٨٣ فوجدت أستاذنا المحقق الدكتور عبد الكريم الأشتر قد وضع هذا البيت في القسم الثالث من الديوان: ٣٩٨ وهو القسم المنسوب إلى دعبل وإلى غيره. وذكر أن هذا البيت نسب في (عيون الأخبار) ٢ : ٥ و (العقد الفريد) ٣ : ٤ إلى أبي يعقوب الخريمي. وكذلك هو منسوب إلى الخريمي في (خاص الخاص) ط لبنان وكذلك في (الإعجاز والإيجاز) ١٧٢. وتصحف اسم الخريمي في (الإعجاز والإيجاز) إلى أبي يعقوب الجرمي وفي (خاص الخاص) إلى الحزيمي.

وعن هذه الكتب نقل محققا ديوان الخريمي هذا البيت ووضعاه في قسم «الشعر المنسوب للخريمي ولغيره والخريمي أولى به» وقد رجح الدكتور عبد الكريم الأشتر أن يكون البيت للخريمي.

- في ص ١٦٦ ورد بيت المتنبي :

ليس التعجب من مواهب ماله   بل من سلامتها إلى عاداتها

والصواب: إلى أوقاتها كما ورد في ديوان المتنبي ١: ٣٥٣ ط البرقوقي. لأن «عاداتها» سترد في البيت التالي حسب رواية الديوان، ووردت في بيت سابق حسب (من غاب عنه المطرب) وليس المتنبي ممّن يقعون في الإيطاء. وقد أثبت الدكتور النبوي الرواية الصحيحة.

- في ص ١٦٧ ذكر المؤلف بيتين لكشاجم. قلت: هما في ديوانه ص ١٧٣ ق ١٥٨ في وصف طبيب. والقصيدة بتمامها وردت في ٢٠ بيتاً ذكر منها الثعالبي البيتين ١٠، ١٢.

- وبعد أبيات كشاجم في ص ١٦٧ وردت ثلاثة أبيات للسريّ الرفاء.

قلت: هي في ديوانه ٢: ٦٧٩ برقم ٤٦١ وهي من مقطوعة في أربعة أبيات، اختار منها الثعالبي الأبيات ١، ٣، ٤.

- في ص ١٦٨ ذكر المؤلف بيتين من شعره في وصف منجّم. قلت: البيتان في ديوانه ق ١٤٧ نقلاً عن «أحسن ما سمعت ١٦١، ١٦٢ وخاص الخاص ١٨٩ [٢٤٢ ط لبنان] وثمار القلوب ٦٧٨، ٦٧٩. وهذا الكتاب وتحفة الوزراء لوحة ٣ ب ولوحة ٤ أ وفيها روايات مختلفة».

- في ص ١٦٩ ذكر المؤلف بيتين للصاحب بن عباد في وصف الشمع هما:

ورائق القدّ مستحبّ   يجمع أوصاف كلّ صبّ
صفرةُ لون وسكْبُ دمع   وذوب جسمٍ وحرقُ قلب

والبيتان في (سرور النفس) ٣٨١ برواية أخرى:

ورائق اللون مستحبّ   يجمع أوصاف كلّ حِبّ
سهادُ ليلٍ ودمع عينٍ   ولون حِبٍّ وحرّ قلبِ

- في ص ١٧١ ذكر المؤلف بيتاً واحداً للسريّ، قلت: هو في ديوانه ٢ : ٥١٢ برقم ٣٨٢ والبيت:

حيّا بك الله عاشقيك فقد أصبحتَ ريحانةً لمن عشقا

وقد استفاض محقق الديوان في التعليق على هذا البيت.

- وفي ص ١٧١ ذكر الثعالبي بيتين لأبي المطاع ذي القرنين. قلت هما في (خاص الخاص) ١٤٥ ط لبنان. والبيت الأخير فيه :

فلا مشى من وشى عند العدوّ بنا

وفي ط الملوحي : من وشىٰ عنك العدو. والصواب: عند.

هذه مجمل الاستدراكات والتصحيحات التي دوّناها. وقد ضربنا صفحاً عن ذكر كثير من الجزئيات، ولم نذكر إلا النزر من خلافات الرواية، لأن مثل هذا العمل موضعه حواشي الكتاب عندما يعاد نشره محققاً في طبعة ثانية.

٣ ـ الملاحظ العامة :

- كنّا نودّ لو أنّ المحقق قارن أصله (المطبوع) بنسخ خطيّة، وعلى الأقل بنسخة الظاهرية بدمشق ذات الرقم ٧٨٦١ وهي منسوخة سنة ١١٦٣هـ على يد حسين القرافي، فربما كانت مفيدة.

- تبنّى الأستاذ المحقق مقدمة الناشر للأصل وشروحه، وكان في حلٍّ من ذلك ولا سيما أن دراسات عديدة ظهرت عن الثعالبي فيما بين عامي ١٣٠٩هـ سنة ظهور الكتاب وسنة ١٤٠٨هـ سنة ظهور طبعة الأستاذ الملوحي. وكان بإمكان المحقق أن يقدم مقدمةً وشروحاً على نحوٍ أدقّ وأفضل مما كان عليه الأمر في طبعة ١٣٠٩هـ.

- لم يُشر الأستاذ المحقق إلا نادراً إلى اختلاف رواية الشعر في المصادر والمراجع المختلفة، وأرى أن النص على خلافات الروايات أمرٌ

ضروري جداً في كتاب قائم على مبدأ الاختيار ككتاب الثعالبي هذا. وحبذا لو أن الأستاذ المحقق ترجم لمن ذكرهم الثعالبي كما فعل الدكتور النبوي.

- ذكر الأستاذ المحقق مراجع التحقيق ولم يذكر بجانبها أسماء مؤلفيها ولا محققيها ولا تاريخ الطبع ولا مكان النشر. فهو يذكر مثلاً: (ديوان ابن المعتز) بدون أي إضافة مع العلم أن (ديوان ابن المعتز) طبع في لبنان ومصر وإستانبول والعراق وتعاقب عليه عدد من المحققين، فإلى أي طبعة كان يحيلنا الأستاذ الملوحي؟! وقل مثل ذلك في سائر المراجع. ودمج الأستاذ أسماء مراجعه بأسماء الكتب التي وردت في متن الكتاب وكان يجب الفصل بينهما، كما أنه تصرّف في أسماء بعض الكتب، فقد ذكر في حرف الشين كتاب: (شواهد التلخيص) وحقّ هذا الكتاب أن يكون في الميم لأن اسمه «معاهد التنصيص في شرح شواهد التلخيص» لعبد الرحيم العباسي.

هذه جملة الملاحظ التي نرجو أن نكون قد وفقنا إليها، على أنها والحق يقال لا تنتقص من عمل الأستاذ المحقق الذي أحيا الكتاب وأبرزه للناس في حلة قشيبة فيها من الجهد الدؤوب ما فيها. وحسبي أن يكون هذا البحث تحية لجهوده وتقديراً لعمله.

مراجـــع البحـــث

- أسرار البلاغة. عبد القاهر الجرجاني. تح هـ. ريتر. دار المسيـرة ـ بيروت ١٩٧٩ .
- الإعجاز والإيجاز. أبو منصور الثعالبي . شرحه إسكندر آصاف. مصر ١٨٩٧ .
- الأغاني . أبو الفرج الأصفهاني. دار الكتب المصرية.
- أمالي الزجاجي . أبو القاسم الزجاجي. تح عبد السلام هارون ـ القاهرة ١٣٨٢هـ
- أمالي القالي. أبو علي القالي . بإشراف محمد عبد الجواد الأصمعي . دار الكتب المصرية .
- الإمتاع والمؤانسة . أبو حيان التوحيدي. تح أحمد أمين وأحمد الزين ـ القاهرة ١٩٥٣ .
- البصائر والذخائر. أبو حيان التوحيدي. تح د. إبراهيم الكيلاني ـ دار أطلس ـ دمشق ١٩٦٤
- بهجة المجالس. ابن عبد البر القرطبي. تح محمد مرسي الخـولي ـ القاهرة .
- التشبيهات. ابن أبي عون . تح محمد عبد المعيد خان .كمبردج ١٩٥٠
- الحماسة البصرية . البصري . تح د. مختار الدين أحمد ـ عالم الكتب ـ بيروت .
- خاص الخاص. أبو منصور الثعالبي . دار مكتبة الحياة. بيروت .

- دلائل الإعجاز. عبد القاهر الجرجاني. تح د. محمد رضوان الداية ود. فايز الداية. دار قتيبة ـ دمشق ١٩٨٣
- الديارات. الشابشتي. تح. كوركيس عواد. بغداد ١٩٦٦.
- ديوان ابن دريد. ابن دريد. تح السيد محمد بدر الدين العلوي. لجنة التأليف والترجمة والنشر. القاهرة ١٩٤٦.
- ديوان ابن الرومي. ابن الرومي. تح د. حسين نصّار. القاهرة. ١٩٧٣ ـ ١٩٧٩
- ديوان ابن المعتز. ابن المعتز. دار صادر ـ بيروت.
- ديوان أبي تمام. أبو تمام. بشرح التبريزي وتح محمد عبده عزام. دار المعارف بمصر ١٩٦٤.
- ديوان أبي نواس. أبو نواس. تح أحمد عبد المجيد الغزالي ـ القاهرة ١٩٥٣.
- ديوان البحتري. البحتري. تح حسن كامل الصيرفي. دار المعارف بمصر.
- ديوان الثعالبي. جمعه وحققه الدكتور عبد الفتاح محمد الحلو. مجلة المورد، المجلد السادس ١٩٧٧.
- ديوان خالد الكاتب. خالد الكاتب. تح يونس أحمد السامرائي ـ بغداد ١٩٨١.
- ديوان الخالديين. الخالديان. تح د. سامي الدهان. ط مجمع اللغة العربية بدمشق.
- ديوان الخريمي. أبو يعقوب الخريمي. تح علي جواد الطاهر. ومحمد جبار المعيبد. بيروت ١٩٧١.

- ديوان دعبل. دعبل. تح د. عبد الكريم الأشتر. مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٨٣.
- ديوان السري الرفاء. السريّ. تح حبيب حسين الحسيني ـ بغداد ١٩٨١.
- ديوان الصنوبري. الصنوبري تح د. إحسان عباس. دار الثقافة ـ بيروت ١٩٧٠.
- ديوان عدي بن الرقاع. عدي. تح د. نوري حمودي القيسي ود. حاتم صالح الضامن.المجمع العلمي العراقي ١٩٨٧
- ديوان كشاجم. كشاجم. تح خيرية محمد محفوظ ـ بغداد ١٩٧٠.
- ديوان المتنبي. المتنبي. شرح عبد الرحمن البرقوقي. المكتبة التجارية الكبرى ـ القاهرة.
- ديوان المعاني: أبو هلال العسكري. مكتبة الأندلس ـ بغداد. مصور عن طبعة القدسي ١٣٥٢ هـ
- زهر الآداب: أبو إسحاق الحصري. تح د. زكي مبارك. المكتبة التجارية ـ القاهرة.
- الزهرة: داود. تح نيكل ـ بيروت ١٩٣٢
- سرور النفس بمدارك الحواس الخمس. التيفاشي. هذبه ابن منظور. تح د. إحسان عباس.المؤسسة العربية للدراسات والنشر ١٩٨٠.
- شرح حماسة أبي تمام. المرزوقي. تح أحمد أمين وعبد السلام هارون. القاهرة ١٩٦٨
- شرح المفصل. ابن يعيش الحلبي. دار الطباعة المنيرية.
- شرح مقامات الحريري. الشريشي. بولاق. القاهرة ١٣٠٠ هـ

- شعر أبي حيّة. أبو حية. تح د. يحيى الجبوري. وزارة الثقافة. دمشق ١٩٧٥.
- طبقات الشافعية. الإسنوي. تح عبد الله الجبوري. وزارة الأوقاف ـ بغداد ١٣٩١ هـ
- طبقات الشافعية الكبرى. السبكي. المطبعة الحسينية بالقاهرة ١٣٢٤هـ
- طبقات الشعراء. ابن المعتز. تح عبد الستار فراج. دار المعارف بمصر ١٩٥٦
- طبقات الفقهاء. أبو إسحاق الشيرازي. تح د. إحسان عباس. دار الرائد العربي ـ بيروت ١٩٨١.
- فصول التماثيل. ابن المعتز تح د. جورج قنازع ود. فهد أبو خضرة. مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٨٩.
- قطب السرور في أوصاف الخمور. الرقيق النديم. تح أحمد الجندي. مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٦٩.
- الكامل. أبو العباس المبرد. تح د. محمد أحمد الدالي. الشركة المتحدة ـ دمشق ١٩٨٦
- مجلة المجمع العلمي الهندي. المجلد الثاني: شعر منصور الفقيه.
- المحب والمحبوب والمشموم والمشروب. السريّ الرفاء. ج١و٢و٣ بتحقيق مصباح غلاونجي. وج٤ بتحقيق ماجد الذهبي. ط مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٨٦ ـ ١٩٨٧
- المرقصات والمطربات: نور الدين علي بن الوزير أبي عمران. دار حمد ومحيو ١٩٧٣.

- معجم الأدباء. ياقوت الحموي. ط أحمد فريد الرفاعي.
- المنصف. ابن وكيع. تح د. محمد رضوان الداية. دار قتيبة. دمشق.
- نهاية الأرب. النويري. ط دار الكتب المصرية.
- يتيمة الدهر. الثعالبي. تح محمد محيي الدين عبد الحميد القاهرة ١٩٥٦.

حركة الورّاقين في الحضارة العربيّة الإسلاميّة

الدّكتور ربحي مصطفى عليّان
كليّة التربية - جامعة البحرين

المقـــدمة :

يشكل تاريخ الكتب والمكتبات في الإسلام جزءاً مهماً من تاريخ الحضارة العربية الإسلامية. والمعروف أن العرب لم يعرفوا الكتب قبل مجيء الإسلام. ولهذا فقد كان القرآن الكريم (كتاب الله) فتحاً جديداً، ليس في تاريخ العقيدة الإسلامية فحسب، بل في تاريخ الحضارة العربية الإسلامية. ولقد كرّم القرآن الكريم العلم والعلماء والكتاب والقلم. وجاء في محكم آياته «هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ»(١)، وجاء أيضاً «وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ»(٢). كما أقسم سبحانه بالقلم في قوله : «وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ»(٣). كذلك اهتم الإسلام بالكتابة، وقد نصت على ذلك الآية القرآنية «يَا أَيُّها ٱلَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُم بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمّىً فَٱكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِٱلْعَدْلِ»(٤).

---

(١) القرآن الكريم. سورة الزمر، الآية رقم ٩
(٢) القرآن الكريم. سورة الطور، الآية رقم ٢
(٣) القرآن الكريم. سورة القلم، الآية رقم ١
(٤) القرآن الكريم. سورة البقرة، الآية رقم ٢٨٢.

وتعتبر المكتبات وخزائن الكتب الإسلامية من أهم المؤسسات الثقافية التي تفخر بها الحضارة العربية الإسلامية، حيث إنها قامت بدور كبير في نشر العلوم والمعارف بين المسلمين. ولقد تعدى تأثيرها المسلمين أنفسهم، وانتقلت آثارها المختلفة إلى أوروبا في عصورها المظلمة. أما الحركة التي قامت على أكتافها المكتبات وخزائن الكتب الإسلامية باعتبارها مظهراً من مظاهر الثقافة العربية الإسلامية فهي حركة الوراقين. ولئن أغفل المؤرخون أخبار هذه الحركة ولم يهتموا بها، فإن فضل الوراقين لا يمكن إنكاره بأي حال، ذلك أن ملايين المخطوطات العربية التي ملأت مكتبات بغداد والبصرة ودمشق وقرطبة وبخاري والقاهرة وإستنبول وغيرها من المدن الإسلامية قبل اختراع الطباعة تشهد لهؤلاء الوراقين.

لقد كانت الرواية الشفوية أول محاولة لنقل المعرفة والعلوم عند جميع الشعوب والحضارات، ولكن الرواية في الحضارة العربية الإسلامية بشكل عام ورواية الحديث بشكل خاص اقترنت منذ البداية بالحرص الشديد والدقة الكاملة والأمانة والصدق، لأن الدين الإسلامي يدعو إلى ذلك. ولأن كثيراً من نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة كانت شاهداً من شواهد التشريع وآية من آيات الفتوى، فقد التزم المسلمون الأمانة والحرص في روايتهم كلام الله ورسوله، وفي روايتهم أشعار الجاهليين وأيامهم ووقائعهم. ولقد كانت الكتابة شيئاً جديداً. فالعرب كانوا أميين ولم تنتشر الكتابة بينهم إلاّ بدعوة الإسلام. «ففي أعقاب غزوة بدر كان من طرق مفاداة الأسرى المشركين أن يعلم الأسير عشرة من المسلمين الكتابة. فكان زيد بن ثابت ـ كاتب رسول الله ـ أحد هؤلاء الذين علّمهم الأسرى»[٥].

---

(٥) المقريزي. إمتاع الأسماع. الجزء الأول، ص ١٠١.

ومع ظهور حلقات الدرس ومجالس الإملاء في الحضارة العربية الإسلامية، بدأ التأليف يتجاوز حدوده التقليدية وأصبح العلماء المسلمون لا يلتزمون بموضوعات محددة، وإنما يتناولون أكثر من مجال من مجالات المعرفة والعلوم. وقد أدى انتشار مجالس الإملاء إلى ظهور كتب كثيرة تعرف باسم «الأمالي»، أفرد لها حاجي خليفة فصلاً خاصاً بها في كتابه المعروف «كشف الظنون»[٦]. وقد ازدهرت حركة التأليف ازدهاراً واضحاً وملموساً خلال القرنين الثالث والرابع للهجرة، يدفعها ويمدها بأسباب الخصب والنماء انتشار صناعة الورق في بغداد ابتداءً من عصر الرشيد، وظهور طبقة جديدة تعرف بطبقة الوراقين التي تمارس صناعة الوراقة وهي كما يعرفها ابن خلدون «عملية الانتساخ والتصحيح والتجليد وسائر الأمور الكتبية...»[٧]، ولولا دخول صناعة الورق وانتشارها في الديار الإسلامية المختلفة وظهور حركة الوراقين، لرأينا حركة التدوين والتأليف والترجمة مقيّدة الخطى، ولَمَا انتشر الكتاب العربي الإسلامي بشكل واسع.

لقد كان الوراقون جنوداً مجهولين في الحضارة العربية الإسلامية. فقد أغفل المؤرخون أخبارهم ولم يهتموا بهم، ولهذا فإن أخبارهم نادرة ومبعثرة في بطون الكتب. ولم يعرهم الاهتمام الواضح سوى اثنين كانا وراقين أيضاً وهما: ابن النديم وياقوت الحموي. فقد تعرض ابن النديم في كتابه «الفهرست»[٨] لسيرة عدد من الوراقين. أما ياقوت، فقد ترجم في «معجم الأدباء» لبعض الوراقين، وقال في مقدمة كتابه: «وجمعت في هذا الكتاب ما وقع إليّ من أخبار النحويين واللغويين والنسابين، والقراء المشهورين والإخباريين والمؤرخين والوراقين المعروفين...»[٩] وقد تعمّد

(٦) انظر حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون.
(٧) ابن خلدون، المقدمة، ص ٣٦٧ - ٣٦٨.
(٨) انظر الفهرست لابن النديم.
(٩) ياقوت الحموي، معجم الأدباء. ج١، ص ٤٨.

ياقوت أن يترجم للوراقين لأنه ورّاق مثلهم، حيث بلغ من ترجم لهم من الوراقين أو ذكرهم عرضاً في سياق تراجم غيرهم خمسون وراقاً من مجموع التراجم البالغة ألفاً ومائة واثنتين وأربعين ترجمة.

لقد شهد القرن الثاني للهجرة بداية حركة التدوين التي تمثلت في جمع الحديث النبوي الشريف ومن بعده المغازي والسير. ثم تتابع التأليف في مختلف فروع المعرفة آنذاك. ولم يلبث العرب أن أحسوا بالحاجة إلى تدوين تراثهم وتاريخهم. فظهرت الكتب المختلفة متأثرة في بداية الأمر بطريقة التأليف في الحديث. كذلك شهد هذا القرن (الثاني للهجرة) البدايات الأولى لحركة الترجمة نتيجة اتصال المسلمين بالحضارات الأخرى كالفارسية واليونانية. «ويعتبر عصر الرشيد والمأمون العصر الذهبي للترجمة. فقد كانت الترجمة عملاً رسمياً تتولاه الدولة وتنفق عليه بسخاء. كما أسس الرشيد أكاديمية تحوي قسماً «للترجمة والتأليف ومكتبة وهي بيت الحكمة في بغداد»[(١٠)]

بداية الحركة ونشأتها:

قبل الحديث عن حركة الوراقين فإن قصة التدوين وصناعة الورق في الحضارة العربية الإسلامية تستحقان وقفة قصيرة. لأنهما الأساس الذي استندت إليه الحركة. فمن المعروف أن المسلمين الأوائل كانوا يعتمدون على الذاكرة في استظهار آيات القرآن وحفظها، ولكن وجد في عهد الرسول الكريم بعض الصحابة الذين سجلوا أجزاء كثيرة متفرقة من القرآن الكريم على سعف النخيل أو رقاق الحجارة أو اللحاء العريضة أو ما شابهها من المواد. وقد توفي الرسول عليه السلام والأمر على ما ذكر، على الرغم من أن عدداً كبيراً من الصحابة كان يحفظ القرآن الكريم غيباً، وعلى رأسهم شيخ

(١٠) ميري فتوحي، فهرسة الكتاب العربي، ص ١٣.

القرّاء زيد بن ثابت. فلما استمر القتل في الصحابة، وبخاصة القرّاء منهم، أثناء حرب الردة في زمن أبي بكر رضي الله عنه، خاف أبو بكر على القرآن من الضياع، فاستشار الصحابة في جمع القرآن الكريم في طرس واحد، فوافقوه على ذلك، وشكلوا لجنة لهذا الغرض يرأسها زيد بن ثابت. فكتبوا القرآن في الرق لطول بقائه أو لأنه موجود عندهم حينئذ(١١). ويؤيد ذلك الزركشي في كتابه «البرهان في علوم القرآن»* والسيوطي في كتابه «الإتقان في علوم القرآن»**.

وعندما جاء الخليفة عثمان بن عفان ورأى اختلاف الأمصار الإسلامية في قراءة القرآن الكريم، أمر باستنساخ نسخ رسمية للقرآن الكريم وتوزيعها على البلاد الإسلامية حتى لا يحدث اختلاف في القراءات، فنسخت خمسة مصاحف أرسلت إلى الكوفة والبصرة ودمشق ومكة والمدينة. وأبقى عثمان لنفسه مصحفاً عرف بالمصحف الإمام. ومنذ ذلك التاريخ حفظ النص الأصلي للقرآن الكريم مصداقاً لقوله سبحانه: «إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ»(١٢). ويمكن القول إن الذين قاموا بنسخ المصاحف الخمسة هم الوراقون الأوائل في الحضارة العربية الإسلامية. كما يمكن القول إنّ حركة الوراقين بمفهومها الواسع قد بدأت منذ ذلك الزمن المبكر. يقول السجستاني في «كتاب المصاحف»: «حدثنا عبد الله، حدثنا محمد بن إسماعيل الأخمس وعلي بن أبي الخصيب قال: حدثنا وكيع عن علي بن المبارك عن أبي حكيمة العبدي قال: كنت أكتب المصاحف بالكوفة، فيمر علينا علي بن أبي طالب رضي الله عنه فيقوم فينظر فيعجبه خطنا

---

(١١) القلقشندي. صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ج٢، ص ٤٧٥.
* الزركشي. البرهان في علوم القرآن. م١، ص ٢٣٣ - ٢٣٤.
** السيوطي. الإتقان في علوم القرآن. ج١، ص ٧٦ - ٧٧.

(١٢) القرآن الكريم. سورة الحجر، الآية رقم٩.

ويقول: هكذا نوروا ما نوّر الله»[١٣]. وقد روى المؤلف نفسه أن عبدالله بن عوف استكتب رجلاً من أهل الحيرة مصحفاً فأعطاه سبعين درهماً[١٤].

وبعد تدوين القرآن الكريم في المصاحف، قل اعتماد المسلمين على الذاكرة وازداد اعتمادهم على الكلمة المكتوبة. وعندما احتكوا بالأمم والشعوب الأخرى المجاورة ورأوا ما عندهم من حضارة وثقافة، بدأت عملية التمازج الحضاري، وظهر عند المسلمين من المعارف والعلوم ما جعل الاعتماد على الذاكرة أمراً مستحيلاً، فبدأت حركة التدوين والنقل والتأليف بالانتشار، لتزدهر على أثرها الحضارة العربية الإسلامية بعامة وحركة الوراقين بخاصة.

والجدير بالذكر أن العرب في الجاهلية وصدر الإسلام قد كتبوا على مواد مختلفة كأكتاف الإبل واللخاف وهي «الحجارة الرقيقة البيضاء»، بالإضافة إلى الألواح الخشبية وعسب النخل. كما استخدم العرب وسائل أخرى للكتابة قبل الورق مثل الرقوق وهي تلك الجلود التي دبغت وصقلت بأسلوب معين يجعلها صالحة للكتابة. وقد جاء في القرآن الكريم: «وَٱلطُّورِ وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ»[١٥] وهذا دليل على استخدام الرقوق في الكتابة. وتذكر المصادر أن الرقوق كانت تجلب من بلاد فارس[١٦]، وأنها بقيت من أدوات الكتابة المستعملة لدى العلماء والأدباء حتى القرن السادس للهجرة [١٧] كذلك استخدم العرب القراطيس وهي أوراق البردي وكان مصدرها الأول مصر، وكانت مظهراً من مظاهر

---

(١٣) السجستاني، كتاب المصاحف، ص ١٣١ - ١٣٢.
(١٤) المصدر نفسه ص ١٣٣
(١٥) القران الكريم، سورة الطور، الآية ١ - ٣.
(١٦) ناجي معروف. الورق البغدادي، ص ٤٠٧.
(١٧) محمد طه الحاجرى، الورق والوراقة في الحضارة الإسلامية، ص ٨٢.

الحياة المتحضرة حيث كتبت عليها المواثيق والعهود والكتب المقدسة. وقد ورد ذكر القراطيس في القرآن الكريم في قوله تعالى: «وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَاباً فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ. . .»[١٨]. أما المهارق فهي نوع من أنواع الورق يدل استعماله على التقدم الحضاري والترف عند الأقوام التي تستخدمه. وهذا يعود إلى أنها تصنع من الحرير المعروف بغلاء ثمنه. وقد تطرق الجاحظ في كتابه الحيوان إلى المهارق حيث يقول: «والمهارق ليس يراد بها الصحف والكتب، ولا يقال للكتب مهارق حتى تكون كتب دين أو كتب عهود وميثاق وأمان». وكانت المهارق تصنع في بلاد فاوس من الحرير[١٩]. أما الصحف المستخدمة من الجلود فقد استعملها العرب في بداية عهد الإسلام. وقد ورد ذكرها في القرآن الكريم في قوله تعالى: «إِنَّ هٰذا لَفِي الصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ، صُحُفِ إِبْراهِيمَ وَمُوسَى»[٢٠]. وفي قوله سبحانه: «رَسُولٌ مِنَ اللهِ يَتْلُو صُحُفاً مُطَهَّرَةً»[٢١].

ومما ساعد على انتشار التأليف والنقل وازدهار الحركة العلمية على مقياس لم يُعهد من قبل، دخول صناعة الورق وانتشاره في الجزء الشرقي من البلاد الإسلامية، ابتداءً من عصر الرشيد والمأمون ومن أتى بعدهما، ثم اتساع نطاق استعماله غرباً حتى الأندلس. ولقد كانت صناعة الورق معروفة منذ القديم في بلاد الصين والشرق الأقصى وكان يصنع من عجينة من الحرير والكتان وغيرها من المواد. ولما فتح المسلمون سمرقند عام ٧١٢ للميلاد وجدوا فيها الكاغد[٢٢]. وعلى الرغم من أنهم لم ينتبهوا أول الأمر

(١٨) القرآن الكريم، سورة الأنعام، الآية رقم ٧.
(١٩) ناجي معروف، الورق البغدادي، ص ٤٠٨.
(٢٠) القرآن الكريم، سورة الأعلى، الآية رقم ١٨ ـ ١٩
(٢١) القرآن الكريم. سورة البينة، الآية رقم ٢.
(٢٢) الكاغد هو الورق المصنوع من العشب أو الخرق (قطع القماش البالية). محمد ماهر حمادة. المكتبات في الإسلام، ص ٧٣.

لأهميته واعتبروه شيئاً عادياً، إلّا أنهم بعد فترة تعلموا صناعته ونقلوها إلى بغداد، حيث تأسس أول مصنع للورق فيها قبل نهاية القرن الثامن للميلاد، (٧٩٤م). وقد تركزت صناعته في محلة كبيرة في بغداد اسمها دار القز. بعد ذلك انتشرت صناعة الورق في بقية الديار الإسلامية، فقد تأسس أول مصنع للورق في مصر عام ٨٠٠ للميلاد. كما اشتهرت الأندلس بصناعته وكان مركزه في مدينة شاطبة التي كانت تصدّره إلى أوروبا. وقد تأسس أول مصنع للورق في الأندلس عام ٩٥٠ للميلاد. وكانت معامل الورق في الأندلس تنتج جميع أنواعه بما فيها الأبيض والملون[٢٣]. وقد تعلمت أوروبا صناعته عن طريق احتكاك الأوروبيين بالمسلمين في بلاد الشام وغيرها أثناء الحروب الصليبية وعن طريق الأندلس كذلك.

ويعود الفضل في إدخال الورق أو الكاغد في الدواوين ووضعه في الاستعمال إلى الخليفة الرشيد ووزيره جعفر. يقول المقريزي «وكانت كتابة الدواوين في صدر الإسلام، أن يجعل ما يكتب فيه صحفاً مدرجة، فلما انقضت أيام بني أمية وقام عبد الله بن محمد أبو العباس السفاح، استوزر خالد بن برمك... فجعل الدفاتر في الدواوين من الجلود وكتب فيها وترك الدروج إلى أن تصرف جعفر بن يحيى بن خالد بن برمك في الأمور أيام الرشيد، فاتخذ الكاغد وتداوله الناس بعده إلى اليوم»[٢٤]. ويتفق على هذا الأمر القلقشندي حيث يذكر أن «الورق كثر زمن الرشيد وفشا عمله بين الناس، فأمر ألّا يكتب الناس إلّا في الكاغد لأن الجلود ونحوها تقبل المحو والإعادة فتقبل التزوير، بخلاف الورق فإنه متى محي فسد وإن كشط ظهر كشطه.. وإنتشرت الكتابة في الورق إلى سائر الأقطار وتعاطاها من قرب

(٢٣) محمد ماهر حمادة، المكتبات في الإسلام، ص ٧٣ - ٧٤.

(٢٤) المقريزي، الخطط المقريزية، الجزء الأول، ص ١٦٣.

ومن بعد وأستمر الناس على ذلك إلى الآن»(٢٥). كذلك يتفق ابن خلدون مع المقريزي والقلقشندي في أن الورق ظهر وفشا استعماله أيام الرشيد ولكنه يذكر أن الفضل بن يحيى هو الذي أشار بصناعته الكاغد وصنعه وكتب فيه رسائل السلطان وصكوكه واتخذه الناس من بعده صحفاً «لمكتوباتهم السلطانية والعلمية وبلغت الإجادة في صناعته ما شاءت»(٢٦).

ويصف القلقشندي أنواع الورق المعروفة في عهده فيقول : «الورق بفتح الراء ويسمى الكاغد. . وأعلى أجناس الورق فيما رأيناه البغدادي وهو ورق ثخين مع ليونة ورقة حاشية وتناسب أجزائه وقطعه وافر جداً ولا يكتب فيه في الغالب إلاّ المصاحف الشريفة وربما استعمله كتابُ الإنشاء في مكاتبات القافات ونحوها. . . ودونه في المرتبة الشامي . . . ودونهما في المرتبة الورق المصري . . . ودون ذلك ورق أهل المغرب والفرنجة فهو رديء جداً سريع البلى قليل المكث ولذلك يكتبون المصاحف غالباً في الرق على العادة الأولى طلباً لطول البقاء»(٢٧).

وقد اشتهرت سمرقند بصناعة الورق وأصبحت من المدن الكبيرة المنزلة في هذا المجال لمدة طويلة من الزمن لكن سمرقند بطبيعة الحال لا تكفي حاجة البلاد الإسلامية من الورق ولهذا قامت مصانع الورق في معظم المدن الإسلامية. فقد انتقلت صناعته أولاً إلى بغداد نتيجة للقرب الجغرافي وكذلك بسبب الدور الثقافي والحضاري لبغداد. ومن الطبيعي أن تنتقل صناعة الورق من بغداد إلى بلاد الشام. فقد كانت طرابلس الشام من عيون المدن التي فاقت سواها من البلدان في صناعة الورق. كما تميزت طبريا في فلسطين بكاغدها الجيد منذ المائة الرابعة للهجرة. أما دمشق

(٢٥) القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، الجزء الثاني، ص ٤٧٥.

(٢٦) ابن خلدون، كتاب العبر، الجزء الأول ص ٣٥٢.

(٢٧) القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، الجزء الثاني، ص ٤٧٦ - ٤٧٧.

فتعتبر من المراكز الحضارية التي اشتهرت بمعامل الورق اشتهاراً بعيداً[٢٨] وتذكر المصادر أن أوروبا كانت تبتاع الورق الدمشقي[٢٩] كما انتقلت صناعة الورق إلى الديار المصرية وقد وصف القلقشندي الورق المصري بأنه في المرتبة الثالثة بعد البغدادي والدمشقي[٣٠]. وقد أسس أول مصنع للورق في مصر سنة ٨٠٠ للميلاد. بعد ذلك انتقلت صناعة الورق إلى قبرص وصقلية والمغرب والأندلس ومنها إنتقلت وبعد مئات السنين إلى أوروبا.

لقد استدعى إختراع الورق من قبل الصينيين وانتشار صناعته واستعماله في الديار الإسلامية ظهور طائفة من الناس يشتغلون بالورق والكتابة والكتب وهؤلاء هم الوراقون، الذين لعبوا دوراً لا يمكن تجاهله في مجال نشر الثقافة العربية الإسلامية. ذلك أنهم كانوا آنذاك بمثابة دور النشر للكتب في أيامنا هذه، يقومون بنسخ الكتب وتصحيحها وتجليدها وعرضها في الحوانيت الخاصة بهم وبيعها في أسواق الكتب.

وقد بدأ ذكر الوراقين وحوانيتهم منذ عهد الرشيد، أي منذ بدء استعمال الورق في الدواوين والرسائل والكتب لأول مرة. يدل على ذلك القصة التي يوردها ياقوت الحموي في معجمه، حيث يقول: «وحدث أبو مسجل عبد الوهاب قال: كان إسماعيل بن صبيح الكاتب قد أقدم أبا عبيدة من البصرة في أيام الرشيد إلى بغداد وأحضر الأثرم وهو يومئذ وراق وجعله في دار من دوره وأغلق عليه الباب ودفع إليه كتب أبي عبيدة وأمره بنسخها، فكنت أنا وجماعة من أصحابنا نصير إلى الأثرم فيدفع إلينا الكتاب والورق

---

(٢٨) كوركيس عواد، الورق أو الكاغد: صناعته في العصور الإسلامية، ص ٤١١.

(٢٩) محمد كرد علي بك، الإسلام والحضارة العربية، الجزء الأول، ص ١٢٥.

(٣٠) القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، الجزء الثاني، ص ٤٧٦ - ٤٧٧.

الأبيض من عنده ويسألنا نسخه وتعجيله ويوافقنا على الوقت الذي نرده إليه، وكان الأثرم يقرأ على أبي عبيدة. . .»[٣١]. ويمكن اعتبار العصر العباسي العصر الذهبي لحركة الوراقين بسبب كثرة عددهم وانتشار حوانيتهم وأسواقهم.

المعروف أن العصر الأموي كان يمثل بداية الانطلاق للحضارة العربية الإسلامية. فلم تنتشر حركة الوراقين، ولم نسمع عن حوانيت الوراقين كما سمعنا عنها فيما بعد (في العصر العباسي). ولعل أهم سبب وراء ذلك هو ندرة الورق، الذي كان يصنع في مصر من نبات البردي بكميات محدودة، وكان الحصول عليه صعباً وثمنه غالياً. حتى إن عمر بن عبد العزيز أصدر أوامر بالاقتصاد في استعماله.[٣٢] وقد شكا أبو نواس، حتى في العصر العباسي، عجزه عن اقتناء الورق عندما قال:

أريد قطعة قرطاس فتعجزني — وجل صحبي أصحاب القراطيس
لحاهم الله عن ود ومعرفة — إن المياسير منهم كالمفاليس[٣٣]

وقد اتخذ ملوك بني أمية غلماناً وأجراء للنسخ، فقد روي أن عبيد بن شرية الجرهمي وفد إلى معاوية وقص عليه طرفاً من سير الأولين، فأمر معاوية ناسخيه بنسخها[٣٤]. كما كتب ابن النديم عن مجموعة نادرة لخطوط العلماء في العصر الأموي: «ورأيت في جملتها مصحفاً بخط خالد بن أبي الهياج وقد اشتغل أناس بالوراقة مقابل أجر في العصر الأموي هذا، كان منهم خالد بن أبي الهياج ومالك بن دينار[٣٥].

---

(٣١) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، الجزء ١٥، ص ٧٧ - ٧٨.
(٣٢) ابن عبد الحكم. سيرة عمر بن عبد العزيز، ص ٦٤.
(٣٣) لطف الله قاري: الوراقة والوراقون في التاريخ الإسلامي ص ١٧.
(٣٤) ابن النديم، الفهرست، ص ١٠٢.
(٣٥) المصدر نفسه، ص ٩.

أما المتطلبات المادية الأساسية لمهنة الوراقة فتتلخص في توافر مادة مناسبة للكتابة وهي الورق غالباً، وتوافر أدوات للكتابة يمكن حصرها في المواد التالية:

أولاً : القلم، وهو معروف عند العرب بدليل قوله سبحانه وتعالى : «نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ»[٣٦] وقد عُرف القلم عند الوراقين بأسماء كثيرة منها اليراع والمزبر. وكانت الأقلام في بادىء الأمر تصنع من السعف أو القصب بعد أن يقلم. ومن ذلك كان اشتقاق اسم القلم. ومن لوازم الأقلام عند الوراقين :

- المدية، وهي السكين التي تبرى فيها الأقلام. وكان الوراقون ينصحون بعدم استخدامها لغرض آخر سوى البري.
- المقط أو المعصمة، وهي قطعة صلبة من الحجارة أو الرخام يبرى عليها القلم لاستواء البري.
- المقلمة، وهي المكان الذي توضع فيه الأقلام.
- المفرشة، وهي قطعة من خرق الكتان أو الصوف تفرش تحت الأقلام.
- الممسحة، وكانت تتخذ من خرق متراكمة ذات وجهين ملونين من صدف أو حرير أو غير ذلك من نفيس القماش، يمسح بها القلم عند الفراغ من الكتابة، حتى لا يجف عليه الحبر فيفسده.

ثانياً : المداد. وقد اشتق اسمه من الفعل يمد، وهو ما تمد به الدواة الوراق. ويسمى الحبر من الفعل يحبر. ويقال يحبر الشيء أي يترك عليه أثره. وكان المداد أو الحبر في أول الأمر يستورد، كما كان

---

(٣٦) القرآن الكريم، سورة القلم، الآية رقم ١.

يصنع في البلاد الإسلامية من العفص[٣٧] والزاج[٣٨] والصمغ أو من السناج (الدخان).

ثالثاً: الدواة أو المحبرة. وكانت تصنع في القرون الأولى للهجرة من الخشب وربما من الفخار. ومع تقدم الزمن، أصبحت تصنع من المعادن كالنحاس والحديد، وأحياناً من الزجاج. وإمعاناً في زيادة تألّقها كانت تصنع من الأبنوس المحلى بالذهب. وقد كانت مجالس الوراقين تزخر بالدوى. فقد أحصى بعض المؤرخين الدوى في أحد المجالس بأكثر من خمسمائة دواة[٣٩].

ولم يكن باستطاعة أي إنسان أن يحترف مهنة الوراقة، إذ أن الشرط الأول والرئيس لهذه المهنة هو جودة الخط ووضوحه وصحته. وقد كان من الضروري أن يكون الوراق على حظ من الثقافة والمعرفة ليفهم ما ينسخ ولا يكون نسخه آلياً، وأن يكون حاضر الذهن منتبها.[٤٠] ومن أهم صفات الوراق التي يجب أن يتحلى بها الأمانة فيما ينقل وينسخ، إذ يجب عليه أن ينقل الأصل وإلاّ فسد المعنى وضاعت الفائدة من المادة المنسوخة. وقد ورد في الفهرست عن أحد الوراقين (الكرماني) بأنه شخص مضطلع بعلم اللغة والنحو، مليح الخط، صحيح النقل، يرغب الناس في خطه[٤١].

---

(٣٧) العفص هو حمل شجر البلوط وهو مادة سوداء.

(٣٨) الزاج هو كبريت الحديد.

(٣٩) شعبان خليفة، المخطوط العربي: دراسة في نشأته وملامحه المادية، ص ١٠٧ - ١١٧.

(٤٠) محمد ماهر حمادة، المكتبات في الإسلام، ص ١٧٥ - ١٧٦.

(٤١) ابن النديم، الفهرست، ص ١١٨.

مشاهير الوراقين :

لقد اشتغل بالوراقة علماء أجلّاء ومؤلفون مرموقون حتى أصبحت مهنة راقية محترمة. ولهذا فقد انتشرت دكاكين الوراقين في طول البلاد الإسلامية وعرضها. فقد كان ابن النديم وراقاً، حيث يقول عنه ياقوت : «كنيته أبو الفرج... مصنف كتاب الفهرست... ولا أستبعد أن يكون قد كان وراقاً يبيع الكتب»(٤٢). كذلك كان ياقوت نفسه وراقاً يبيع الكتب وينسخها ويتاجر بها(٤٣). أما ابن الهيثم (العالم الفيزيائي الشهير) فقد اشتغل بالنسخ فترة مهمة من حياته أثناء إقامته في القاهرة عند ذهابه إلى مصر. وكان له خط في غاية الصحة وتذكر المصادر أنه كان ينسخ في مدة سنة ثلاثة كتب ضمن اشتغاله وهي إقليدس، والمتوسطات، والمجسطي(٤٤).

ولقد كانت الوراقة مهنة الفضلاء والصلحاء الذين يريدون أن يكسبوا رزقهم حلالاً وبكد يمينهم. فقد كان الحسن بن عبد الله المرزباني النحوي قاضياً زاهداً لم يأخذ على الحكم أجراً، وإنما كان يأكل مما تكتب يمينه. حيث كان لا يخرج إلى مجلس الحكم ولا إلى مجلس التدريس حتى ينسخ عشر ورقات يأخذ أجرتها عشرة دراهم تكون بقدر مؤونته، ثم يخرج إلى مجلسه»(٤٥). كذلك يذكر ابن خلكان أن أبا الفتوح أسعد بن أبي الفضائل، ويصفه بأنه من الفقهاء الفضلاء الموصوفين بالعلم والزهد مشهور بالعبادة والنسك والقناعة، لا يأكل إلاّ من كسب يده وكان يورّق ويبيع ما يتقوت به(٤٦). وعندما يترجم مؤرخو العلم والأدب لبعض الوراقين نراهم يذكرون

---

(٤٢) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج ١٨، ص ١٧.
(٤٣) محمد ماهر حمادة، المكتبات في الإسلام، ص ٧٧.
(٤٤) القفطي، تاريخ الحكماء، ص ١٦٧.
(٤٥) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج ٨، ص ١٤٦ - ١٤٧.
(٤٦) ابن خلكان، وفيات الأعيان، الجزء الأول ص ١٨٨.

أخبارهم بكل احترام وإجلال، ومن ذلك ما ذكره ابن النديم عن حارث بن علي الوراق : «من أهل الدين والورع والتقى، رئيس من رؤساء النظر، قليل النظير في زمانه، وله تأليف محكم وكتب جياد مشهورة ونقوض لعدة كتب. . .»[٤٧].

ويمكن القول إنه كان هناك ثلاثة أنواع من الوراقين في الحضارة العربية الإسلامية : نوع ينسخ بالأجرة لمن يدفع له حسب كمية المنسوخ ومن هؤلاء مالك بن دينار. ونوع يعمل عند الأغنياء والحكام والعلماء لكي ينسخ لهم مقابل أجر شهري أو سنوي ومن هؤلاء خالد بن أبي الهيّاج الذي يعتبر من أوائل الوراقين، وكان موصوفاً بحسن الخط. يقول عنه ابن النديم : وهو الذي كتب الكتاب الذي في قبلة مسجد النبي ﷺ بالذهب من (الشمس وضحاها إلى آخر القرآن) ويقال إن عمر بن عبد العزيز قال له : أريد أن تكتب لي مصحفاً على هذا المثال. فكتب له مصحفاً تنوق فيه[٤٨]. ونوع ثالث يكون عبداً مملوكاً لا يحصل على مقابل لشغله. وقد كانت هناك طريقتان للنسخ : الطريقة الأولى وفيها ينسخ الوراق من المخطوط مباشرة بنفسه ودون مساعدة أحد، وبعد فراغه من نسخ الكتاب يراجعه غيره للتأكد من صحة ما نسخ وأنه لم يهمل ولم يقفز من على السطور. الطريقة الثانية وفيها يجلس عدد من الوراقين في أماكنهم ويملي عليهم شخص آخر من مخطوط أريد الحصول على عدة نسخ منه، وبعد الفراغ من عملية النسخ تجرى المقابلة[٤٩].

ويبدو أنه من الصعب جداً حصر مشاهير الوراقين، ذلك أن كتب

---

(٤٧) ابن النديم، الفهرست ص ٢١٨.

(٤٨) عبد السلام هارون. تحقيق النصوص ونشرها، ص ١٩.

(٤٩) محمد ماهر حمادة. المكتبات في الإسلام، ص ١٧٥ ـ ١٧٦.

التراجم تحوي أسماء جملة من أولئك الوراقين الذين فرضوا أنفسهم على دنيا الثقافة العربية الإسلامية. ولو تحرينا كتب التراجم العربية لخرجنا بأسماء المئات من الوراقين المترجم لهم ولعل من مشاهير الوراقين على سبيل المثال لا الحصر : الإمام الجليل أحمد بن حنبل والقاضي أبو سعيد السيرافي وترجمته في الأعلام، وابن النديم وترجمته في الأعلام أيضا. ومن مشاهيرهم أيضاً أبو حيان التوحيدي الأديب الفيلسوف وترجمته في الأعلام وأحمد بن عبد الدايم المقدسي، أحد المحدثين الفقهاء الحنبليين وترجمته في الوافي بالوفيات. ومن هؤلاء ابن القوطية العالم اللغوي والمؤرخ الفيلسوف وله ترجمة في الأعلام، والخطاط بن مقلة وترجمته في معجم البلدان، ومنهم أيضاً دلال الكتب سعد بن علي الأديب الشاعر وترجمته في تاريخ آداب اللغة العربية لزيدان، ومنهم الحجاج بن مطر وترجمته في تاريخ الأدب العربي لبروكلمان، وأحمد بن طيفور الأديب المؤرخ وترجمته في الأعلام، ومالك بن دينار وترجمته في الأعلام والفهرست، وعلان الشعوبي وترجمته في معجم الأدباء. ومن العلماء الوراقين أبو موسى الحامض وأبو عبد الله الكرماني. ومنهم يحيى بن عدي المنطقي النصراني وهشام بن يوسف الراوي القاضي وأبو علي الحسن بن شهاب العكبري وياقوت الحموي وغيرهم كثير(٥٠)

لقد كان عدد الوراقين في الحضارة العربية الإسلامية كبيراً. فقد كان للجاحظ أكثر من وراّق، منهم زكريا بن يحيى الذي ذكره القالي في الأمالي، (٥١) ومنهم أبو القاسم عبد الوهاب بن عيسى الذي ذكره الخطيب

---

(٥٠) لطف الله فارس. الوراقة والوراقون في التاريخ الإسلامي، ص ٧٢ ـ ٧٧.
(٥١) الأمالي، الجزء الأول ص ١٤٨.

في تاريخ بغداد[٥٢]، والزبيدي في تـاج العروس[٥٣] وكان لأبي العباس محمد بن يزيد المبرّد ورّاقون منهم ابن الزجاجي والساسي . أما القاضي أبو المطرف، قاضي الجماعة بقرطبة، فقـد كان لـه ستة وراقين ينسخـون له دائما. ولم يخل هذا الميدان من عنصر المرأة، إذ نجد من أسمائهن (ثناء) الكاتبة، ذكرها ابن النديم ممن كتبوا الخطوط الأصيلة الموزونة[٥٤].

أعمال الوراقين وواجباتهم :

يمكن القول إن أعمال الوراقين وواجباتهم كانت كثيرة ومتعددة. وقد لخصها ابن خلدون عندما قال : « . . . فكثرت التآليف العلمية والدواوين وحرص الناس على تناقلها في الآفاق والأمصار . . وجاءت صناعة الوراقين المعـانين لـلانتسـاخ والتصحيـح والتجليـد وسـائـر الأمـور الكتبيـة والـدواوين . » .[٥٥] كما لخص حمـادة واجبـات الـوراق على النحـو التالي : ينتخب الورق، وينسخ الكتاب أو ينسخ تحت إشرافه، ويصحح هذا النسخ حتى لا يقع فيه تحريف ويجلده ويبيعه[٥٦]. أما قاري فيلخصها على النحو التالي : الحصول على الورق بأرخص الأسعار، اختيـار أشهر الكتب في أول صدورها، الإجادة في تزويق الكتاب وزخرفته ليروج بعد التصحيـح والضبط، ونشـر الكتب من مكـان لآخـر بقصـد استجـلاب المنفعة[٥٧]

لقد لعب الوراقون دوراً رئيساً في تـطوير مقتنيات المكتبة العـربية الإسلامية من الكتب من خلال عملية النسخ باعتبارها أهم طرق الحصول

---

(٥٢) تاريخ بغداد، الجزء الخامس، ص ٥٦٩ .
(٥٣) تاج العروس، الجزء العاشر، ص ١٠٨ .
(٥٤) ابن النديم، الفهرست، ص ١١ .
(٥٥) ابن خلدون، المقدمة، ص ٣٦٧ - ٣٦٨ .
(٥٦) محمد ماهر حمادة، المكتبات في الإسلام، ص ٧٧ .
(٥٧) لطف الله قاري، الوراقة والوراقون في التاريخ الإسلامي، ص ٥١ .

على الكتب في تلك الفترة. فقد كان لدى أغلب المكتبات العربية الإسلامية وراقون يتناوبون النسخ. «ففي مكتبة بني عمار في طرابلس الشام كان هناك مائة وثمانون وراقاً يتناوبون العمل فيها ليل نهار. كما ألحق بأغلب المكتبات العربية الإسلامية غرفة أو غرف أعدت لجلوس النساخ وممارسة أعمالهم. كما زُودت تلك الغرف بمستلزمات النسخ من اثاث وتجهيزات ومحابر وأقلام وورق»(٥٨). لقد كان الوراقون بمثابة المطابع الحديثة(٥٩). والفرق بين حوانيت الوراقين ودور الطباعة والنشر هو الفرق بين المخطوط والمطبوع.

ومن ناحية أخرى كان هؤلاء الوراقون هم الذين يصححون الكتب التي ينسخونها. روى الزرقاني محدثاً عن يحيى بن أكثم أن يهودياً دخل على المأمون فجالسه، فأعجب المأمون به، ورغبه في الإسلام فلم يرض. ثم مرت سنة جاء اليهودي بعدها فأسلم. فتعجب المأمون من ذلك، فأخبره اليهودي بأنه خرج من عنده فنسخ نسخة من التوراة حرّف فيها وباعها فقبلت منه، ثم نسخ نسخة من الإنجيل وباعها محرّفة فقبلت منه، ثم نسخ نسخةً من القرآن الكريم، فلما جاء بها إلى الوراقين، بصفتهم تُجار كتب، راجعوا تلك النسخة وردوها إليه بعد اكتشاف التحريف(٦٠). من هذا يتضح مدى عناية الوراقين بالكتب التي ينسخونها. ولكن يجدر بنا أن نعرف أن ذلك لم يكن قاعدة عامة عند الوراقين جميعا. فلكل قاعدة شواذ كما يقولون. حيث وجد من بين الوراقين من زيّف الكتب بقصد، ووجد فيهم من لا يدقق ما نسخه. فقد روي أن وراقاً عند إسحق الموصلي يدعى سندي بن علي، اتفق وشريك له على وضع كتاب نسباه إلى إسحق الموصلي لكي يضمنا له الرواج(٦١).

(٥٨) محمد ماهر حمادة، المكتبات في الإسلام، ص ١٧٥.
(٥٩) عبد السلام هارون، تحقيق النصوص ونشرها، ص ٤.
(٦٠) لطف الله قاري، الوراقة والوراقون في التاريخ الإسلامي، ص ٤٨.
(٦١) ياقوت الحموي. معجم الأدباء، الجزء ٦، ص ٥٧.

لقـد كان العلمـاء والأدباء والمؤلفـون شديـدي الاتصال بـالوراقين لا سيمـا المثقفين منهم. ولهـذا نجـد أن بعض العلمـاء من غيـر الـوراقين اعتمدوا كثيراً على الوراقين كمساعدين لهم في بحوثهم. وقد كان للعديد من هؤلاء العلمـاء وراقون مخصصـون ينسخـون مؤلفـاتهم وينشـرونهـا، وينسخون لهم مؤلفات غيرهم لتضاف إلى مكتباتهم. إن دور الوراقين لم يقف عند النسخ لهؤلاء العلماء بل تعداه إلى مساعدتهم في البحث والتأليف ثم القيام بنشر هذه المؤلفات وهي وظيفة دور النشر حالياً. وتشير المصادر إلى أن حنين بن إسحق كان له وراق والجاحظ كذلك وابن سلام والمبرّد والفراء والواقدي وغيرهم[٦٢]. وقد كان بعض الوراقين يتجاوزون مهنتهم الأصلية إلى صناعة التأليف[٦٣].

كذلك لعب الوراقون دوراً في زخرفة المخطوط العربي وتذهيبه. أما الزخارف فقد كانت تقصد لتحلية المخطوط، وكانت في بداية الأمر مجرد خطوط بسيطة لم تلبث أن تطورت بعد ذلك إلى رسوم هندسية لها أصول وقواعد. وأحياناً كانت تتخذ أشكالاً نباتية. وقد كانت المصاحف مجـالاً خصباً لهذه الزخارف، لأن الوراقين تحرجوا من رسم أشكال آدمية أو حيوانية فتوسعوا في استعمال الأشكال الهندسية والنباتية. أما بالنسبة إلى التذهيب فـإنه أول مـا وجد في المصـاحف. فقد كتب الـوراقون المصـاحف بماء الـذهب[٦٤]. حيث وجدت في خـزانة العـزيز بـالله الفاطمي نسـخ من القرآن الكريم بخطوط منسوبة (أي معروف كاتبهـا) زائدة الحسن محـلاة بذهب وفضة وغيرها[٦٥]. ولم يلبثوا أن نقلوا التذهيب إلى الكتب الأخرى وأغرقوا

---

(٦٢) لطف الله قاري، الوراقة والوراقون، ص ٤١ ـ ٤٢.

(٦٣) عبد السلام هارون، تحقيق النصوص ونشرها، ص ٢٣.

(٦٤) شعبان خليفة، المخطوط العربي: دراسة في نشأته وملامحه البيلبوغرافية، ص ١١٢، ١١٣

(٦٥) المقريزي، الخطط المقريزية، الجزء الثاني، ص ٢٥٣.

في استخدامه. ولم يقتصر عمل بعض الوراقين على تذهيب صفحات المخطوط وإنما تعدى الأمر إلى تذهيب الجلود أحيانا.

وفيما يتعلق بتجليد المخطوط فقد كان القرآن الكريم أول كتاب يجلّد حتى منتصف القرن الثاني للهجرة، لأنه كان أول كتاب عربي يصنع على شكل كتاب. وبعد أن أخذ شكل المخطوط العربي شكل الكتاب، بعد أن ظل فترة طويلة على شكل لفافة، أخذ ميدان التجليد يتسع ويجذب اهتمام الناس. وقد ذكر ابن النديم أسماء سبعة من المجلدين في مكتبة بيت الحكمة في بغداد. ويقال إن العرب قد أخذوا فن التجليد عن الأحباش، ويقال عن أقباط مصر[٦٦]. وقد سيطر الذوق الجميل على تجليد الكتب. فقد اهتم الوراقون بالجلود كل الاهتمام. وقد اشتهر العراق بتجليده المتقن الجميل، كما اشتهرت مالقة في الأندلس بأنها مركز صناعة الجلود الممتازة ومركز التجليد الفاخر. أما المكتبات العربية فقد كانت تحوي قسماً خاصاً للتجليد في بعض الأحيان وكانت ترسل الكتب لتجليدها بعد الفراغ من نسخها[٦٧].

ويمكن تلخيص سلسلة الأعمال التي يقوم بها الوراقون على النحو التالي:

أولاً: اختيار الورق المناسب من حيث الحجم والنوع واللون وإعداده للنسخ.

ثانياً: اختيار الكتب المناسبة والمشهورة بعد صدورها.

ثالثاً: نسخ الكتب. وهنا إما أن يقوم الوراق بعملية النسخ أو يقوم النساخون بذلك تحت إشرافه.

---

(٦٦) شعبان خليفة، مصدر سابق. ص ١١٢ ـ ١١٣.

(٦٧) محمد ماهر حمادة، المكتبات في الإسلام، ص ١٨٣.

رابعـاً : تصحيح الأخطاء التي قد يرتكبها النساخون وضبط المنسوخ وتدقيقه.

خامساً: زخرفة المخطوط وتحليته وتذهيبه إن لزم الأمر.

سادساً: تجليد الكتب. وهنا إما أن يقوم الورّاق بعملية التجليد أو يقوم المجلدون بذلك تحت إشرافه.

سابعاً: بيع الكتب والمؤلفات وهي عملية التوزيع أو التسويق أو النشر للعلماء والأدباء والعامة وبخاصة أولئك الذين يرتادون دكاكين الوراقين وأسواقهم. وهذا الدور كان له أثر كبير في نشر التراث العربي المخطوط سواء داخل البلاد العربية الإسلامية أو خارجها.

حوانيت الوراقين وأسواقهم :

مع كثرة الورق وانتشار استعماله وازدياد عدد العاملين في مهنة الوراقة فتحت دكاكين الوراقين وحوانيتهم في معظم المدن الإسلامية. لقد وجدت دكاكين الوراقين في الدولة العباسية منذ أوائل أيامها. فقد كان «علّان الشعوبي وراقاً زمن المأمون وكان له دكّان يورق فيه»[٦٨]. ويذكر اليعقوبي[٦٩] أن عدد حوانيت الوراقين في ربض وضاح مولى أمير المؤمنين من ضواحي بغداد بلغ أكثر من مائة حانوت، وذلك في زمانه وهو أواخر القرن التاسع الميلادي (الثالث الهجري). وقد كانت حوانيت الوراقين وأسواقهم أماكن ثقافية يرتادها العلماء والأدباء والفضلاء، يتذاكرون فيها الحوادث ويتناشدون الأشعار ويتجادلون ويتساجلون ويبحثون آخر الأخبار

---

(٦٨) فيليب حتي، تاريخ العرب منذ أقدم العصور حتى الآن، ص ٤١٤.
(٦٩) اليعقوبي، كتاب البلدان، ص ٢٤٥.

الأدبية. فقد اعتاد أبو الفرج الأصفهاني صاحب الأغاني التردد على سوق الوراقين في بغداد والجلوس في حانوت وراق بعينه[٧٠].

وقد وصفت حوانيت الوراقين بأنها «من أبرز الأماكن التي أرست دعائم الحركة الثقافية وكانت مقصد طلاب العلم والمعرفة، فقد كانت هذه الحوانيت منبعاً غزيراً للثقافة، ومجالاً واسعاً للمناظرات الأدبية والحوار العلمي، يؤمها المثقفون والأدباء، ويتخذونها منتدىً لهم وملتقىً لاجتماعاتهم، ومكاناً لعرض أبحاثهم، وإقامة مناظراتهم، ثم تحولت هذه الحوانيت رويداً رويداً لتصير مقصداً لكل من يبغي علماً أو يهوى أدباً، حتى إنهم ليذكروا أن الجاحظ «كان يبيت فيها للبحث والنظر»[٧١]. وقد وصفت أسواق الوراقين بالمعاهد العلمية[٧٢].

ويمكن القول إن لكل حرفة في الحضارة العربية الإسلامية سوقاً معينة. فهناك سوق للبزازين وأخرى للعطارين وسوق للوراقين. ومما قيل في مدح مجالس الوراقين وأسواقهم:

مجالسة السوق مذمومة ... ومنها مجالس قد تحتسب

فلا تقربن غير سوق الجياد ... وسوق السلاح وسوق الكتب

فهاتيك آلة أهل الوغى ... وهاتيك آلة أهل الأدب[٧٣]

وقد انتشرت أسواق الوراقين في كل مدينة كبرى من مدن العالم الإسلامي. وتذكر لنا المصادر المختلفة أخباراً عن كثير من أسواق الوراقين في تلك المدن. ويبدو أن سوق الوراقين الرئيسة في بغداد زمن ابن النديم (أواخر القرن الرابع للهجرة) كانت في الجانب الشرقي. إذ أنه يقول في

(٧٠) محمد ماهر حمادة، المكتبات في الإسلام، ص ٨٠.

(٧١) أحمد جمال العمري، حوانيت الوراقين وقيمتها العلمية، ص ١٦.

(٧٢) عبد السلام هارون، تحقيق النصوص ونشرها، ص ٢٠.

(٧٣) لطف الله قاري، الوراقة والوراقون، ص ٢٢.

أخبار أحمد بن أبي طاهر إنه من أبناء خراسان. . . تخصص وجلس في سوق الوراقين في الجانب الشرقي[٧٤].

ويبدو أنه كان في بغداد أكثر من سوق للوراقين. وفي البصرة كان هناك سوق للوراقين. وفي القاهرة بنيت سوق للوراقين حوالي سنة ٧٠٠ للهجرة وكانت مجمعاً للعلماء. وفي «فسطاط مصر كان في زمن عهد الطولونيين والإخشيديين سوق عظيمة للوراقين تعرض فيها الكتب للبيع. وأحياناً تدور في دكاكينها المناظرات»[٧٥]. ويذكر المقريزي[٧٦] سوق الوراقين في القاهرة في أكثر من موضع وفي أكثر من مناسبة. كما يذكر سوق الوراقين القديم التي أصبحت مكاناً لصبغ الجلود. ونجد ذكر أسواق الكتب والوراقين في سوريا[٧٧]، وفي قرطبة كذلك، حيث كان عدد الوراقين من الكثرة بحيث نجد في كتاب علماء الأندلس لابن الفرضي تراجم لأحد عشر وراقاً قرطبياً. ومع الانتشار الواسع لحوانيت الوراقين وأسواقهم أصبحت لها أحياء خاصة بها تعرف باسمها[٧٨].

ومن الأدلة على ازدحام الناس في حوانيت الوراقين وأسواقهم أن أحد زبائنها وهو عبد الله بن أحمد بن الخشاب كان إذا حضرها وأراد شراء كتاب، غافل الناس وقطع منه ورقة، وقال: إنه مقطوع، ليأخذه بثمن بخس[٧٩].

نهاية حركة الوراقين:

يبدو أن مهنة الوراقة كانت من المهن المتعبة. فقد روى ياقوت أن

---

(٧٤) ابن النديم، الفهرست، ص ٢٠٩.
(٧٥) أحمد شلبي، تاريخ التربية الإسلامية، ص ٤١.
(٧٦) المقريزي، الخطط المقريزية، الجزء الثاني، ص ١٩٥ - ١٩٧.
(٧٧) أحمد شلبي، مصدر سابق، ص ٤١.
(٧٨) شعبان خليفة، مصدر سابق، ص ١٠٧ - ١١٦
(٧٩) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، الجزء ١٢، ص ٥١.

محمد بن أحمد الدقاق المعروف بابن الخاضبة المتوفى سنة ٤٨٩ للهجرة كان يورق للناس وينفق على أهله. وقد اضطر لإرهاق نفسه بالعمل المتواصل، إذ أنه نسخ في سنة واحدة صحيح مسلم سبع مرات. يقول ابن الخاضبة عن نفسه: «فلما كان ليلة من الليالي، رأيت في المنام أن القيامة قد قامت ومناد ينادي ابن الخاضبة. فأحضرت، فقيل لي: ادخل الجنة. فلما دخلت الباب وصرت في الداخل استلقيت على قفاي ووضعت إحدى رجلي على الأخرى وقلت: آه، استرحت والله من النسخ»(٨٠).

وقد وصف الشاعر أبو محمد عبد الله محمد البكري الأندلسي مهنة الوراقة والنتائج التي تترتب على ممتهنها عندما قال:

أما الوراقة فهي أنكد حرفة ... أوراقها وثمارها الحرمان

شبّهت صاحبها بصاحب إبرة ... تكسو العراة وجسمها عريان(٨١)

وعلى الرغم من أن عدداً كبيراً من العلماء والفضلاء والصلحاء اشتغلوا بمهنة الوراقة، إلا أنه كان ينظر في بعض الأوقات إلى منتحلها بشيء من الازدراء. فهذا علّان الشعوبي، وكان صاحب دكان في سوق الوراقين، أُحضر إلى دار أحد رجال الدولة العباسية ليكتب هناك وينسخ. فدخل الدار أحمد بن أبي خالد يوماً، فقام إليه جميع من فيها سوى علّان الشعوبي فإنه لم يقم. فقال أحمد: «ما أسوأ أدب هذا الوراق. فسمعه علّان فقال: كيف أُنسب إلى سوء الأدب ومني تتعلم الآداب وأنا معدنها». وقد حصل شيء من هذا القبيل لأبي حيان التوحيدي. فقد كان ينسخ ذات يوم في دار الصاحب ابن عباد، فرآه الصاحب. يقول أبو علان: فلما أبصرته قمت قائماً. فصاح

---

(٨٠) معجم الأدباء، الجزء ١١، ص ١٨٤، الجزء ١٧، ص ٢٢٨.

(٨١) ابن خلكان، وفيات الأعيان، الجزء الثاني، ص ٢٧٩ ـ ٢٨٠.

بحلق مشقوق : اقعد فالوراقون أخسّ من أن يقوموا لنا[٨٢]. **وقد وصف أبو** حيان التوحيدي، وهو أحد الوراقين المشهورين، حرفة الوراقة **بأنها** حرفة الشؤم[٨٣]. وكان الوراقون عموماً يشكون من هذه المهنة الشاقة. **ومن هؤلاء** وراق من نيسابور يدعى أبا حاتم عمل في المهنة لمدة خمسين سنة وهو القائل :

إن الوراقة مهنة مذمومة   محرومة عيشي بها زمن

إن عشت عشت وليس لي أكل   أو مت مت وليس لي كفن[٨٤]

بشكل عام، يمكن القول إن حركة الوراقين في الحضارة العربية الإسلامية قد مرّت بثلاث مراحل رئيسة على النحو التالي : المرحلة الأولى وتشمل العصر الراشدي والأموي، وهي مرحلة الانطلاقة للحركة، وفيها تم تدوين القرآن الكريم وبعض الكتب وبخاصة في الموضوعات الدينية. ولم تنتشر الحركة بشكل واسع خلال هذه الفترة لعدة عوامل أهمها نقص الورق. المرحلة الثانية وهي مرحلة التطور والازدهار وتشمل الفترة الواقعة ما بين القرن الثاني وبداية القرن السابع للهجرة. وتعتبر هذه المرحلة العصر الذهبي للحضارة العربية الإسلامية بوجه عام ولحركة الوراقين بوجه خاص. فقد انتشرت صناعة الورق وازدهرت حركة التأليف والتدوين والترجمة وأسست المدارس والمعاهد وامتلأت الديار الإسلامية بالعلماء والفقهاء وطلاب العلم. أما المرحلة الثالثة فقد بدأت مع القرن السابع للهجرة، عندما تعرضت الحضارة العربية الإسلامية، نتيجة عوامل داخلية وخارجية

(٨٢) ياقوت الحموي. معجم الأدباء، ج ١٢، ص ١٩١ - ١٩٢، ج ١٥، ص ٢٦.
(٨٣) حبيب الزيات، الوراقة والوراقون، ص ٢٠.
(٨٤) انظر يتيمة الدهر للثعالبي.

متعددة، إلى الجمود والتقهقر والدخول في عصور الظلمة. ويمكن القول إن حركة الوراقين قد توقفت وانتهت عندما دخلت الطباعة إلى البلاد العربية والإسلامية.

وهكذا انتهت حركة الوراقين التي لعبت دوراً رئيساً في إنتاج المخطوط العربي، وساهمت في نشره وتسويقه داخل البلاد الإسلامية وخارجها. ولعل أبرز نتائج هذه الحركة ظهور المكتبات وانتشارها بأنواعها المختلفة في الحضارة العربية الإسلامية التي يمكن حصرها في الأنواع التالية: مكتبات المساجد والجوامع، المكتبات الخاصة، مكتبات الخلفاء، المكتبات الأكاديمية، والمكتبات العامة.

قائمة المصادر والمراجع

١ - أحمد جمال العمري.
حوانيت الوراقين وقيمتها العلمية، المجلة العربية، السنة الثانية، العدد السادس، ١٩٧٨، ص١٦.

٢ - أحمد شلبي.
تاريخ التربية الإسلامية، بيروت، دار الكشاف للنشر، ١٩٥٤.

٣ - الحموي ياقوت.
معجم الأدباء، القاهرة، مطبعة الحلبي، ١٩٣٦.

٤ - ابن خلدون، عبد الرحمن.
كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، القاهرة، دار الطباعة الخديوية، ١٢٨٤ هـ.

٥ - ابن خلكان، أحمد بن محمد بن أبي بكر.
وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٤٨م.

٦ - السجستاني، أبو بكر عبد الله بن أبي داوود.
كتاب المصاحف، تحقيق آرثر جفري، القاهرة، المطبعة الرحمانية، (؟).

٧ - شعبان عبد العزيز خليفة.
المخطوط العربي: دراسة في نشأته وملامحه البيبليوغرافية، مجلة الفيصل، العدد ٣٥، ١٩٨٠، ص ١٠٧ - ١١٧.

٨ ـ عبد السلام هارون.

تحقيق النصوص ونشرها، الطبعة الثانية، القاهرة، مؤسسة الحلبي، ١٩٦٥.

٩ ـ فيليب حتي.

تاريخ العرب من أقدم العصور حتى الآن، الطبعة السادسة، لندن، ماكميلان، ١٩٥٦.

١٠ـ القرآن الكريم.

١١ـ القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي.

صبح الأعشى في صناعة الإنشا، القاهرة، دار الكتب المصرية، ١٩١٤ ـ ١٩١٩.

١٢ـ كوركيس عواد.

الورق أو الكاغد : صناعته في العصور الإسلامية، مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق، العدد ٢٣ص.

١٣ـ لطف الله قاري.

الوراقة والوراقون في التاريخ الإسلامي، الرياض، دار الرفاعي، ١٩٨٢.

١٤ـ محمد طه الحاجري.

الورق والوراقة في الحضارة الإسلامية، مجلة المجمع العلمي العراقي، المجلد ١٢، ١٩٦٥.

١٥ـ محمد فؤاد عبد الباقي.

المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، بيروت، دار الفكر، ١٩٨٧.

١٦- محمد كرد علي.

الإسلام والحضارة العربية، الطبعة الثانية، القاهرة، لجنة التأليف والترجمة، ١٩٥٠.

١٧- محمد ماهر حمادة.

المكتبات في الإسلام، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٧٨.

١٨- المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي.

الخطط المقريزية، الشياح، مكتبة إحياء العلوم.

١٩- ميري عبودي، فتوحي.

فهرسة المخطوط العربي، بغداد وزارة الثقافة والإعلام، ١٩٨٠.

٢٠- ناجي معروف.

الوراق البغدادي، مجلة كلية الدراسات الإسلامية، المجلد الثالث، ١٩٦٩ - ١٩٧٠.

٢١- ابن النديم، محمد بن إسحق.

الفهرست، القاهرة، المكتبة التجارية الكبرى، ١٣٤٨هـ.

٢٢- اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب.

كتاب البلدان، تحقيق دي غوية، ليدن، إبريل، ١٨٩٢م.

ثانياً : مع الكتب

وقفات في مجلة مجمع اللغة العربية الأردني (١)

الدكتور إبراهيم السامرائي

كان لي أن قرأت العدد المشار إليه من هذه «المجلة» الممتعة فكان لي وقفات قصيرة وقد تطول. تناولت هذه الوقفات دلالة الكلمة، ودخولها في المصطلح، وذهابها إلى المجاز والتوسع، وموضعها في التركيب والجملة ومسائل أخرى تتصل بنحوٍ من هذا.

ولا أريد من وقفاتي هذه أن تكون مواد «تصحيح» لغويّ، وبيان «الخطأ والصواب» و «الفصيح والأفصح»، بل أردت منها أن تكون مادة تأريخية تندرج في وثائق تطور العربية وصيرورتها اللسان الذي يمارَس تفكيراً وسلوكاً في عصرنا، وهي التي أدعوها «العربية المعاصرة».

قلت: إن «وقفاتي» تندرج في وثائق تطور العربية، وذلك أني وجدت القول بالخطأ والصواب لا يقوّم هذه العربية، وهي تقابل كل يوم جديداً تألفه على مضض وتضيق به كثيراً على ما فيها من وجوه السعة. إن وجوه السعة هذه تؤذن بقبول شيء جديد، وهي نفسها عرضت للعربية في عصورها المتقدمة.

أليس قبول العربية للألفاظ الإسلامية والمصطلح الإسلامي في ألوانه المختلفة «هو شيء مما اشتملت عليه هذه اللغة من وجوه السعة»؟ وقل مثل

---

(١) العدد ٣٧ السنة الثالثة عشرة (ذو القعدة ١٤٠٩ ـ ربيع الثاني ١٤١٠هـ).

هذا فيما جدَّ في العربية في عصور بني العباس حتى كان لنا أن نقول فيها إنها «لغة عباسية».

ثم ألم يكن قبول المعرَّب، على تراخي العصور، شيئاً من هذه السعة؟

وأعود إلى باب «الخطأ والصواب» لأقول: لم يكن ما نبّه عليه المعنيون بهذه المسائل قد آتى ثمرته في تقويم العربية، وذلك لأن أغلب الذين سلكوا هذا السبيل لم يحسنوا الاستقراء، فالذي نبَّهَ عليه الأصمعي وابن قتيبة مثلاً ورد في الحديث الشريف، ثم إن ما ورد في «درة الغواص» كان مادة استدراك لغير واحد نبّهوا على تجاوز الحريري في ضبطه للخطأ والصواب، ومن هذا ما كان من شرح الخفاجيّ «للدرّة» وما صنعه الآلوسيّ في «الطُرّة» وغيرهما.

ثم نجيء إلى أهل هذا العصر من اليازجي في «لغة الجرائد» وأسعد خليل داغر في «تذكرته» وما نشره الكرملي في «لغة العرب»، ثم ما عقب به مصطفى جواد على جمع هؤلاء في «قل ولا تقل». ولم يتوقف هذا الدأب فقد جدَّ نفر آخر لم يكونوا أهل جدٍّ، ولم يستقروا استعمالات العربية، فراحوا يقمّشون ما عندهم مما أخذوه ممن سبقهم، ومما بدا لهم أنه خطأ، وفي أغلب الأحيان كانوا هم المخطئين.

أقول: هذا المنهج في التصحيح لم يؤت ثماره، ذلك أن في كثير مما نَبَّه عليه هؤلاء متقدمون ومتأخرون فضلاً من قول يدخل في التصحيح والاستدراك. وإذا كان الأصمعي وابن قتيبة والسجستاني قد شمّروا في الخطأ فادعوا أن «زوجة» خطأ، و «الحوائج» و «النوايا» خطأ، وقد جاء كل هذا وغيره في كلام العرب شعرهم ونثرهم، وفي الحديث الشريف، فهل لنا

أن نطمئن الآن لما ينبري فيه كتاب «التصحيح» الذين ينشرون في الصحف؟ ولو أنك نظرت في كلامهم لوضعت يدك على شيء تأباه(١).

وأعود بعد هذا التمهيد إلى «وقفاتي» فأقول:

وقفت في البحث الأول من العدد (٣٧) من هذه المجلة الموسوم بـ «النزعة الذاتية في الشعر الجاهلي» على قول الكاتب الفاضل:

١ - سواء أكانت تجاه قبيلته، أم تجاه المرأة... أم تجاه أصدقائه..

أقول: هذه عربية معاصرة وليس الكاتب وحده في هذا الالتزام الذي تجاوز فيه الكتّاب ما ورد في «أسلوب» الاستفهام مما يدخل في باب «النظم» الذي حبس الجرجاني عليه كتابه «دلائل الإعجاز».

إن أسلوب الاستفهام في باب همزة التسوية يقتضي أن يلي الهمزة ما يريده الكاتب فيكون ذلك ملزماً أن يلي نظيره «أم» المعادلة فيكون الوجه:

سواء أكانت تجاه قبيلته أم كانت تجاه المرأة.. ونستطيع أن نقول: سواء أتجاه قبيلته كانت أم تجاه المرأة.

ومصداق هذا قوله تعالى:

«سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ» ٦ سورة البقرة

«سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا...» ٢٠ سورة إبراهيم.

---

(١) أقول كيف يطمئن الدارس فيسارع إلى القول بالخطأ، وأنّى له أن يحفظ كلام العرب، وهذا كبير من جلة العلماء في هذا الباب قال: يقولون: تدبّر الأمر، وهو خطأ. فلما جوبِهَ بقوله تعالى: «أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْآنَ» (٨٢ سورة النساء) بُهت وتراجع.

ثم إني أود أن أستدرك فأقول: ينبغي ألا يُفهم من كلامي الذي قدّمته، أن الخطأ غير موجود، وأن كل شيء صواب، لا، ليس هذا فما زال باب الخطأ واسعاً، والكثير الذي تأباه العربية على ألسنة المعربين، فيما يقولون ويكتبون. ولا تسأل عن الخطأ في الإعراب والرسم، فهو كثير.

«قَالُواْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ ٱلْوَاعِظِينَ» ١٣٦ سورة الشعراء.

«سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ» ٦ سورة «المنافقون».

وفي الآية الأخيرة اقتضت همزة الاستفهام حذف همزة الوصل في «استغفَرَ» طلباً للخفّة.

وأعود إلى لغة التنزيل فأجد فيها قوله تعالى:

«سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ» ١٩٣ سورة الأعراف.

وأقول: لقد وقف أهل التأويل على هذه الآية التي بدت مخالفة لأسلوب الاستفهام في هذه العربية الشريفة فقالوا: إن ما بعد «أم» المعادلة يؤذن بالفعل «صَمَتّم»، والجملة «أنتم صامتون» بمعناه، فاستقام بذلك أسلوب الاستفهام.

أما أسلوب الاستفهام في العربية المعاصرة فكثيراً ما تُطوَى فيه الهمزة فيقال:

سواء حضر أم لم يحضر.

وهذا محتاج إلى التقدير، والأصل: أحضَرَ أم لم يحضَر، وقد طويت الهمزة في ضرورة الشعر فقد ورد في شواهد «المغني» (١) قول الشاعر:

فوالله ما أدري وإنْ كنتُ دارياً   بسَبْعٍ رَمَيْنَ الجَمْرَ أم بثمانِ

والتقدير: أبسَبْعٍ.

ولكنّ المعاصرين عَدَلوا عن «أم» المعادلة بعد همزة التسوية إلى «أو» فيقال: سواء جاء أو لم يجيء.

(١) مغني اللبيب «باب همزة الاستفهام».

وقد ورد شيء من هذا في الشعر في العصور المتأخرة على سبيل التجاوز.

٢ ـ وقال صاحب البحث أيضاً في الصفحة (١١): وعلى ذلك فإن الشعر يصف لنا الإنسان العربي ذا نزعتين...

أقول: وحسن النظم يفرض أن يكون «على ذلك» متعلقاً بالفعل «يصف»، وليس لنا ذلك، فقد حجبت الفاء في قوله: «فإن» الجار والمجرور عن اللحاق بالفعل «يصف»، وحذف الفاء يزيل هذا الإشكال. ثم إني لا أعرف هُويّة هذه الفاء، فهي ليست عاطفة ولا استئناف.

ومثل هذا فاش في العربية المعاصرة، وهذا وغيره من سماتها وخصائصها. ثم إنه شاع في هذه العربية كلم جديد ومنه «الإنسان العربي»، وليس في هذا خطأ أو تجاوز، ولكنه جديد لا نعرفه في العربية القديمة، فلم نقرأ في تراثنا «الإنسان الفارسي» ولا «الإنسان الهندي»، ولكن العصر يسمح بهذا، بل هو من خصائصه. وقد تكرر «الإنسان العربي» في هذا البحث.

٣ ـ وجاء في الصفحة (١٣) قول الكاتب: «ثم لا تقف القبيلة معه [أي الفرد] موقفاً عادلاً، من وجهة نظره...

أقول: أراد الكاتب: ثم لا تقف القبيلة منه موقفاً...

لقد تساهل المعربون في استعمال حروف الجر، واستبدلوا بها غيرها كما في قول الكاتب، بل وضعوا «على» في موضع «عن» و «في» في موضع «الباء» أو «من».

نعم، لقد كان شيء من هذا في فصيح العربية، وهو ما عُبِّر عنه بـ «التضمين»، ولكن باب التضمين مقيّد بالسماح فليس لنا أن نتسمَّح فيه.

ثم أجيء إلى «وجهة النظر» وهي مركب جديد لا تعرفه العربية قبل عدّة عقود من السنين، وهذا «المركب الإضافي» جاء به التراجمة، وكثيراً ما أتى التراجمة بالدخيل كَلِماً وتراكيب فاندسَّ في العربية وفشا فيه الاستعمال حتى غدا من ملاك هذه العربية المعاصرة.

قلت: إن هذا التركيب جاءنا من لغة أعجمية، وهو من الفرنسية Le point de vue وقد نقول: لِمَ كان من الفرنسية؟

والجواب: أن التراجمة الأوائل، وما زال نفر منهم، من الناطقين بالفرنسية، وهم في مشرقنا العربي أهل سورية ولبنان.

إن المراد بـ «وجهة النظر» الرأي، والفكرة التي يصدر عنها المعربون.

والذي أسمعه كثيراً أن المعربين يضمون الواو، وليس لها وجه، إن الواو مكسورة كما في قوله تعالى:

«وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ» ١٤٨ سورة البقرة.

أقول: وما ورد على «فِعلة» بكسر الفاء في العربية، وفاؤه «واو»، تحذف هذه الواو لأنها مكسورة، ومن هذا: زِنة وعِدَة وصِلة وغيرها، والأصل بواو مكسورة. ومن هذا أيضاً «جِهة»، ولكنها جاءت أيضاً «وِجْهة» خلافاً للكثير.

وأعود إلى «وِجهة النظر» في كلام الأستاذ الدكتور عبد الغني الزيتوني(١) فأقول:

(١) رأيت أن يكون الأستاذ عبد الغني الزيتوني، وليس عبد الغني زيتوني، فهو من أهل العربية التي تأبى ما درج عليه الناس من عجمة كقولهم: عبد الله قادري، ومحمد نابلسي، وغير ذلك.

على قبولنا عبارة «وجهة النظر» في العربية المعاصرة في شؤون السياسة والاقتصاد والاجتماع وغير ذلك من الشؤون العامة إلّا أننا لا نقبلها في بحث يتصل بالشعر الجاهلي فنلصقها بالبدويّ القديم في علاقته وانتمائه لقبيلته، ذلك أننا نؤمن، بأن لكل مقام مقالاً، وهذا شيء جرت عليه العربية.

٤ ـ وجاء في هذه الصفحة أيضاً في قول صاحب البحث: **«وعلى هذا** الغرار ما حدث لزهير بن عَروة المازني . . .».

وقد ضبط «عَروة» بفتح العين، ولا نعرف «عَروة» بفتح العين، وأظنه من الخطأ المطبعي. إن «عُروة» اسم علم بضم العين، وأصل التسمية أن «عُروة» من أسماء الأسد، وبه سُمِّي الرجال كتسميتهم: ليث وفِراس ونحوهما.

٥ ـ وجاء في الصفحة (١٤) البيت:

ونِعمَ الحُماة الكُفاة العظيم   إذا غائظ الأمر لم يُحْلَلِ

أقول: والصواب: ونِعمَ الحماة الكفاة العِظام . . .

فالحُماة والكُفاة جمعان، ولا بد أن يكون ما بعدهما جمع هو «العِظام» وليس العظيم.

هذه واحدة، والأخرى تتصل بإقامة البيت وزناً فهو مدوّر، وعلى هذا تكون «الميم» من «العظام» في أوّل العجز:

ونعم الحُماة الكُفاةُ العظا   مُ إذا غائظ . . . .

ثم لا بد من وقفة على «الكُفاة» فأقول: إنها جمع «كافٍ» مثل «حُماة» جمع «حامٍ». غير أن العربية المعاصرة لا تعرف «الكفاة» ولا «الكافي»، كما استعملتا في البيت.

إن معنى «الكافي» وجمعه «الكفاة» من يكفي الأمر، وهو أهل له، وجدير به. وهذا لم يعرفه المعاصرون بل ذهبوا إلى الخطأ فقالوا: هو كُفء، وهم أكفاء، و «كُفء» و «أكفاء» لا تؤدي ما يريد المعاصرون، ذلك أن «الكُفء» هو المماثل والنظير، قال تعالى: «وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَد» ٤ سورة الإخلاص.

وليس في هذا ما يريدون من أن «الكُفء» و «الأكْفاء» هما الأهل والجدير والمستحق ونحو هذا.

ولذلك قالوا: «الكَفاءة» بمعنى الجدارة والأهلية، وحقيقة «الكفاءة» المماثلة واشتراط «الكفاءة» في الشريعة الإسلامية بين الزوج والزوجة تعني هذا الذي جرى عليه فصحاء العربية. وكان هؤلاء يقولون فيما هو خاص بالجدارة والأهلية «الكفاية» لا «الكفاءة». ومن هنا كان لقب الصاحب بن عبّاد «كافي الكفاة».

٦ ـ وجاء في الصفحة (١٥) قول الكاتب:

ويُرينا الشعر أن ثمة أمراً آخراً [كذا].

أقول: والصواب «آخرَ» وهو «أفعَل» ولا يُنوَّن، ولعله من الخطأ المطبعي.

٧ ـ وجاء في هذه الصفحة أيضاً قول الكاتب:

«... وفي كلتا الحالتين فإنهم قد أخلوا بحقوقه...».

أقول: عربيتنا في هذا العصر تتجاوز الحدود، وذلك لعدم اكتراث الكتّاب بتعلمها، فإذا قصّروا في التعلم، فالقلم ينزلق، واللسان ينزلق، ويشيع هذا فيكون من ملاك هذه العربية.

إن الجار والمجرور وهو «وفي كلتا الحالتين» لا بد له من فعل يتعلق به، وهو هنا «قد أخلوا»، وعلى هذا لا يتيسّر هذا التعلق مع وجود «الفاء» في

قوله : «فإنهم»، هذه الفاء التي جاءت للربط كما يتخيل الكاتب وليس فيها حاجة، وطرحها هو الصحيح .

٨ ـ وجاء في الصفحة (١٦) بيت لعامر بن الطفيل في مقطوعةٍ، هو:

يلومــوني الــذين تــركتُ خلفي   ويعصيني الــذين بـهم أصــولُ

أقول: قول الشاعر «يلومـوني» يصح أن يكـون شاهـداً لمسألتين: الأولى أن الفعل أسند إلى الجمع والواو هو ضمير الجمع مع وجود الفاعل وهو دال على الجمع «الذين» وجرت العربية في مثل هذا أن يقال: يلومني الذين. . .

وليس ذهاب الشاعر إلى «يلومونني الذين» بسبب الضرورة، ذلك أنها لغة من لغات العرب أي أن الفعل يلحق علامة الجمع مع وجود الفاعـل جمعاً.

لقد قصر النحاة في استقرائهم وكان ينبغي أن يذكـروا هذا البيت، وصاحبه جـاهلي، شاهـداً في هذه المسـألة، ولا يقتصـروا على قولهم: «أكلوني البراغيث».

وقد ذكر النحاة في هذه اللغة قوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ «يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار»، وقوله ـ عليـه الصلاة والسـلام ـ : «أو مُخرجيَّ هم» قال ذلك لما قال له ورقة بن نوفل: «وددت أن أكون معك إذ يخرجك قـومك». والأصـل في قولـه ـ عليه الصـلاة والسلام ـ : «أوَ مخرجوي هم»، فقلبت الواو ياءً وأدغمت في الياء.

والثانية في قوله «يلوموني» حذف نون الرفع، والأصل: «يلومونني»، وهذا الحذف كان بسبب الوزن.

٩ ـ وجاء في هذه الصفحة قول الباحث:

«. . . لكنهم أبوا أن ينصاعوا لرأيه. . . ».

أقول: قوله «أن ينصاعوا» بمعنى أن يخضعوا ويستكينوا. وهذا هو المعنى السائر في العربية المعاصرة.

والذي في كلام العرب قولهم: انصاعَ القوم، أي ذهبوا سراعاً، وانصاعَ الرجل بمعنى انفَتَل مُسرعاً وراجعاً.

١٠ـ وجاء فيها أيضاً قوله: «أن القبيلة... تبقى مشدودة إليه».

أقول: إن استعمال الشدّ على هذا الضرب من التوسع قد يكون مقبولاً في اللغة المعاصرة في شؤون المعربين في القصص ونحوها، ولكننا نتوقف فيه حين وروده في كلام على الشعر الجاهلي.

١١ـ وجاء في الصفحة (١٧) قوله:

«لأنه [أي الفرد] استطاع أن يحقق الموازنة بين طموحه إلى التميّز والتفرّد وبين الخضوع للقبيلة....».

أقول: ووقفتي في هذا على كلمة «طموحه» التي احتملت في العربية المعاصرة معنى النزوع إلى الفوائد والمعالي التي تشتمل على الفوائد والمراتب. وهذا شيء جديد ليس لنا شيء منه أو يقرب منه في فصيح العربية.

قالوا: طَمَحَت المرأة طِماحاً، وهي طامح بمعنى نَشَزَت من بَعْلها.

والطِّماح مثل الجِماح. وفي الحديث: فخرَّ إلى الأرض فطَمَحَت عيناه، أي أبصر في أعلاه.

وفي حديث قَيْلَة: كنت إذا رأيت رجلاً ذا قِشْر طَمحَ بَصَري إليه، أي امتدَّ وعلا، والطِّماح هو الكِبْر والفخر لارتفاع صاحبه.

وطَمَحَ الفَرَس طِماحاً وطموحاً: رفع يدَيْه. وكل مرتفع مفرط في تكبّر: طامح. وبحر طَموح الموج أي مرتفعه.

وعلى هذا يكون الاستعمال الجديد شيئاً من المولّد الجديد.

١٢- وجاء في الصفحة (١٨) قول الكاتب: «الحياة الجاهلية».

أقول: ودلالة «الحياة» بهذا الوصف وهو «الجاهلية» يشعر أن «الحياة» زمن وحقبة كما في تمام النص: «وقبل أن نبحث في الأشعار التي عرضت للخليع والخلع لا بد لنا من إيضاح صورتهما في الحياة الجاهلية، وقد تكون «الحياة» ما يكون للناس من سلوك وعادات».

وقد تجاوزوا في استعمال «الحياة» فقالوا في شرح «السيرة» حياة الشاعر، وحياة الأديب وغير ذلك، وهم يريدون به «السيرة»، ولم يكن هذا الاستعمال بهذه الدلالة في فصيح العربية، قالوا: سِيَر أعلام النبلاء، والمغازي والسِّيَر، والسيرة النبوية لابن إسحاق، وهذه كلها أسماء مصنّفات تاريخية مشهورة.

١٣- وجاء في الصفحة (١٩) قوله: «... وخاصة إذا علمنا أن ثمّة حاجةً ملحّة تدفع الضعفاء».

أقول: واستعمال «خاصة» في قول الباحث هو الاستعمال الكثير في العربية المعاصرة. وهذا استعمال جديد، والأصل هو كما في قوله تعالى: «وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَاصَّةً» ٢٥ سورة الأنفال.

١٤- وجاء فيها أيضاً قوله: «... بغية إشباع غرائز مكبوتة لديهم...»

أقول: وقوله: «مكبوتة» من «الكَبْت» وهو مصطلح من مصطلحات علم النفس في عصرنا، ويريدون به الإلغاء والطمس والإبادة.

وأصل «الكبت» هو الصَّرْع، وذلك كما في قوله تعالى: «إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَادُّونَ اللهَ وَرَسُولَهُ كُبِتُواْ كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ» ٥ سورة المجادلة.

وقد ذُهب بالكبت في هذه الآية إلى الإذلال، وهذا ليس بعيداً عن الصَّرْع على وجهٍ من التوسع.

١٥ـ وجاء في الصفحة (٢٠) البيت:

وقد حَذَبَت عمرو عليّ بعزها. . .

أقول: والصواب «حَذِبَت» بكسر الذال، وهو «فَعِـل» «يفعَل» نـظير «فرِح»، ومن معاني «فَعِل يفعَل» الدلالة على العيوب نحو: عَوِرَ وعَمِيَ ومنه «حَذِب». وأكثر مصادر العيوب هذه على «فَعَل» نحو العَوَر والصَلَع والعَرَج والحَذَب والعَمَى.

١٦ـ وجاء في الصفحة (٢١) قول الأستاذ عبد الغني الزيتوني:

«ورَنَت إلى فتيان يُزهَون بجمالهم وحسنهم الوضّاء. . .».

أقول: والفعـل «وَضُؤَ» بمعنى حَسُن، والـوَضـاءة بمعنى الحسن والقسامة، والصفة منه «وَضيء»، وكثير من «فَعُل» يأتي منه فعيل نحو كرُمَ ونبُل وفصُح، والصفات: كريم ونبيل وفصيح. وقد جاء في البحث: «الأمل الوضّاء» أيضاً.

وليس لنا «وضّاء» على «فَعّال» ولكنه شاع حتى توهمه الدارسون أنه بناء مبالغة.

١٧ـ وجاء في الصفحة (٢٢) قول الكاتب:

وأغلب الظن أن تأبّط شراً يرسم بهذه الأبيات لوحة لطموحه. . .».

أقول: كثير أن يقال في «تأبّط شراً» وهو شاعر جاهليّ إنه «يرسم لوحة لطموحه». وأنا أستأذن الأستاذ عبد الغني الزيتوني فأطلب إليه أن يتذكر أن الشاعر بدوي جاهلي، وأن يعود إلى ما قرأ في البلاغة وهو: لكل مقام مقال، وعندي أن «المقام» يدل على المكان والزمان، فأنّى لتأبّط شراً من «الرسم» فيحرز على «لوحة» للطموح.

ثم إن «اللوحة» كلم جديد، والعربية لا تعرف هذه الكلمة المؤنثة، بل إننا نعرف «اللوح» ومنه اللوح المحفوظ.

١٨ـ وجاء في الصفحة (٢٣) كلام المؤلف على «الخليع» من أبناء القبيلة التي ترفضه القبيلة فلا تعتد به نسباً لجرائره التي ارتكبها، والأستاذ الزيتوني يقول عن هذا «الخليع»:

«إن القبيلة سَحَبَت منه الجنسية القبلية».

أقول: وسحب الجنسية شيء جديد لا يمكن أن يُرمَى على شاعر جاهلي، لقد تجاوزتَ ـ أخي الفاضل ـ أيّما تجاوز.

١٩ـ وجاء في الصفحة (٢٤) قول الأستاذ:

«. . . فلا علينا بعد ذلك أن نعزو إليه تضخّم الذات وطغيانها على كل شيء ما عداها».

أقول: إذا كان لنا أن نقبل «طغيان الذات على كل شيء ما عداها»، فليس لنا أن نتسمَّح فنقبل «تضخّم الذات» وهو مصطلح نجده في عصرنا لدى المختصين بـ «علم النفس»، وكيف نقول هذا في «تأبّط شرّاً» الشاعر الجاهلي.

٢٠ـ وجاء فيها البيت:

فإن مُتُّ فانعيني بما أنا أهلُه . . .

أقول: جاء الفعل «مُتّ» بضم الميم وقد جرت العربية على كسر الميم وإن كان هذا الفعل واويّاً «مات يموت»، كما في قوله تعالى: «أَإِذَا مِتْنَا. . .». (٨٢ سورة «المؤمنون»). والقول في كسر الفاء في هذا الفعل خلافاً للأصل: أنهم قالوا إن الفعل «مات» ليس مبنياً للمعلوم، وهو نظير الفعل «تُوفِّيَ» فالله هو الذي يتوفّى الناس ويميتهم.

أقول: وقول النحويين اللغويين غير مقنع، ولكننا نلتزم بالرواية التي التزمت الكسر، كما ورد في لغة التنزيل.

٢١ـ وجاء في الصفحة (٢٥) قول الأستاذ الزيتوني :

«ولئن كان العربي يستظل بحماية القبيلة. . . لقد كان أيضاً يفخر ببطولته. . . ».

أقول: إني لأحمَد للأخ الأستاذ صاحب البحث لإجادته استعمال «لئن» التي تتطلب جواباً للقسم لوجود اللام التي تسبق أداة الشرط «إن»، فقد قالوا: إن اللام موطّئة للقسم، وعليه يكون الجواب للقسم فجاء مصدّراً بلام القسم في «لقد».

وهذه مسألة لا يفي بها الأساتذة المتضلعون من العربية، فهم يجعلون الجواب للشرط ويصدرونه بالفاء التي هي الفاء الرابطة أو فاء الجزاء فيقولون: ولئن فاتنا ذلك فإننا نحاول أن نحصل عليه، والصواب: إننا نحاول. . .

قال تعالى: «لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ» ٧ سورة إبراهيم.

وقد وجدت هذا الغلط لدى شعراء مشهورين كالبحتري وأبي نواس وغيرهما، وهو فاش في شعر من جاء بعد هؤلاء.

٢٢ـ وجاء في الصفحة (٢٧) قوله :

«كما عبَّر بعضهم في شعره عن منازع شتّى انفعَلَت بها نفسه، وعن طموحات. . . ».

أقول: قوله «انفعَلَت» من المصطلح الجديد في علم النفس. و «الانفعالات» هي جديدة وتعني «العواطف» وهذه جديدة أيضاً، وليس من بأس أن تقال في مادة قديمة. وأما «الطموحات» فجديد أيضاً وقد تقدم الكلام على «الطموح»، وهي هنا مجموعة ومجيئها مجموعة من خصائص العربية المعاصرة فقد عرفت عن طريق الترجمة: الطموحات والنجاحات والنشاطات وغير ذلك.

٢٣ـ وجاء في الصفحة (٢٩) قوله :

«فانبَرى يرسم لوحة شعرية». . .

أقول: وقد تقدّم الكلام على «اللوحة»، ولكني أودّ هنا أن أضيف شيئاً فأقول إن «رسم اللوحة» جاء إلى العربية المعاصرة عن طريق الترجمة من غير شك، غير أن الذي يدعو إلى الحيرة هو أن المترجم أعطى الكلمة الأعجمية كلمة «لوحة» مؤنثة، وقد أنّثها جهلاً منه أن التأنيث لكلمة «لوح» لم يرد.

قلت: أمر يدعو إلى الحيرة، ذلك أن الكلمة في الفرنسية هي «tableau» وهي مذكّرة ثم إن الكلمة في الإنكليزية غير مقيدة بالتأنيث لأن الإنكليزية يستوي فيها المذكر والمؤنث، وليس من تمييز فأنت تقول: «nice» لـ حَسَن وحَسنة، وجميل وجميلة. إن ذلك من حذلقة المترجم الذي ولّد مؤنثاً قياساً وتناظراً.

٢٤ـ وجاء فيها أيضاً البيت :

يحُثّ بها حادٍ سريعٍ نَجاؤه ومُعْرًى [كذا] عن الساقين والشملُ جامعُ

أقول: والصواب: «ومُعْرىً».

٢٥ـ وجاء فيها أيضاً البيت :

فقلتُ لها: تالله يدري مسافر إذ أضمَرَتْه الأرض: ما الله صانعُ

أقول: وتمام القسم: تالله لا يدري مسافر.

وقد حذفت «لا» النافية، وقد نقول: إن الوزن اقتضى هذا الحذف، ولكن الحذف واقع في غير الشعر، وكأن الشيء إذا عُرف ودلت عليه قرينة كان حذفه أبلغ، ومعنى «أبلغ» أنه أجمل وأحسن، والعربية تتوخّى الحسن، ألا ترى إلى قوله تعالى: «تَاللهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ» (٨٥ سورة يوسف)، والتقدير: ما تفتأ. . .

٢٥ـ وجاء في الصفحة (٣٠) البيتان :

بكـلّ مبيتٍ يعتـرينـا ومنـزلٍ فلوْ أنهـا إذ تُـدلـج الليـل تُصبـحُ
فـولَّتْ وقد بثّت تباريح مـا تَـرى ووجدي بها إذ تحدّر الدمع أبرَحُ

أقول: استعمل الظرف «إذ» في البيتين وهو داخل على المضارع، والذي في كتب النحو أنه ظرف لما مَضى.

٢٦ـ وجاء فيها أيضاً قول الأستاذ الزيتوني :

«. . . إنه قد أهاج شوقه . . .».

أقـول: والفعل «هـاج» متعدّ ولازم فيقـال: هاجني الشـوقُ، وهاجَ الشـوق. والفعل بهـذه الزيـادة، وهي خـطأ، «أهـاج» كثيـر في العـربيـة المعاصرة، ولعل المعربين وصلوا إلى هذا الغلط حملاً منهم على الفعل «أثار» الذي هو بمعناه.

٢٧ـ وجاء في الصفحة (٣١) قوله :

«وإذا الخيال يُصبح شخص المحبوب مُجسَّداً. . .».

أقول: الفعل «جَسَّد» بالتضعيف ومنه «مُجسَّد»، و «التجسيد» كثير في العربية المعاصرة ولعل ذلك حدث بتأثير الترجمة ولا وجود له بهذا المعنى في العربية القديمة، وهو مأخوذ من الجَسَد بمعنى البَدَن.

وفي فصيـح العربيـة أن الثوب المجسَّـد هو المُشبَـع بـالعِصفِـر أو الزعفران، فأين هذا من الاستعمال الجديد؟

٢٨ـ وجاء في الصفحة (٣٣) البيت :

وما بعد أن قد هدَّني الدهر هـدَّةً تضالَ لها جسمي ورقَّ لها عظمي

أقول: قوله: «تَضالَ» بتسهيل الهمزة والأصل: «تضاءَلَ»، وهذا شيء من لغة الشعر، والشاعر القديم ذو سطوة يفرض ما يقول.

٢٩ـ وجاء في الصفحة (٣٤) قول صاحب البحث :

«فكان أبو دُواد الإيادي . . . » .

أقول: دُواد هو الصحيح كما أثبت الأستاذ عبد الغني وليس «دؤاد» بالهمز كما هو الشائع الفاشي في كتب الأدب.

قال ابن دريد في «الاشتقاق»: واشتقاق «دُواد» من الدود.

٣٠ـ وجاء فيها قوله :

«وفضلاً عما مرّ بنا فقد حفلت دواوين الشعر بمديح الشعراء . . . » .

أقول: إن بدء الجملة بقوله «فضلاً» ليس من الأسلوب الفصيح، وبذلك لا نعرف دلالة الفاء بعد ذلك في قوله: «فقد».

٣١ـ وجاء في الصفحة (٣٥) قوله :

« . . . تلمح فيها شخصيته المتفرّدة»، والكلام على الشاعر القديم.

أقول: و «الشخصية» مصطلح جديد في الفلسفة وعلم النفس في عصرنا، فهل لنا أن نستعمله في معرض الكلام على شاعر جاهلي؟

٣٢ـ وجاء في الصفحة (٣٧) قوله :

«وكلها تعكس مواقف الشعراء الذاتية . . . » .

أقول: ودلالة الفعل «تعكس» هنا مأخوذ من لغة العلم الحديث كالفيزياء فالسطح الصقيل مثلاً كالمرآة يعكس الضوء، وهذا المعنى غير متوفر في دلالة الفعل في العربية فأنت تقول عكسنا القضية فجعلنا نهايتها بداية لها.

ثم نأتي إلى «وقائع مؤتمر مجمع اللغة العربية في القاهرة في الدورة الخامسة والخمسين ١٩٨٩» وهو بحث طويل للدكتور عدنان الخطيب، وكان لي فيه وقفات أبدؤها بحسب ورودها في صفحات المجلة فأقول:

١ ـ جاء في الصفحة (٤٤) في كلمة الدكتور إبراهيم مدكور:

«... فإنها تتيح لنا فرصة لقاء زملائنا... نسعد بهم حقاً لأنهم يسهمون معنا عن قرب في خدمة العربية».

أقول: ليس في العربية الفعل «أسهَم» بمعنى شارَكَ أو قدَّم سهمه أي نصيبه، ولكننا وَجَدنا «ساهم» بمعنى شارك في رمي السهام، وقد توسَّع فيه المعربون فصرفوه إلى معنى المشاركة، قال الشريف الرضي في رسالة له إلى أبي إسحاق الصابي يعزّيه بفقد ولده:

«وأنا المساهم لك في تحمُّل النائبة».

٢ ـ وجاء في الصفحة (٥٦) في قول أحد الباحثين:

«... لقد آن الأوان، كي تقوم مجامعنا اللغوية، ومن خلال اتحاد المجامع بالعمل على إنشاء مؤسسة خاصة بالمعاجم».

أقول إن استعمال «خلال» التي تنصرف إلى الظرفية، مجرورة بـ «من» يُبعدها عن الظرفية فيكون معنى «من خلال» قولنا «بوساطة». وهذا استعمال جديد صير إليه توسعاً في مدلول الظرفية وشاع في العربية المعاصرة.

أما دلالة «خلال» على الظرفية فتتحقّق في قوله تعالى مثلاً:

«فَجَاسُواْ خِلَالَ ٱلدِّيَارِ» ٥ سورة الإسراء.

«وَلَأَوْضَعُواْ خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ» ٤٧ سورة التوبة.

وقد تقول: لقد وردت «خلال» مجرورة بـ «من» في قوله تعالى:

«فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ» ٤٣ سورة النور.

والجواب عن هذا أن «خلال» مع جرها بالخافض ما زالت تدل على الظرفية المكانية بخلاف الاستعمال المعاصر الذي أبعدها عن معنى الظرفية.

٣ ـ وجاء في الصفحة (٥٧) في قول أحد الباحثين:

«والتنبيه على أهمية كتاب شرح كليات القانون لابن النفيس».

أقول: إن استعمال «على» بعد الفعل «نبّه» يؤذن بالسلب كقولهم: التنبيه على حدوث التصحيف، فالتصحيف من المساوىء التي ينبَّه عليها، ولو كان الشيء الذي ينبغي التنويه به والإشادة بفوائده لقلنا: التنبيه إلى فائدة الشيء.. وعلى هذا كان ينبغي أن يقول الباحث: التنبيه إلى أهمية كتاب شرح كليات القانون... لأن «الأهمية» مما يجب أن يشار إليها، وعلى هذا يتخلص استعمال «على» مع الفعل «نبَّه» إلى ما هو شرّ وضرر، ومثل هذا كثير من الأفعال التي يأتي بعدها «على» متوجهةً إلى الضرر والشر كقولهم: خرج علي، وساعد على دفع الشر ونحو هذا.

٤ ـ وجاء في الصفحة (٥٨) قول صاحب البحث:

«ثم أكدّ الباحث على وجوب تحرّي الحقائق...».

أقول: إن الفعل «أكّد» يصل إلى مفعوله من غير حرف جر. وقد نبّه أهل التصحيح على هذا حتى كدنا نرى الصواب أعم على ألسنة المعربين وفيما يكتبون من الخطأ. ويبدو أن شيئاً من هذا التجاوز ما زال باقياً. وهذا من غير شك آت من ترجمة فعل في لغة أجنبية إنكليزية أو فرنسية يتعدّى بالحرف، وبسبب من الترجمة جاء الكثير من التجاوز في العربية. وقد تكرر هذا في الصفحة (٧٣).

٥ ـ وجاء في الصفحة (٥٩) قول أحد الدارسين:

«وإذا كان من واجبنا كمسلمين أن نُقدِّر نبيّنا العظيم حقّ قَدْره، فإنه...»

أقول: وقد نبّه أهل التصحيح على زيادة الكاف في قول الباحث «كمسلمين»، وأن هذه الكاف ليست كاف التشبيه، بل زيدت خطأً لتقابل

نظيرتها في لغة أجنبية، فهي من «as» الإنكليزية أو من «Comme» الفرنسية. ونستطيع أن ندير القول في العربية من دون هذه الكاف.

ثم إن الفعل «نقدّر» المضاعف لا يعني الاحترام بل يعني تعيين الحدود طولاً وقصراً وارتفاعاً وهو في المسافات والمساحة والكيل والوزن صحيح في موضعه، وأما ما يتصل بالاحترام ونحوه فالثلاثي، «قَدَر»، قال تعالى:

«وَمَا قَدَرُواْ اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ» ٩١ سورة الأنعام.

والعجيب أن الباحث أتى بعبارة «حقَّ قدره» ولكنه جعل الفعل مضعّفاً.

٦ ـ وجاء في الصفحة (٦٠) قول الباحث:

«روايات عن إرهاصات النبوّة».

أقول: لم أعرف «إرهاصات النبوة»، بل كان السلف يقولون: دلائل النبوة، وبهذا صُنِّفت رسائل. نعم: الإرهاص هو الإثبات، ولم ترد جمعاً، وأول من استعمل «الإرهاص» أبو حنيفة الدينوري فقد ذهب إلى أن الوسميّ (من المطر) إرهاص بما يكون منه.

٧ ـ وجاء في الصفحة (٦١) قول الباحث:

«دور الملائكة في يوم بدر».

أقول: إن كلمة «دور» بهذا المعنى من الكلم الجديد الذي عرفناه في اللغات الغربية، ومنه قولهم: فلان لعب دوراً مهماً. و «لعب الدور» مأخوذ من لغة المسرح في اللغات الغربية.

٨ ـ وجاء في الصفحة (٦٣) قول أحد الباحثين:

«. . . ومناخ علمي وديني . . .».

أقـول: قبلت العربيـة في علـم البلدان كلمة «منـاخ» وتعني أحوال الطبيعة من حيث درجة الحرارة والرطوبة، وما يتصل بالضغط ونحو ذلك، ثم اتسع هذا فصـار علم المناخ. ثم استعـار الغربيـون هذه الكلمـة Climat الفرنسية ومثلها في الإنكليزية من دلالتها على الطبيعة والبيئة إلى حيّز آخر فقالوا على سبيل التوسع: المناخ السياسي، والمناخ الأدبي وغير هذا.

فهل يتاح لنا أن نرى في عربيتنا «المناخ الديني»؟ غفرانك اللهم!

٩ ـ وجاء فيها أيضاً قول الكاتب نفسه:

«. . . مقترحاً تعديلاً لها يتناسب وحاجة كل دولة. . .».

أقول: إن «التناسب» وما ورد على «تفاعُـل» و «مفاعلة» يشيـر إلى طرفين، ومن هنا فالواو تتخلص للعطف وليست للمعية، وإذا كانت عاطفة فالعطف هنا على «هو» عطف الظاهر على ضمير مستتر. وفي هذه الحال ينبغي أن يؤكد المعطوف، وهو الضمير المستتـر، بآخـر منفصل فنقـول: «يتناسبُ هو وحاجةُ كل دولة».

ولكن هذا غير جارٍ في عربيتنا المعاصرة.

١٠ـ وجاء في الصفحة (٦٥) قول أحد الباحثين فيما حكاه الأستاذ عدنان الخطيب عن البحث:

ثم أخذ الباحث يعدّد الكلمات التي التقطها، مبيّناً جذرها. . .».

أقول: و «الجذر» بمعنى الأصل عرف في لغة النبات والشجر، ولـم يعرفه اللغويون في بحثهم في أصول الكلمات، فكانوا يقـولون: أصـل، والكلمات الأصول.

١١ـ وجاء في الصفحة (٦٦) قول الباحث:

«وما زال بعض علماء العربية ينكرون «الرئيسي» بالياء ويستعملون في مكانه «الرئيس» ولكن «الرئيسيّ» قديمة. . .

أقول: كلام الأستاذ صاحب البحث وجيه، و «الياء» في الرئيسي ليست ياء نسبة، بل هي تزاد لزيادة الوصف، وهذا شيء درجت عليه العربية فمن أقدم شواهد النحو قول العجاج:

والدهر بالإنسان دواريّ

ويندرج في هذا الباب: الألمعيّ واليلمعي، والأحوريّ وغير هذا.

١٢ـ وجاء في الصفحة (٦٧) قول أحد الباحثين: .

«ويمكن تلخيص النقاط الهامة. . .».

أقول: أراد الباحث «المهمة» والفعل أهمَّ، قال تعالى: «وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ» (١٥٤ سورة آل عمران). فأما «الهامّ» فهو بناء «فاعل» من الثلاثي «همَّ»، والهامّ هو المقدام، الساعي إلى ما يريد، يقال: يهُمّ الرجل إلى عمله.

ومن هذا الفعل الثلاثي أتى «الهَمّ» وهو الاسم، وهو واحد الهموم.

١٣ـ وجاء في الصفحة (٦٨) قول أحد الباحثين:

«استخدَم الفرنسيون سلطاتهم. . . ممّا كان مردوده سلبياً. . .»

أقول: شاع الفعل «استخدَم» بمعنى «استعمل»، وهو لا يؤدي معنى الاستعمال، فقد قالوا: «استخدمتُه» بمعنى سألته أن يخدمني، و «استخدَمَه» بمعنى استوهَبَه خادماً. ولكن «استخدم» في العربية المعاصرة بمعنى «استعمل».

ثم إن «المردود» مصطلح اقتصادي بمعنى ما يردّه رأس المال من الفائدة، وليس من المناسب أن يستعار هذا المصطلح في معرِض آخر غير اقتصادي. و «المردود»، وهو مصطلح اقتصادي، جاء عن طريق الترجمة وكأنه يقابل الفرنسي «revenue».

١٤ـ وجاء في الصفحة (٦٨) قول الباحث:

«وأضاف أن مما يُؤسف له حقاً. . .»

أقول: والفعل «أسِف» والمصدر «أسَف» يتطلب حرف الجر «على» قال تعالى:

«يَا أَسَفِي عَلَى يُوسُفَ» ٨٤ سورة يوسف.

١٥ـ وجاء في الصفحة (٩٢) في قرارات المؤتمر:

«القرار الأول: كل ثلاثي حذفت فاؤه أو لامه، سواء عُوِّض عنها بحرف كالتاء (مثل: عِدة وسنة) أو ألف الوصل (مثل: ابن). . .».

أقول: إن التاء في «عِدة وسِنة» ليست عوضاً عن فاء الكلمة المحذوفة وهي الواو، بل التاء هي تاء التأنيث، وأما الواو المحذوفة، وهي فاء الكلمة، فقد حذفت لأنها جاءت مكسورة فالأصل، «وِعدة و وِسْنة» وبسبب أن الواو لا تحتمل الكسر حذفت، ولم يشذ عن هذا إلا «وِجْهة» فقد بقيت الواو، ولم تستعمل كثيراً، لأن «جِهة» المحذوفة الواو غلبت عليها. وقد وردت «وِجهة» في قوله تعالى: «وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا» ١٤٨ سورة البقرة.

ثم جاء المعاصرون فاستعملوها في «وجهة نظر» وقد سبق الكلام عليها في هذا الموجز.

أما كلمة «ابن» فلم تكن ألف الوصل تعويضاً من لام الكلمة المحذوفة وهي الواو، ذلك أن «الألف» في «ابن» جيء بها واسطة للوصول إلى الساكن وهو الباء، وهذا قول الخليل بن أحمد في كتاب «**العين**».

١٧ـ وجاء في الصفحة (**٩٣**) في الحاشية كلام في النسب إلى ما كان على وزن «فعيلة» الذي تحذف فيه الياء عند النسب فقالوا: حنفي نسبة إلى حنيفة.

أقول: قيَّد ابن قتيبة في أدب الكاتب هذه النسبة التي تحذف فيها الياء بكل عَلَم مشهور كأعلام القبائل كما في حنيفة وبجيلة، وأسماء المدن المشهورة كمدينة الرسول: فقالوا: حَنَفيّ وبَجَليّ، وقالوا السور المدنية، فالشهرة قيد وشرط في هذه النسبة، ولذلك جاء الطبيعيّ والبديهي عند الجاحظ وغيره لافتقارهما إلى هذا الشرط وهو الشهرة.

١٨ـ وجاء في الصفحة (٩٧) في قرارات المؤتمر:

«يؤكد المؤتمر بتوصياته السابقة بأن تُعنىَ وزارات الإعلام...».

أقول: وليس من حاجة للباء في القول: بأن تُعنىَ...

١٩ـ وجاء في الصفحة (١٠٠) في البحث الموسوم بـ «إذا بين الظرفية والشرطية»: «إن استخدام «حين» ظرف زمان...

أقول: والصواب: استعمال، وقد مَرّ بنا معنى الفعل «استخدَم» ولا حاجة إلى تكراره.

ثم نأتي إلى البحث البارع المفيد الموسوم بـ «مناهج المصطلح الكيميائي العربي...» وقد جاء فيه في الصفحة الأولى (ص ١٢١):

١ ـ «التقيت نخبةً من الكيميائيين...»

أقول: جاء في معجمات العربية أن «التقيتُه» مثل «لقيته» أي أن كلاهما متعدّ. غير أننا لم نجد في أدبنا وتراثنا من شعر ونثر أن الفعل «التقى» يصل إلى المفعول من دون واسطة، بل نجد الفعل يصل إلى المفعول بالباء.

٢ ـ وجاء فيها أيضاً:

«وغلب الحماس أحد الحاضرين...».

أقول: ليس في تراثنا اللغوي «الحماس» الذي شاع في العربية المعاصرة، بل «الحماسة» هي المعروفة المشهورة.

٣ ـ وجاء في الصفحة (١٢٥) قول الباحث:

«والمصطلح الكيميائي الحديث لم يعد لفظاً...».

أقول: وقوله: «لم يعد» من العربية الجديدة التي تأثرت بالأقوال الأجنبية التي نقلت إليها.

ثم آتي إلى بحث وسم بـ «الزمخشري والشعوبية» فأجد فيه في الصفحة (١٧٧):

١ ـ حياته:

أي حياة الزمخشري. أقول: وهذه «الحياة» جاءت من ترجمة الكلمة الإنكليزية «Life» أو الفرنسية «Vie».

وكان مصطلح الأوائل هو «السيرة» ومنه السيرة النبوية الشريفة، وسير أعلام النبلاء من الكتب المشهورة، وكذلك «الأعلام والسِّيَر».

٢ ـ وجاء في الصفحة (١٧٩) قول الباحثة:

«تلمذ الزمخشري على أبي مضر محمود...».

أقول: والذي يقال: تلمذ الزمخشري لأبي مضر...

٣ ـ وجاء في الصفحة (١٩١):

«وقد أسهَمَ الشعراء العرب...».

قلت في موضع آخر من هذا العدد: إن الفعل «أسهَمَ» مما ولّده المعاصرون، والفعل «ساهم» هو المعروف في الأثر، وقد فصّلت القول في هذا.

٤ ـ وجاء في هذه الصفحة أيضاً:

«وكان لهم دور كبير في الردّ على الشعوبية...».

قلت في موضع من درسي هذا: إن استعمال «دور» شيء مما جاءت به الترجمة.

ثم آتي إلى بحث وُسم بـ «السماح في أخبار الرماح» جاء في «مقدمته» (ص ٢١٥):

١ ـ وفي الشعر العربي تصوير لأدوات الحرب... تحس من خلاله روح التضحية...».

أقول: وكلمة «خلال» التي في النص لا تومىء إلى الظرفية، وقد جاءت مجرورة بـ «من»، مع أنها ظرف كما مرّ بنا في هذه الورقات.

واستعمال «خلال» هذا الاستعمال مما شاع في العربية المعاصرة حتى صار هو وأشتات أخرى من لوازمها.

٢ ـ وجاء في الصفحة (٢٢٦) قول صاحب البحث:

«كانت حياة السيوطي وقفاً على التأليف...»

أقول: استعمال كلمة «حياة» لسيرة الكاتب والشاعر وغيرهما شيء أتت به الترجمة، وقد تكلمنا في موضع في هذه الورقات على هذه المسألة.

٣ ـ وقد جاء في الصفحة (٢٥٠) قول السيوطي:

«قال دُبَيس المدائني الشاعر...».

وقد علق المحققان الفاضلان في الهامش معرِّفين بـ «دبيس» هذا، وهو: دبيس بن سيف الدولة صدقة بن منصور الأسدي...

وقد أفادا الترجمة من «الأعلام» للزركلي.

أقول: صحيح أننا لا نعرف دبيساً آخر إلاّ أني أتوقف قليلاً في نسبته «المدائني» التي لم أقف عليها في مصادر ترجمته.

٤ ـ وجاء في الصفحة (٢٥١) قول المؤلف:

«وقال سيف الدين علي بن عمر بن قزل المَشَدّ...».

أقول: وقد علق المحققان فترجما لسيف الدين هذا ورجعا إلى المصادر المعنية بذلك، ولكنهما لم يشيرا إلى كلمة «المشد» التي هي وظيفة أو ديوان هو ديوان المشد من رسوم العصور المتأخرة.

وضبطه بكسر الميم لا فتحها كما فعل المحقّقان.

٥ ـ وجاء في الصفحة (٢٥٦) في ملحق «الرسالة»:

(أزن) رُمح أزني وأُيزَني وآزني: منسوب إلى ملك حمير ذي يَزَن.

أقول: وأضيف «يَزَني» وهو أشهر مما ذُكِر، ولذلك قالوا: الرماح اليَزَنية.

ثم آتي إلى باب التعليقات والمناقشات فأجد: قراءة في ديوان إسماعيل بن يسار للدكتور نوري حمودي القيسي وقد أخذ على جامع الديوان الدكتور يوسف بكار فقال: «أورد البحتري في حماسته ثماني قطعات نسبت ست منها إلى إسماعيل بن بشار واثنتان منهما نسبتا إلى إسماعيل بن بشار الكناني، واعتمد المحقق على اجتهاد الأب لويس شيخو الذي اعتقد أن بشاراً تصحيف ليسار فنسب القطع إلى إسماعيل بن يسار، وجرياً على هذه النسبة ألحق المقطعتين اللتين وردتا في الحماسة والمنسوبتين إلى إسماعيل بن بشار الكناني إلى إسماعيل بن يسار.

يقول الدكتور القيسي: وفي هذه النسبة خطورة كبيرة...

أقول: وكان على الدكتور أن يأتي بأدلة يثبت أن المقطعتين هما لإسماعيل بن بشار ويعرّف به ليثبت حقيقة ما شكّ فيه.

٦ ـ وجاء في هذه الصفحة في كلام الدكتور القيسي :

«حاولت أن أشير إلى مصدر واحد فقط وهو أقرب إلى كل المصادر لما يمكن أن يحتنجه [كذا] من أبيات . . . » .

أقول : لعل «يحتنجه» تندرج في الخطأ المطبعي ، والأصل «يحتجنه» . وقد شاع هذا الفعل لدى جامعي الشعر القديم في عصرنا للشعراء الذين لم تصل إلينا دواوينهم . وأصل هذا الفعل هو «الحَنجُ» وهو إمالة الشيء عن وجهه ، و «المُحنَج» هو الكلام الملويّ عن جهته . و «احتَجَنه» لنفسه دون أصحابه ، أي استأثر به . و «الاحتجان» : جمع الشيء وضمّه إليك ، و «احتَجَن» عليه : حَجَر عليه ، و «احتجان» المال : إصلاحه وجمعه وضمّ ما انتشر منه .

أقول أيضاً : إن استعمال المعاصرين لهذا الفعل قد أخذ من الجمع وضمّ المنتشر من المال مع إصلاحه .

ثم آتي إلى البحث الموسوم بـ «نحو معجم للخيل والخيّالة» :

١ ـ أقول : وقد استعمل صاحب البحث الفعل «كرّس» واسم المفعول «المكرَّس» غير مرة ، وهذا الفعل مما أدخله النصارى العرب في العربية ، وهو من السريانية ، ودلالة التكريس لدى السريان رسوم دينية نصرانية ، ولكنه شاع في العربية المعاصرة مع إغفال حقيقته .

٢ ـ وقال صاحب البحث في الصفحة (٢٩٠) :

«الحصان المحلّي الهجين : عملياً كل خيول العالم . . . » .

أقول : إن بدء الجملة بقوله : عملياً بدء مخل تأباه العربية . . .

٣ ـ وجاء فيها أيضاً :

«هي الخيول الأوروبية قبل أن يتعرّف عليها الغربيون» .

أقول: والصواب: قبل أن «يتعرَّفها» الغربيون، والفعل «تعرَّف» متعدٍّ بنفسه، قال الشاعر القديم:

وقـالوا تعـرَّفْهـا المنـازل من مِنىً   ومـا كلُّ مَن وافَى مِنىً أنـا عارفُ

خاتمـــة:

هذه مسيرة في هذا العدد من المجلة رأيت أن أضيف فيما كتبت شيئا يتصل بتاريخ العربية.

ثالثاً : تعليقـات ومناقشـات

السَّاد

أسماء هجينة والأصل عربي

الدكتورة سُرى سبع العيش

مع أن المعجم الطبي الموحد قد وضع آلاف المصطلحات ووافق على اعتماد تسميات علمية عربية قديمة لمدلولات طبية، كانت من الوضوح والسهولة ورشاقة اللفظ بمكان، إلا أننا لا نزال نقرأ في المقالات العلمية والطبية التي تتصدر المجلات العلمية والثقافية العربية، وكذلك نرى في التقارير الطبية كتابة أسماء الأمراض ملفوظةً باللغات الأجنبية ومصورةً بحروف عربية. وهنا نتساءل أتراه الإصرار على الاستهانة بتعريب الكلمات الطبية، أم توهمُ بعض الأطباء بأنهم يزيدون رفعةً ويتفوقون شأناً حين يزخرفون تقاريرهم بكلمات أعجمية، أم هو الجهل عن حسن نية بأن لتلك الألفاظ الطبية مرادفات عربية أجمل وأحلى وأصدق تعبيراً... علماً بأن الكثير من الكلمات الطبية هي ذات تسمية عربية أصلاً.. كما هو الأمر في كلمة السَّاد. والسّاد كلمة تطلق على المرض الذي يصيب العدسة البلورية في العين بالكثافة فتصبح بيضاءَ كامدةً ظليلة بعد أن كانت شفافةً رائقةً، فتُعيق الرؤية وتُحدث العمى. ومع أن كلمة الساد تكاد تصبح شائعة لدى معظم الناس في عالمنا العربي بمن فيهم الأطباء إلاّ أننا نُجابَهُ حتى في الكتابات الطبية الأدبية المنشورة في أشهر المجلات الثقافية العربية(١) بكلمة كتاراكت بدلا منها فمن أين جاءت هذه الكلمة (كتاراكت)؟.

لقد ظهرت كلمة كتاراكت في أول ترجمة لاتينية لكتاب طبي عربي(٢). وتذكر كتب تاريخ طب العيون أن أول من استعمل هذه الكلمة هو قسطنطين الإفريقي أو كما يسميه الغرب كوستانتينوس أفريكانوس الذي ولد

في مدينة قرطاج عام ١٠١٥ للميلاد وكان مسلماً ولكنه وبظروف غامضة تهود ثم تنصر وأصبح راهباً في دير مونت كازينو وربما كان له تأثير كبير في نشوء مدرسة ساليرنو في إيطاليا وقد توفي عام ـ ١٠٧٨م[٣]. وقد ذكر في كتابه باللغة اللاتينية المسمى (**كتاب العين**) كلمة كتاراكت إنابة عن المرض المسمى نزول الماء أو الماء النازل في العين. وقد تبين أن (**كتاب العين**) الذي ادعى قسطنطين الإفريقي أنه ألفه وأهداه إلى تلميذه جوهانس لعدم توافر كتاب عن العين باللغة اللاتينية ـ **ليس إلا ترجمة حرفية لكتاب (العشر مقالات في العين)** الذي ألفه حنين بن إسحق العبادي (٨٠٨ ـ ٨٧٣م) وأن قسطنطين الإفريقي ما هو إلا ناقل دَعِيّ ترجم الكتاب إلى اللاتينية ثم ادعى تأليفه وطمس اسم صاحبه وغيب ذكره عمداً[٣]. وقد وَضَع كلمة كتاراكت عنواناً للفصل السابع والعشرين من الكتاب. وعندما عاد ديمتريوس وترجم الكتاب إلى اللاتينية وضع عنوان الفصل السابع والعشرين كلمة صفوزيون ومعناها الارتشاح، للدلالة على نزول الماء في العين. فلما ترجم جيراردوس من كريمونة (١١١٤ ـ ١١٨٧) كتاب أبي القاسم الزهراوي (**التصريف لمن عجز عن التأليف**) ترجم عبارة قدح الماء النازل في العين بعبارة: علاج الماء النازل في العين أو الكتاراكتا. بينما وردت في ترجمة كتاب (**القانون**) لابن سينا وكتاب (**المنصوري**) للرازي كلمة الماء للدلالة على المرض العيني ذاته، ولم تستعمل كلمة كتاراكت[٢].

حتى إن غي دي تشولياك أشهر طبيب فرنسي في القرن الرابع عشر ذكر في كتابه كلمة الماء واعتبره خطأ مرحلة سابقة لحدوث الكتاراكتا[٤] وقد اقتبس اثنتين وستين مرة من كتاب (**تذكرة الكحالين**) لعلي بن عيسى، في كتابه الشهير الجراحة الكبرى. وهكذا شاع استعمال كلمة كتاراكت التي تعني باللاتينية شلال الماء وأصبحت النموذج المحتذى في الترجمات اللاتينية للكتب الطبية العربية في القرن الثاني عشر وما بعده[٥]. وهكذا نرى

أن قسطنطين الإفريقي هذا ولكرهه للأصل العربي الذي تنكر له وللإمعان في التمويه وإخفاء أصل الكتاب الذي ترجمه إلى اللاتينية وانتحله لنفسه اختار كلمة كتاراكت وهي مشتقة من أصل يوناني وتعني الباب السّاد الذي ينـزلق من الأعلى إلى الأسفل فيسـد مجـرى المـاء، علمـاً بـأن الأطبـاء الإغريقيين القدامى الذين تتلمذ الأطباء العرب أصلاً عليهم لم يستعملوا كلمة كتاراكت للدلالة على داء السّاد وإنما استعملوا كلمة صفـوزيو التي تعني الارتشـاح[٦]. وعلى كل لم يقتبس من (**كتـاب العين**) الـذي ادعـاه قسطنطين ولم يرجع إليه الكثير من أطباء أوروبا في القرون الوسطى[٧] ما **عدا روجر بيكون الذي اعتمده في شرحه الجهاز البصري . . علماً بأن روجر بيكون هذا قد اتهم من قبل كثيرين بأنه استنسخ نظرية ابن الهيثم وتطبيقاتها بالنسبة إلى العدسات المكبرة(٨) .**

ثم عرف العالم أجمع أن الداء ليس ماء وليس نزول ماءٍ في العين أو انصبابه فيها وإنما هو مرض في عدستها البلورية يصلب ويكثف ويعتم ويغير الطبيعة الشفافة فيها وذلك عندما شرَّح العالم الألماني ورنر نورفيلك عام ١٦٥٦م[٩] للمرة الأولى عين إنسان ميت كان قد أصيب في حياته بـالداء المسمى نزول الماء في العين. فاكتشف أن المرض هو في العدسة البلورية ذاتها. ومع ذلك فقد بقي الأوروبيون يستعملون كلمة كتاراكت لاعتباراتها التاريخية وللدلالة على مرض العدسة البلورية. واستبدلنا بكلمة السّاد كلمة الماء ذات الدلالة المغلوطة. والسّاد أبلغ في الإشارة إلى الداء الذي يسد مجرى النور ويعيق شلال الضياء عن عبور العين. وقد شاعت هذه الكلمة في الأوساط الطبية العربية، وقبل بها وتبناها المعجم الطبي الموحد[١٠]، فلم التغريب والنشوز عند كتابة الأدب الطبي.

المصادر العربية والأجنبية :

١ - د. سامي محمود علي : عينـاك .
مجلة العربي العدد ٣١١ ص ٩٨ - ١٠٣ ، ١٩٨٤م / ١٤٠٥هـ
و د. سعيد السماهيجي : علاج للكتاراكت بدون جراحة .
مجلة العربي - العدد ٣٧٠، ص ٤٢، ١٩٨٩م / ١٤١٠هـ

٢- Julius Hirschberg, in History of Ophthalmology Vol. 2 P. 261 translated to English by Frederick C. Blodi 1985

٣ - Julius Hirschberg, The monastic Medical Scieneces, in The Transaction of the Royal Prussian Academy of Scien. XLIX 1903.

٤ - Guy de Chauliac, La Grande Chirurgie page XLVIII Publisher E. Nicaise 1890.

٥ - The American College Dictionary Publisher Random House Toronto page 189 . 1980.

٦ - Transaction of the Royal Academy of Paris: page 2 - 3 1706

٧ - **Julius Hirschberg, The books of ophthalmology and Ophthalmologists of the Lated Middle Ages, in The History of Ophthalmology Vol. 2 P. 257 Translated by Frederick Blodi 1985.**

٨ - د. سرى سبع العيش - ابن الهيثم رائـد علم البصريات ، المجلة

٩ - Julius Hirschberg, Dispute about the nature of cataract in History of Ophthalmology, Vol. 3 page 5 Translated to English by Frederick C. Blodi 1984.

١٠- المعجم الطبي الموحد، ص ١٤٨، الطبعة الثالثة ١٩٨٣م .

المستدرك على «المعجم العربي الأساسي»

الدكتور محمود شاكر سعيد

مما لا شك فيه أن للمعاجم اللغوية أثراً بالغاً في جمع أبناء اللغة، وفي الحفاظ على اللغة وتيسير تجددها ومتابعتها للتطور الطبيعي.

ومن المؤكد أن إعداد معجم عصري دقيق أمر يصعب على الأفراد، فهو بالرغم من حاجته إلى ضرورة الدراية الكاملة بتراث الدراسات اللغوية العربية، فإنه يحتاج إلى معرفة تامة بما وصل إليه علم اللغات في مجال الصوتيات والدلالات والتراكيب، وهو يحتاج إلى اتصال دائم بالمختصين في العلوم المختلفة للاطلاع على كل جديد في علومهم من حيث الدلالات والاشتقاقات والمحدثات من الألفاظ والتراكيب، هذا إلى جانب ضرورة الاطلاع على التراث العلمي العربي للإفادة منه في وضع الألفاظ العربية للمصطلحات الأجنبية.

وقد كانت فرحتنا عظيمة عندما تلقينا نبأ صدور «المعجم العربي الأساسي» عن «المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم»، لثقتنا أن عملاً معجمياً عصرياً كهذا لا يتوقع له النجاح إلا إذا تبنته منظمة عربية عامة تستطيع أن تؤمن له ـ إلى جانب النفقات المالية الباهظة ـ النخبة الممتازة من العلماء الأجلاء في علوم العربية وأسرارها، ولاقتناعنا بحاجتنا المستمرة إلى

معاجم عصرية تتابع المعاني الاصطلاحية التي تكتسبها الألفاظ في تطورها التاريخي المستمر.

ولكن ما إن أجلت نظري في ذلك المعجم حتى هالني ما وجدت، ففي الوقت الذي ينبغي فيه أن يكون «المعجم» مرجعاً يُحتكم إليه للتأكد من صحة ضبط الألفاظ ونطقها ومن صحة رسم حروفها، فإنني وجدت «المعجم العربي الأساسي» لا يصلح لهذا الأمر لما جاء فيه من أخطاء نتيجة التسرع في إنتاج ما حقه الدقة والأناة.

وقد قسمت أخطاء هذا المعجم إلى ما يلي :

* أخطاء في الآيات القرآنية :

ففي الوقت الذي يجب أن يحرص كل مسلم على دقة نقل الآيات القرآنية نقلاً أميناً في جميع الحالات؛ نجد في «المعجم العربي الأساسي» اثنين وتسعين خطأ في الآيات القرآنية سواء من حيث الضبط أو عدم دقة الألفاظ، ومنها على سبيل المثال:

- ص ٣٨٩ مادة (خردل) جاء فيها: «يا بني إنها إن تك مثقالُ حبة من خردل. . .» والصواب: «يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ. . .» (١٦ لقمان).
- ص ٥٦١ مادة (روع) جاء فيها: «فلما ذهب عن إبراهيم الروع يجادلنا في قوم لوط» والصواب: «فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ. . .» (٧٤ هود).
- ص ٧٥٤ مادة (صوب) جاء فيها: «الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنَّ لله

وإنا إليه راجعون» والصواب: «ٱلَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ» (١٥٦ البقرة).

- ص ١٢٥٣ مادة (هجر) جاء فيها: «والرِّجز فاهجر» والصواب: «وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ» (٥ المدثر).

* أخطاء في المعلومات:

- ص ٤٥ سطر ٦ جاء فيها: يقال «واحد» ومؤنثه «إحدى» في المركب، ويقال «أحد وإحدى وواحدة» في المعطوف. والصواب أن «أحد» ومؤنثه «إحدى» في المركب، قال تعالى: «إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ». (٤ يوسف) ويقال «واحد وإحدى وواحدة» في المعطوف.

- ص ٤٨ سطر ١٠ جاء فيها: «حيث»: لا تضاف إلا إلى الجملة: اذهب حيث تشاء. وهذا الحكم يجب ألا يطلق على إطلاقه في مؤلف علمي حيث جاء على ألسنة العرب قول الشاعر:

أما ترى حيث سهيلٍ طالعا ... نجم يضيء كالشهاب لامعا

وقول الآخر:

ويطعنهم تحت الحبا بعد ضربهم ... ببيض المواضي حيث ليِّ العمائم

ولهذا رأى بعض علماء العربية جواز إضافتها إلى المفرد [النحو الوافي، لعباس حسن ٣: ٧٨].

- ص ٤٩ سطر ٢٠ جاء فيها: الضم والكسر يكونان في الاسم والحرف، حيثُ منذُ، أمسِ. والصواب أن البناء على الضم يكون في الأفعال

أيضاً كما في «لعبوا» و «سمعوا» حيث يبنى الفعل الماضي على الضم إذا اتصلت به واو الجماعة.

- ص ٤١٠ مادة (منخفض) جاء فيها: مُنْخَفَضٌ: مفعول من انخفض على غير قياس. والصواب: أنها اسم مفعول من انخفض على قياس، حيث إن اسم المفعول من الزائد على ثلاثة أحرف يكون على وزن المضارع مع إبدال حرف المضارعة ميماً مضمومة وفتح ما قبل الآخر، وهكذا في: انخفض، منخفض.

- ص ٤٥٢ مادة (تداعى) جاء فيها الحديث الشريف: «كمثل الجسد إذا اشتكى بعضه تداعى سائره بالسهر والحمى». ورواية الحديث مشهورة: «كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر» (رواه البخاري ومسلم).

- ص ٥٤٤ مادة (رقم) جاء فيها أن الأرقام ...1, 2, 3 هي الأرقام العربية، والأرقام ١، ٢، ٣. . . هي الأرقام الهندية. وهذه المعلومة ليست دقيقة، وهي تحتاج إلى وقفة أطول في غير هذا الموضع. (انظر تاريخ علم الأدب عند الإفرنج والعرب وفيكتور هوكو، روحي بك الخالدي، ص ١٠٣).

- ص ٧٢٣ مادة (الصخرة) جاء فيها: قبة الصخرة: مسجد بناه الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان فوق الصخرة المقدسة التي صلى عليها الخليفة عمر بن الخطاب عندما دخل القدس. والصواب: أن المسجد الذي بني على المكان الذي صلى فيه عمر هو المسجد العمري، مقابل كنيسة القيامة. وأما قبة الصخرة فهو مسجد على الصخرة التي عرج بالنبي محمد ﷺ، من فوقها إلى السماء في حادثة الإسراء والمعراج.

- ص ١١١٨ مادة (مثال) جاء فيها: المثال: المعتل الفاء من الكلمات مثل: وعد، يسير، وعاء. والصواب أن المعتل الفاء من الأفعال هـو المثال. وأما مثل «يسير» فليس فعلاً معتلاً، لأن المعتل من الأفعال: ما كان أحد حروفه الأصلية حرف علة، أما الياء في «يسير» فليست حرفاً أصلياً بل هي حرف مضارعة. وكذلك في «وعاء» فالكلمة اسم وليست فعلاً.

* عدم وضع علامات الترقيم حيث كان يجب وضعها:

لعلامات الترقيم أثر واضح في توضيح المعنى، وهي تساعد القارىء على الفهم والاستيعاب، ولكن «المعجم العربي الأساسي» على الرغم من ذكره أهمية هذه العلامات (ص ٥٨) وعرضه الموجز لاستعمالاتها إلا أنه لم يلتزم بها في مئات المواضع، حيث إنه لم يلتزم بوضع الشرطة (-) بين العدد والمعدود عند ترقيمه لمعاني الألفاظ، ولم يضع فاصلة أو نقطة عند نهاية كل معنى ليفهم القارىء أنه انتقل إلى معنى جديد، مما يوقع القارىء في اللبس.

* وصل همزة القطع:

همزة القطع يجب أن ترسم على الألف دائماً في بدء الكلمات، وقد نص «المعجم العربي الأساسي» على ذلك (ص ٥٣)، ولكنه لم يلتزم برسمها في معظم الكلمات التي همزتها همزة قطع مما ورد في صفحات المعجم.

ويكفيني أن أشير إلى أن الصفحة التي أشارت إلى «المشاركون في وضع المعجم وإعداده» ص ٤ جاء فيها:

الإعداد الفني والإشراف الإداري

حيث إن الكلمات: الإعداد، والإشراف، والإداري، كان حقها أن تضاف إليها همزة القطع في كل كلمة منها.

وإن الصفحة الأولى من المقدمة (ص ٥) التي كتبها د. محيي الدين صابر المدير العام للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، قد اشتملت على عشر كلمات همزتها همزة قطع ولكنها لم ترسم منها: الإسلام، الإسلامي، الإسلامية، الإنسانية، الإنسان...

ومثل ذلك كثير جداً جداً جداً.

* قطع همزة الوصل:

من المعروف أن همزة الوصل لا ترسم على الألف مطلقاً في بدء الكلمات، كما نص على ذلك «المعجم العربي الأساسي» (ص ٥٢).

ولكن من يتصفح أوراق المعجم يجد أنه قد رسم الهمزة على الألف في عشرات الكلمات التي همزتها همزة وصل، ومن ذلك على سبيل المثال:

- ص ٧٣١ مادة (صراط) جاء فيها: «إهدنا الصراط المستقيم» والصواب «ٱهْدِنَا ٱلصِّرَاطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ» (٦ الفاتحة).
- ص ٧٣٦ مادة (صغير) جاء فيها: «وقل رب إرحمهما كما ربياني صغيرا» والصواب: «وَقُلْ رَبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً» (٢٤ الإسراء).
- ص ١٠٧٨ مادة (ملحق) رقم ٤ جاء فيها: «ملحق الإتفاقية» والصواب: «ملحق الاتفاقية».
- ص ١٠٨٨ مادة (لطيف) جاء فيها: «يا لطيف المنتزل ألطف بنا فيما نزل»، والصواب: «يا لطيف المنتزل الطف بنا فيما نزل».

- ص ١٠٩٠ مادة (لعل) جاء فيها: «وهي تدخل على الجملة الإسمية فتنصب الإسم وترفع الخبر..» والصواب: «وهي تدخل على الجملة الاسمية فتنصب الاسم وترفع الخبر...»

ومثل ذلك كثير في ص ١١١٠ (الاسم)، ١١١٦ (للاجتهادات)، ١١٣٦ (الاسم)، ١١٧٣ (الامتحان)، ١١٧٦ (الانحراف)، ١١٩٨ (الاستماع)، ١٢٠٦ (الاجتماع)، ١٢١٠ (الاستفهام)، ١٢٢٩ (الاسم)...

* أخطاء طباعية:

يكاد لا يخلو كتاب مطبوع (عدا القرآن الكريم) من أخطاء طباعية؛ لأن الكمال لله وحده، ولكن القضية نسبية، فإذا كثرت الأخطاء الطباعية عُدَّ ذلك من التقصير في مراحل المراجعة والتدقيق.

وفي «المعجم العربي الأساسي» كثير جداً من الأخطاء الطباعية التي لم نكن نتوقع مثلها في كتاب كان من المفروض أن يكون مرجعاً، بل حجة في الدقة والإتقان في كل ما ورد فيه.

وقد قسمت هذه الأخطاء إلى ما يلي:

- زيادة بعض الكلمات، ومن ذلك:

ص ٣٦٧ مادة (حاله) جاء فيها: تدل على حاله على...

والصواب: تدل حاله على...

- حذف بعض الكلمات:

حيث سقطت بعض الكلمات من السياق، ومن ذلك:

ص **٥٣٧** مادة (دفع) جاء فيها: مدفع الإمساك عن الطعام والشراب قبيل الفجر أشهر رمضان. والصواب: . . . في أشهر رمضان.

- عدم تشديد ما حقه التشديد من الحروف؛ وهذا مما يوقع القارىء في اللبس، ومن ذلك:

ص **٥٣٦** مادة (رفع) جاء فيها: رفع قبعته: حياه وسلم عليه. فإن كلمة «حيَّاه» حقها أن تكون مشددة الياء.

ص **١١١٨** مادة (ممثل) جاء فيها: من يزاول مهنة التمثيل في المسرح أو في السينما. . . وحق كلمة «السِّينما» أن تكون مشددة السين لئلا تُقرأ اللام قمرية، ومثل ذلك كثير في اللامات الشمسية.

- عدم الدقة في رسم الهمزة: يشكل رسم الهمزة عبئاً على كثير من المبتدئين في كتابة العربية، ويعتبر إتقان رسمها لوناً من ألوان الإجادة في الكتابة العربية، ولكن «المعجم العربي الأساسي» لم يكن دقيقاً في رسم الهمزة مع أن كثيرين يحتكمون إلى المعاجم لمعرفة كتابتها في بعض الألفاظ؛ فإلى جانب عدم الدقة في رسم همزة الوصل وهمزة القطع كما سبق، فقد وقعت أخطاء طباعية متعددة في رسم الهمزة ومنها:

ص **١٢٢** مادة (آوى) كلمة اللاجئ كتبت هكذا [اللاجىء].

ص **١٣٦** مادة (مبدأ) كلمة مبادىء كتبت هكذا [مبادىء].

ص **٨٨٦** مادة (غث) كلمة رديء كتبت هكذا [رديىء].

ص **٣٦٧** مادة (حالة) كلمة سيِّىء كتبت هكذ [سيّىء].

ص **٤٣٤** مادة (أدأب) كتب مصدرها هكذا [إدءابا] وصوابه «إدآبا».

ص ٤٣٤ مادة «إدءاب» صوابها «إدآب».

ص ٤٧٩ مادة «ذارىء» كتبت هكذا [ذاريء].

ص ٧٢٨ مادة (صدمة) فيها: نازلة تفاجىء الإنسان، كتبت هكذا [نازلة تفاجيء الإنسان].

- إلصاق بعض الكلمات التي حقها التفريق أو العكس:

ومن ذلك ص ٥٠١ مادة مربع: ما له أربعة أضلاع، كتبت هكذا [ماله] فالقارىء يراها مال منسوب إلى الهاء.

ومثله في ص ٨٨٩ مادة (أغر): ماله غرة.. وصوابها ما له غرة.. وعكسه في الصفحة نفسها ٨٨٩ مادة (غرر) حيث جاء فيها: لم يكن ليفعل هذا لو لا أن غرر به أصحابه. وصوابها «لولا».

* أخطاء في ضبط الألفاظ:

ضبط الحروف العربية ميزة من ميزات لغتنا؛ لأن الكلمات تختلف باختلاف ضبطها معنى ودلالة، وعلى الرغم من أهمية الدقة في ضبط الألفاظ في الكتب بعامة وفي المعاجم بخاصة فقد وقعت أخطاء كثيرة في ضبط الحروف في «المعجم العربي الأساسي» تزيد على المئات ـ مع الأسف الشديد ـ أذكر منها على سبيل المثال:

ص	مادة	الخطأ	الصواب
٧٥٠	صندوق	صندوقِ السَّيارة	صندوق السَّيَّارة
٧٥٠	صنع	صنع النّجَار منضدة	صنع النَّجَّار منضدة
٧٥١	استصنع	استصعنتْ الصانع خاتما	استصنعتِ الصانع خاتما
٧٥١	صنع	«وهم يَحْسِبون أنهم يحسنون صنعا»	«وهم يَحْسَبون أنهم يحسنون صنعا»

ومثل ذلك كثير جداً جداً لا يليق «بمعجم» عصري.

* **أخطاء تحريف :**

وهناك أخطاء حرفت بعض الألفاظ نتيجة السرعة في الإنجاز نذكر منها:

- ص **٣٣٥** مادة (حقيبة) جاء فيها: حمل المسافرين حقائبهم بعد تفتيشها في المطار. وصوابها: حمل المسافرون..
- ص **٣٥١** مادة (الحمداني) جاء فيها: وهو شاعر فارسي ابن عم سيف الدولة. والصواب: وهو شاعر فارس..
- **٩٣٩** مادة (فضة) جاء فيها «ويطاف عليهم بصحاف من فضة» والصواب: «يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحافٍ مِن ذَهَبٍ» (٧١ الزخرف).

هذا إلى جانب عدم الدقة في وضع الحركات على الحروف حيث انتقلت الحركات من الحروف المقصودة إلى حروف مجاورة، وتقريب الحركات من نقط الحرف، مما يؤدي إلى التباس الأمر على القارىء، وطمس بعض الحروف أو تآكلها مما يضيع الفائدة على القارىء، وزيادة بعض النقاط لبعض الحروف أو حذفها من بعضها الآخر، وتنوين بعض الحروف وهي لا تستحق التنوين أو العكس. إلى غير ذلك من القضايا التي ينبغي أن تكون أساسية في (المعجم) ليستحق أن يكون حجة يحتكم إليه في القضايا اللغوية.

ويؤخذ على «المعجم العربي الأساسي» بالإضافة إلى ما ذكرنا خلوه من الصور في حين أن المعاجم العصرية تباهي بتزيين صفحاتها باللوحات التوضيحية التي لا غنى عنها في توضيح بعض الماديات ونحوها.

ويؤخذ عليه استعمال بعض الرموز المكروهة، كاعتماده رمز «صلعم» بدل ﷺ واستعماله بعض الأيمان غير الشرعية كما جاء في ص **٣٨١** مادة (ختمة): وحياة الختمة: قسم بالقرآن الكريم.

وعلى الرغم من هذه الأخطاء أو السلبيات في «المعجم العربي الأساسي» فإنني أسجل له المميزات التالية:

- صُدِّر المعجم بتمهيد رائع شمل ملخصاً مفيداً عن: نشأة اللغة العربية، وخصائصها، ونظامها الصرفي، وقواعد إملائها، وقد عرضت هذه المعلومات عرضاً ميسراً واضحاً يحمد عليه واضعوها ويشكرون.

- أشار المعجم في بعض المواضع إلى استعمالات قطرية خاصة، ولكن هذه الإشارات غير شاملة، وكان التركيز فيها على الألفاظ التونسية بشكل خاص، ولو شملت استعمالات كثير من الأقطار العربية الأخرى لكان ذلك أكمل وأشمل.

- تناول المعجم عدداً من المصطلحات الجديدة الحضارية والعلمية والتقنية وهذه متابعة جيدة للجديد في اللغة يحمد عليها واضعو المعجم.

- اعتمد المعجم كثيراً من الألفاظ المولدة المعربة والدخيلة التي دخلت الحياة واستعملها رجال الفكر والثقافة التي أقرتها المجامع اللغوية العربية، ولكنه اعتمد إلى جانب ذلك بعض الألفاظ التي لم تقرها المجامع اللغوية بعد، مثل «شَيِّق» بمعنى ممتع أو جذاب، وتواجد: بمعنى وُجد.

وبعد:

فلما أثارته هذه النسخة من «المعجم العربي الأساسي» فإنني أقترح ما يلي:

- عدم إجازة طباعة أي معجم في أي بلد عربي إلا بعد إجازته من أحد مجامع اللغة العربية.

- سحب هذا المعجم من الأسواق وحظر تداوله.

- أن تتعاون المجامع اللغوية العربية على إعداد معجم عصري شامل: كامل، وسيط، وجيز بحيث يشمل ألفاظ الحضارة والعلوم بمستويات مختلفة، وأن تعاد طبعاته سنوياً ليشمل ما يستجد من ألفاظ الحضارة والعلوم، لتبقى لغتنا مواكبة لمظاهر التوسع والارتقاء والحيوية . . .

رابعاً : أخبار مجمعية

بسم الله الرحمن الرحيم

رسائل شكر وتقدير للمجمع

١ ـ رسالة من جلالة الملك الحسين المعظم

تلقى الأستاذ الدكتور عبد الكريم خليفة، رئيس المجمع، رسالة شكر وتقدير من جلالة الملك الحسين المعظم، على إهدائه جلالته أحدث ما صدر من منشورات مجمع اللغة العربية الأردني ونسخة من كتاب (الإملاء المختصر في شرح غريب السير) تحقيق ودراسة الأستاذ الدكتور عبد الكريم خليفة، وهذا نصها:

عطوفة الدكتور عبد الكريم خليفة المحترم،
رئيس مجمع اللغة العربية الأردني

تحيـة طيبة وبعد،

فيسرني أن أنقل لعطوفتكم شكر وتقدير صاحب الجلالة الهاشميـة الملك الحسين المعظم على إهداء جلالته أحدث ما صدر من منشورات مجمع اللغة العربية الأردني مع نسخة من كتابكم شرح غريب السيرة النبوية تحت عنوان (الإملاء المختصر في شرح غريب السير).

مع أطيب تمنيات جلالته لكم بموفور الصحة والعافيـة، راجياً لكم دوام التوفيق والمزيد من العطاء الفكري والعلمي لخدمة بلدكم وأمتكم.

واقبلوا فائق الاحترام

٢ ـ رسالة من صاحب السمو الملكي الأمير الحسن ولي العهد المعظم

تلقى الأستاذ الدكتور عبد الكريم خليفة رئيس المجمع رسالة شكر وتقدير من صاحب السمو الملكي الأمير الحسن ولي العهد المعظم، على إهدائه سموه نسخة من منشورات مجمع اللغة العربية الأردني، ونسخة من كتاب (الإملاء المختصر في شرح غريب السير) تحقيق ودراسة الأستاذ الدكتور عبد الكريم خليفة، وهذا نصها:

سعادة الدكتور عبد الكريم خليفة المحترم
رئيس مجمع اللغة العربية الأردني

تحية طيبة وبعد،

فأشير إلى كتابكم رقم ٨/٥/١٣٥٠ تاريخ ١٩٩١/٩/٢٨م، ويسرني أن أنقل إليكم خالص تحيات وأطيب تمنيات صاحب السمو الملكي الأمير الحسن ولي العهد المعظم، وشكر وتقدير سموه حفظه الله لإهدائكم سموه نسخة من منشورات مجمع اللغة العربية الأردني، وكذلك نسخة من كتابكم «الإملاء المختصر في شرح غريب السير» هذا، وقد أثنى سموه على جهودكم الخيرة التي تبذلونها في سبيل خدمة وطنكم وأمتكم، وستبقى هذه الجهود موضع التقدير والاعتزاز.

مع أطيب التمنيات لكم بدوام التوفيق والنجاح.

واقبلوا فائق الاحترام

المشاركة في المؤتمرات

تلقى الأستاذ الدكتور عبد الكريم خليفة رئيس المجمع، دعوة من رئيس مجمع اللغة العربية بالقاهرة، للمشاركة في مؤتمر المجمع للدورة الثامنة والخمسين الذي سيعقد خلال الفترة ٢٨/١ - ١١/٢/١٩٩٢م، كما تقرر أن يكون الموضوع الرئيسي لهذا المؤتمر (تعريب التعليم الجامعي).
وسيشارك الأستاذ الرئيس بموضوع عنوانه «المصادر والمراجع والدوريات في عملية تعريب التعليم الجامعي».

الموسم الثقافي العاشر لمجمع اللغة العربية

عقدت لجنة الندوات والمحاضرات في المجمع اجتماعين لاختيار المحور الرئيسي للموسم الثقافي العاشر للمجمع لعام ١٩٩٢م، وتحديد عناوين ندواته ومحاضراته، وقد أقرت اللجنة ما يلي:

أولاً: يكون المحور الرئيسي للموسم الثقافي العاشر للمجمع بعنوان «اللغة العربية ودورها في تأكيد هوية الأمة العربية».

ثانياً: يتألف الموسم الثقافي من ثلاث محاضرات وندوتين على النحو التالي:

١ - هوية الأمة العربية الإسلامية في مواجهة التحدي لعقيدتها وقيمها.

٢ - هوية الأمة العربية الإسلامية في مواجهة التحدي اللغوي.

٣ - هوية الأمة العربية الإسلامية في مواجهة التحدي الإعلامي.

أما الندوتان فالأولى بعنوان «هوية الأمة العربية الإسلامية في مواجهة التحديات السياسية والثقافية والحضارية المعاصرة» والثانية بعنوان «الأمة العربية الإسلامية في مواجهة التحدي العلمي والتقنيات الحديثة».

وسيبدأ الموسم الثقافي العاشر للمجمع لعام ١٩٩٢م بعد عيد الفطر المبارك بأسبوعين إن شاء الله.

التعاون والتنسيق بين المجمع ووسائل الإعلام

عقدت لجنة الإعلام في المجمع اجتماعاً لمناقشة مشاركة المجمع في ندوات وأحاديث إذاعية وتلفازية ومقالات صحفية، يشارك في إعدادها الأساتذة أعضاء لجنة الإعلام وأعضاء المجمع، ويستعين المجمع بالأساتذة في الجامعات الأردنية ومن يرغب في المشاركة من المؤسسات العلمية والتعليمية الأخرى والقطاع الخاص، وانطلاقاً من إيمان المجمع بأن خدمة اللغة العربية واجب قومي على جميع أبنائها الغيارى على سمعتها والحريصين على تعزيز مكانتها وإحلالها محلها اللائق بها في حياتنا العملية والعلمية.

وقد بدأت الإذاعة ببث أحاديث يومية بعنوان «في رحاب العربية» كما بدأ التلفاز ببث الندوات التلفازية بعنوان «في رحاب العربية».

الندوات والمحاضرات

ـ انطلاقاً من حرص المجمع على التعاون والتنسيق بينه وبين أقسام اللغة العربية في الجامعات الأردنية فقد عُقد في قاعة الندوات والمحاضرات في المجمع، مجلس علمي حول «نظرات إضافية في تحقيق بعض المسائل اللغوية في ضوء المنهج التاريخي المقارن» أداره الأستاذ الدكتور نهاد الموسى رئيس قسم اللغة العربية في الجامعة الأردنية، وشارك فيه الدكتور إسماعيل عمايرة.

ـ أقام منتدى بيت المقدس احتفالاً في قاعة مجمع اللغة العربية الأردني بمناسبة الذكرى السنوية الأولى، لوفاة المرحوم الأستاذ الدكتور

إسحاق موسى الحسيني، وذلك في الساعة الخامسة من مساء يوم الأحد ٩ جمادى الثانية ١٤١٢هـ الموافق ١٥/١٢/١٩٩١م.

التعاون بين المجمع والمؤسسات العلمية في الوطن العربي

إيماناً من المجمع بوحدة الهدف بينه وبين المؤسسات العلمية والتعليمية في الوطن العربي، وحرصاً على تعميق صلات التعاون الفكري والثقافي فإن المجمع يقيم علاقات علمية وثقافية مع هذه المؤسسات من أجل خدمة اللغة العربية وتعزيز مكانتها في مختلف المجالات العلمية والعملية ومن هذه المؤسسات:

١ ـ الهيئة العليا للتعريب في السودان:

تلقى رئيس المجمع الأستاذ الدكتور عبد الكريم خليفة، رسالة من الأستاذ دفع الله عبد الله الترابي رئيس الهيئة العليا للتعريب في السودان، يعلمه فيها بأنه قد صدر قرار يقضي بتعريب جميع مناهج التعليم في السودان، وإنشاء هيئة عليا للتعريب تعنى برعاية سياسات تعريب المناهج الدراسية في مؤسسات التعليم العالي، واتخاذ الخطوات الكفيلة بتنفيذها، وأعرب الأستاذ الترابي عن تطلع الهيئة العليا للتعريب إلى توثيق صلاتها بمجمع اللغة العربية الأردني والإفادة من جهوده في مجال تعريب التعليم الجامعي واقتناء مطبوعاته الخاصة بالمصطلحات العلمية التي أقرها المجمع.

وقد بعث الأستاذ رئيس المجمع، برسالة إلى الأستاذ الترابي يهنئه فيها على إنشاء هذه الهيئة وعلى هذا القرار القومي العربي الإسلامي الأصيل، وأن المجمع على أتم الاستعداد للتعاون والتنسيق مع هذه الهيئة

في كل مجال من مجالات خدمة اللغة العربية وتعزيز مكانتها في مؤسساتنا العلمية والتعليمية.

٢ - المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر (أكتاب):

تلقى رئيس المجمع الأستاذ الدكتور عبد الكريم خليفة، رسالة من الأستاذ الدكتور أحمد عمر يوسف مدير المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر (أكتاب) التابع للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (جامعة الدول العربية) يطلب فيها دراسة المصطلحات العلمية التي اعتمدها المركز في الكتب التي ألفها في مجال هندسة الطاقة النووية.

وقد ألف المكتب التنفيذي في المجمع، لجنة فنية متخصصة لدراسة هذه المصطلحات وإبداء الملاحظات حولها تمهيداً لمناقشتها في لجنة المصطلحات في المجمع، ومن ثم عرضها على مجلس المجمع لإقرارها.

٣ - المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم:

عقدت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم في الجزائر، الندوة الأولى للذخيرة اللغوية العربية، شارك فيها الأستاذ الدكتور عبد الكريم خليفة رئيس المجمع، في الفترة ما بين ٢ - ٤ حزيران **١٩٩١م وبناءً على** التوصيات التي خلصت إليها الندوة فقد بعث الأستاذ رئيس المجمع، برسائل إلى رؤساء الجامعات الأردنية حول مشروع الذخيرة اللغوية العربية والتوصيات والمقترحات التي صدرت عن الندوة، لدراستها وإبداء الملاحظات والمقترحات حولها، ومدى مساهمة الجامعات الأردنية في تنفيذ ما جاء فيها.

وقد تلقى المجمع ردوداً من الأساتذة رؤساء الجامعات تتضمن ملاحظاتهم ومقترحاتهم حول هذا المشروع، وبعث المجمع بهذه الملاحظات والمقترحات إلى المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.

ـ شارك المجمع في الـدورة التدريبيـة لاستخدام نـظام المعلومات ميتزيس التي نظمها المركز الدوري لبحوث التنمية الكندي في عمان في الفترة ما بين ٢٨/٩ ـ ١٦/١٠/١٩٩١م.

مناقشة رسالة ماجستير

تمت في قاعة الندوات والمحاضـرات في المجمع منـاقشة رسـالة الماجستير بعنوان «ظاهرة الاشتغال في العربية» مقـدمة من الـطالب جهاد يوسف العرجا، وتألفت لجنة المناقشة من الأستاذ الـدكتور نهـاد الموسى مشرفاً، وعضوية كل من الدكتور وليد سيف، والدكتور إسماعيل عمايرة، وذلك يوم الأربعاء ١٨/١٢/١٩٩١م.

إلى الأخوة الكتّاب:

يرجى مراعاة ما يلي:

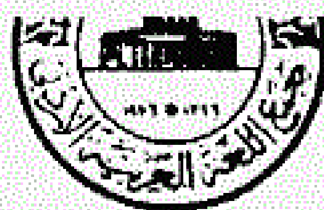
١- أن تقتصر البحوث على اللغة العربية، والتراث العربي الإسلامي: العلمي والأدبي والفني، وشؤون التعريب، ومراجعة الكتب المحققة وما إليها، والمناقشات والتعليقات المتعلقة بهذا وأمثاله.

٢ - أن يتأكّد الكاتب من سلامة اللغة، وحسن الترقيم، والتوثيق قبل إرسال بحثه للنشر.

٣ - أن تتسم البحوث النقدية بأسلوب النقد العلمي الهادىء، الخالي من الانفعالات الحادّة التي قد تسيء إلى المؤلّف أو الباحث.

٤ - أن تكون البحوث المرسلة للنشر في نسختها الأصلية، وخاصة بالمجلّة.

رئيس التحرير



JOURNAL
Of The Jordan Academy Of Arabic

No. 41 Vol. XV

Al Qadah 1411 H - Rabia II ,1412 H July - December 199